كتاب المقالات

المنسوب إلى

أبي علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي

(ت. ٣٠٣ هـ)



بتحقيق

أُوزْكَان شِمْشَكْ

عبد الكريم إسكندر صَرِيجَا

يوسف آرِكَانْ







MU'TEZİLE
KİTAPLIĞI

كتاب المقالات

المنسوب إلى

أبي علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي

(ت. ٣٠٣ هـ)

بتحقيق

أُوزْكَان شِمْشَكْ

عبد الكريم إسكندر صَرِيجَا

يوسف آرِكَانْ

فهرس الكتاب

كتاب المقالات

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة على رسولنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

إن المتكلمين من أهل السنة والمعتزلة والشيعة والمرجئة والخوارج قد ألفوا في تاريخ العلوم الإسلامية مقالات لتأسيس مذاهبهم التي انتموا إليها ونقض آراء المخالفين.[1] أول هذه الكتابات الجامعة الحافلة ظهرت وتطورت على يد علماء المعتزلة كأبي يعلى زرقان وأبي الحسين الخياط وأبي القاسم البلخي الكعبي.[2]

ومن جانب آخر قد واجهت هذه الكتابة والتراث بعض المشاكل. منها فقدان معظم الكتب بسبب مضي القرون على تأليفها، وإحراق الكتب عند اجتياحات العدو، وتحريف كتب المذهب المخالف بسبب التعصب المذهبي، وإهمال الكتب من خلال ترجيح المؤلفين اللاحقين لكتبهم على تلك الكتب إلخ. هذه هي العوامل التي واجهت الكتب التراثية في مجالات علم الكلام وتاريخ المذاهب. ونفس العوامل أيضاً تسببت في عدم وصول المصادر المعتزلية في مجال تاريخ المذاهب إلينا. لكن بعض الكتب المعتزلية وصلت إلينا ضمن تراث الزيدية.

إن النص المحقق والمترجم إلى التركية الذي بين أيدينا وصل إلى يومنا هذا عن طريق المكاتب المدارس الزيدية. هذا النص ينسب إلى أحد شيوخ معتزلة البصرة أبي علي الجبائي. هذه المقالات

١ المسعودي، التنبيه والإرشاف، ص ٣٤٢.
٢ الحاجوري، روضات الأخبار وكنوز الأسرار، ورق ١٣٤.

التي تعد من أقدم تراث المعتزلة في ناحية أخرى تتضمن معلومات واعتقادات هامة في علم الكلام وتاريخ المذاهب اعتباراً بمضمونه المتعلق بعلم الحديث والكلام وتاريخ الإسلام، تلقي الضوء على مكانة المعتزلة في هذه العلوم.

تعرفنا على كتاب المقالات لأول مرة من خلال نشر الأستاذ حسين خانصو لكتاب التحريش وعلمنا أهمية هذا الكتاب. لكنا تأخرنا تحقيق الكتاب بسبب إعلان الأستاذ حسن أنصاري عن تحقيقه للكتاب. لكن عدم نشر الأستاذ للكتاب في الوقت الذي وعد به حثّنا على تحقيقه. رأينا أن تحقيق ونشر هذا الكتاب الذي هو من تراث المعتزلة القديم ومن أوائل الكتب في تاريخ الإسلام وترجمتَه إلى التركية مع الدراسة لكي يستفيد منه قرّاءُ التركية مهمةٌ لابد منها. لا بأس في تحقيق الكتاب الواحد وترجمته أكثر من مرة، بل لابد من ذلك لفهم الكتاب ووعيه. وهذا يسهم في تصحيح الخطأ في فهم النص ويزيد في توثيق النص من ميثاقيته وتقييمه. كل دراسة بعد النشر الأول تمم ما نقص من قبلها.

نعلم أن كل الكتب والدراسات سوى كتاب الله لامندوحة لها من النقص. لذا أبواب النقد مفتوحة لمن يريد نقد فهم النص وترجمته.

أخيراً نشكر الأستاذ حسين خَانْصُو لإعانته لنا في تأمين نسخة المخطوط، ومعتز شطا لقراءته النص وتصحيحه، لا ننسي تقديم جزيل الشكر الأستاذ محمد خيري قِرْبَاش أُوغْلُو والأستاذ سُوتْمَزْ كُوتلُو والأستاذ محمد كَسْكِين والأستاذ محمد قَلّيجِي والأستاذ محمد أُومِتْ علي مساعدتهم القيمة لنا و لإسهاماتهم في فهم النص ودراسة التحقيق. والله الموفق.

أُوزْكَان شِمْشَكْ
عبد الكريم إسكندر صَارِجَا
يوسف آرِيكَانْ
إسطنبول - ٢٠١٩

الدراسة

١-المؤلف الذي ينسب إليه الكتاب وشخصيته العلمية

أ- اسمه ونسبه

أبو علي الجبائي هو من طباقة الثامنة من طبقات المعتزلة اسمه الكامل محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمزة بن أبان.[٣] لقبه الجبائي نسبة إلى قرية جبا في خوزستان.[٤] هو من ولد أبان مولى عثمان رضي اللّٰه عنه.

ب- ولادته ووفاته

أما مولد أبي علي فقد كادت أغلب المصادر أن تجمع على أنه كان عام ٢٣٤ الهجرية[٥] وإن لم تعين المصادر المكان الذي ولد فيه لكننا نعرف أنه دخل البصرة وهو غلام، فلا بد أن يكون قد ولد وترعرع في «جبا» نفسها التي كان لأبويه فيها وله من بعد بساتين ومزارع.[٦] توفى أبو علي في شهر شوال في سنة ثلاث وثلاث مائة.[٧] وفي رواية أخرى توفى في شهر شعبان.[٨] وكان أوصى إلى أبي هاشم أن يدفنه في العسكر وأن لايخرجه عنها، فلما مات صلى عليه أهل

٣ ابن خليقان، وفيات الأعيان، ح ٤، ص ٢٦٧؛ الجنداري، تراجم الرجال، ص ٣٥.

٤ حاجه خليفة، سلم الوصول إلى طبقات الفحول، ج ٤، ص ٣٠٧، خير الدين الزركلي، الأعلام، ج ٦، ص ٢٥٦.

٥ الجنداري، تراجم الرجال، ص ٣٥، ابن خليقان، ج ٤، ص ٢٦٩؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملك، ج ١٣ ص ١٦٤.

٦ علي فهمي حشيم، الجبائيان، ص ٦٥.

٧ ابن النديم، الفهرست، ج ١ ص ٦٠٧، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٧ ص ٧٠، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٤ ص ٥٥، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ح ١٤ ص ١٨٣.

٨ ابن خليقان، وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٢٦٩.

العسكر. وأبى أبو هاشم إلا أن يحمله إلى جبا، فحمله إلى مقبرة كان فيها أم أبي علي وأم أبي هاشم في ناحية بستان أبي علي.[9]

ج- نشأته

كان أحد سادات معتزلة البصرة في عصره. ويُعرف أصحابه الذين يذهبون مذهبه بالجبائية نسبة إلى أبي علي، وكذلك ابنه أبو هاشم يُعرف أصحابه بالبهشمية.[10] أخذ أبو علي قبل ثورة الزنج عن أبي يعقوب الشحام تلميذ مأسس مدرسة معتزلة البصرة أبي الهذيل العلاف.[11] ولقي غيره من متكلمي زمانه لكن لم تُذكر أسماؤهم في المصادر[12] ذهب إلى البصرة وهو شاب وشهد بحلق المتكلمين[13] بعد وفاة شيخه الشحام، إليه انتهت رئاسة المعتزلة البصريين في زمانه لا يدافع في ذلك.[14] كما أفاد ابن المرتضى أنه لم يتفق لأحد من إذعان سائر طبقات المعتزلة له بالتقدم والرياسة بعد أبي الهذيل مثله.[15]

وكان على حداثة سنه معروفاً بقوة الجدل. قد وردت روايات أنه اجتمع مع جماعة للمناظرة في شتى الفنون في العسكر وبغداد والبصرة وأهواز.[16] يقال فيه إنه هو الذي ذلّل علم الكلام وسهله ويسر ما صعب منه.[17] قال أصحابه: ما رأيناه ينظر في كتاب إلا يوماً واحداً، نظر في زيج الخوارزمي ورأينا بيده يوماً آخر جزءاً من الجامع الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني، وكان يقول: إن الكلام أسهل شيء لأن العقل يدل عليه. وكان مع ذلك فقيهاً ورعاً زاهداً جليلا نبيلا.[18]

٩ ابن المرتضى، طبقات المعتزلة، ص ٨٥.
١٠ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٤ ص ٥٥.
١١ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص ٥٥٢، القاض عبد الجبار، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص ٢٧٨.
١٢ ابن النديم، الفهرست، ص ٦٠٦؛ ابن المرتضى، طبقات المعتزلة، ص ٨٠.
١٣ ابن المرتضى، طبقات المعتزلة، ص ٢٧٨.
١٤ ابن النديم، الفهرست، ص ٦٠٦.
١٥ ابن المرتضى، طبقات المعتزلة، ص ٨٠.
١٦ القاض عبد الجبار، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص ٢٧٨-٢٨٩؛ ابن المرتضى، طبقات المعتزلة، ص ٨٠.
١٧ ابن النديم، الفهرست، ص ٦٠٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٤ ص ١٨٣؛ ابن الساعي، الدر الثمين في أسماء المصنفين، ج ١ ص ١٦٥-١٦٦.
١٨ القاضي عبد الجبار، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص ٢٧٨-٢٩٠؛ ابن المرتضى، طبقات المعتزلة، ص ٨٠.

د- تلامذته

-أبو هاشم الجبائي (شيخ المدرسة البهشمية)

-أبو الحسن الأشعري (مؤسس مذهب الأشعرية)

-بنت الجبائي (لم تذكر المصادر اسمَها)

-أبو عبد الله محمد بن عمر الصيمري

-أبو عمر محمد الباهلي

-أبو محمد عبد الله بن عباس الرامهرمزي

-أبو الحسن بن الخباب ابن السقيّ

-أبو الحسن الإسفراييني/الإسفندياني

-أبو العباس بن رزق الله

-أبو بكر بن حرب التّستري

-أبو الحسن بن فرزويه

-أبو سعيد الأشروسني

-أبو الفضل الكَشِّي

-أبو الفضل الخُجَنْدِي

-أبو القاسم علي التنوخي

-أبو عبد الله محمد بن زيد الواسطي

-أبو الحسين عبد الواحد بن محمد الحصيني[19]

19 ابن المرتضى، طبقات المعتزلة، ص ٨٠-١٠٠، ١٠٨؛ القاض عبد الجبار فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص ٢٨٠-٣٣٠؛ ابن خليقان، وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٢٦٧؛ ابن الحجر، لسان الميزان، ج ٧ ص ٣٢٤؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٤ ص ٣٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٤ ص ١٨٣.

٥- مؤلفاته

قال أبو الحسين: وكان أصحابنا يقولون إنهم حرروا ما أملاه أبو علي فوجدوه مائة ألف وخمسين ألف ورقة.[٢٠] ترجمة الجبائي في كتاب الفهرست لابن النديم لم يصل إلينا كاملا، غير ابن حجر ينقل سبعين كتاباً للجبائي من ابن النديم[٢١] وفي بعض المصادر المعتزلية ينقل من الجبائي باسم كتبه.

قائمة الكتب التي أثبتها ابن الحجر:

١: الرد على الأشعري في الرؤية ٢: الرد على أبي الحسين الخياط والصالحي والجاحظ والنظام والبرذعي ٣: كتاب الأصول ٤: كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٥: كتاب التعديل والتجوير ٦: كتاب الاجتهاد ٧: الأسماء والصفات ٨: كتاب التفسير الكبير ٩: كتاب النقض على ابن الراوندي ١٠: الرد على من قال بأحكام النجوم ١١: كتاب من يكفر ومن لايكفر ١٢: الأصول في شرح الحديث.

ينقل ابن أنجب الساعي عن ابن النديم الكتب التالية للجبائي:

١: كتاب الإمامة ٢: كتاب المعرفة ٣: كتاب النظر ٤: كتاب الحكمين ٥: كتاب الجزء الذي لايتجزأ ٦: المجهول والمعلوم ٧: كتاب المولد ٨: كتاب الأخبار ٩: كتاب المخلوق ١٠: الشاهد على الغائب ١١: الكلام في النتائج ١٢: الأسماء والأحكام ١٣: نقض كتاب النفي والإثبات ١٤: نقض كتاب نعت الحكمة ١٥: نقض لا شيء إلا موجود ١٦: نقض كتاب الإمامة ١٧: نقض كتاب الزمرد ١٨: نقض كتاب التاج ١٩: نقض كتاب الدامغ ٢٠: نقض ما يحتج به ابن الراوندي علو ما يسنده إلى هشام في الرواية ٢١: نقض الطب ٢٢: نقض كتاب المجبرة ٢٣:نقض كتاب سليمان في ثبيت الأعراض ٢٤:نقض كتاب يحي بن بشر في تناهي المقدرات ٢٥: نقض كتاب الرازي في الإدراك الذي نقضه على الصالحي ٢٦: نقض كتاب أبي الحسين في ابتداء الناس في الجنة ٢٧: نقض كتاب الجاحظ في المعرفة ٢٨: نقض على عباد في إنكاره دلالة العرض ٢٩: نقض كتاب

٢٠ ابن المرتضى، طبقات المعتزلة، ص ٨٢؛ القاضي عبد الجبار فضل، الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص ٢٨١.

٢١ ابن النديم، الفهرست، ص ٦٠٦، ابن الحجر، لسان الميزان، ج ٧ ص ٣٢٤.

النظام في إحالة المقدرات ٣٠: وكتاب نقض الطبائع على النظام ٣١: كتاب الرد على النصارى ٣٢: كتاب الرد على اليهود ٣٣: كتاب الرد على المجوس ٣٤: كتاب المسائل الخراسانية ٣٥: وكتاب جواب مسائل محمد بن عمر الباهلي ٣٦: كتاب الأصلح الكبير ٣٧: كتاب الإدراك على الصالحي ٣٨: كتاب متشابه القرآن ٣٩: كتاب الإمامة الغير ٤٠: كتاب المذنبين[٢٢]

ذكر الأستاذ أُورْخَانْ كُولْ أُغْلُو في دراسته حول أبي علي الجبائي قائمة الكتب التي ذُكِرت ونُقل عنها في المصادر:

١: الأسماء والصفات ٢: الإرادة ٣: الأصلح ٤: الأصول ٥: الإكفار والتفسيق ٦: كتاب الإمامة ٧: كتاب الأمر بالمعروف ٨: كتاب الإنسان ٩: كتاب التعديل والتجوير ١٠: التولد ١١: الخاطر ١٢: اللطف ١٣: من يُكفّر ومن لايكفر ١٤: النفي والإثبات ١٥: المخلوق ١٦: الرد على أصحاب التناسخ والحرمية وغيرهم من أهل الباطن ١٧: المقالات ١٨: جواب مسائل الصيمري/ المسائل المعرفة بأبي علي ١٩: جواب مسائل أبي بكر التستري ٢٠: جواب مسائل أخت أبي هاشم ٢١: جوابات الخراسانيين ٢٢: جواب مسائل عبد الله بن عباس ٢٣: جوابات المصريين ٢٤: المسائل ٢٥: مسائل البصريين ٢٦: المسائل الخلاف على أبي الهذيل ٢٧: الرد على أبي الحسين الخياط في الجسم ٢٨: الرد على أبي الهذيل في المخلوق ٢٩: الرد على الأشعري في الرؤية ٣٠: الرد على المنجمين ٣١: الرد على النصارى ٣٢: الرد على النظام والمعمر في الطبائع ٣٣: نقض الإمامة على ابن الراوندي ٣٤: نقض التاج ٣٥: نقض الجاروف ٣٦: نقض الدامغ ٣٧: نقض الزمرد ٣٨: النقض على الصالحي ٣٩: نقض كاذب الذهب ٤٠: نقض كتاب هشام بن الحكم في الجسم والرؤية ٤١: نقض كتاب عباد في تفضيل أبي بكر ٤٢: نقض المعرفة ٤٣: نقض نعت الحكمة ٤٤: الرد على أهل السنة/الرد على ابن الكلاب ٤٥: التفسير ٤٦: متشابه القرآن/مسألة القرآن ٤٧: كتاب الاجتهاد ٤٨: شرح مسند ابن أبي شيبة/شرح الحديث.[٢٣]

٢٢ ابن الساعي، الدر الثمين في أسماء المصنفين، ج ١ ص ١٦٥-١٦٦.

٢٣ Orhan Şener Koloğlu, Cübbailer'in Kelam Sistemi, s. 42-46.

وسوى هذه الكتب له ثلاثة كتب نُقِل منها في المصادر: المسائل الواردة على أبي علي،[24] والإنسان[25] والرسالة التي بين فيها تعريف الروافض إلخ.[26] لكن لم يصل إلينا شيء من هذه الكتب.[27]

٢٤ القاضي عبد الجبار، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص ٤٧.
٢٥ القاضي عبد الجبار، المغني، ج ١١ ص ٣٦٣،٤٧٥، ٤٧٨.
٢٦ القاض عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة، ج ٢ ص ٥٦٧.
٢٧ علي فهمي خشيم، الجبائيان، ص ٨١.

٢- كتاب المقالات

أ- اسمه وسبب تأليفه

بسبب نقص بداية النسخة التي في أيدينا لم يعرف اسم الكتاب ومؤلفه.لكن هناك قيد[٢٨] في الصفحة الأولى من كتاب التحريش الذي في نفس المجموعة. وبهذا القيد الذي نسخ من قبل ناسخ النسخة يظهر أن اسم الكتاب هو «كتاب المقالات».[٢٩]

يقول مؤلف المقالات بعد ذكر مواضع الاختلاف: **«وأنا مفسر ذلك إن شاء الله باباً باباً وموضح ما التبس منه بأبين الحجة وأوضح الدلالة حتى يكون من علم جميع ذلك الاختلاف وصوابه على يقين لا شك معه وعلى بيان لا لبس معه وعلى إيضاح لا إشكال معه.»**

ب- نسبة الكتاب وتاريخ تأليفه

١ -نسبته

كتاب المقالات الذي يقع في مجموعة[٣٠] في مكتبة مدينة شهارة ينسب إلى أبي علي الجبائي. لم يرد

٢٨ ضرار بن عمر، كتاب التحريش، ص ١٧، ٣٠.

٢٩ ضرار بن عمر، كتاب التحريش، رقم: ٦٩/٤ ورق ٦٢ظ.

٣٠ يقول الأستاذ عبد السلام الوجيه في مصادر التراث في المكتبات الخاصة في اليمن (ج ٢ ص ٦١٦) حول المجموعة التي فيها كتاب المقالات:

«مجموع في مجلد صغير يحتوى على: ورقتين من كتاب المقالات لأبي علي الجبائي المعتزلي؛ كتاب في سيرة آل البيت من الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إلى المهدي لدين الله محمد بن الحسن الداعي، المؤلف: مجهول؛ الإفادة في تأريخ الأئمة السادة، المؤلف: الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين الهاروني [ت ٤٣٤ هـ]؛ العدل والتوحيد، المؤلف. الإمام الهادي يحيى بن الحسين [ت ٢٩٨ هـ]؛ جواب مسألة في إمارة أمير المؤمنين للإمام الهادي يحيى بن الحسين؛ التحريشل، المؤلف: ضرار الكوفي؛ كتاب

اسم الجبائي في النسخة. مع هذا ذكر اسم الكتاب في القيد الذي كتب من قبل ناسخ كتاب التحريش الذي في نفس المجموعة ونقلت عنه هذه العبارات:

«قال أبو علي الجبائي في كتاب المقالات ما لفظه: وكان وَضَعَ -يعني ضرار- في تلك الأيام كتاب التحريش وكان ضرار كوفياً ناصبياً في كلام طويل ذكر فيه أنه تاب على يدي علي الأسواري.»[31] وفي المقالات في بحث خلق القرآن وردت نفس هذه العبارات في ضمن مناظرة علي الأسواري مع ضرار بن عمرو.[32]

في بعض المصادر ينسب إلى الجبائي كتاب المقالات[33] وفي قائمة كتبه يوجد ما هو في مجال مقالات الفرق وردهم كالرد على أصحاب التناسخ والحرمية وغيرهم من أهل الباطن، والرد على المنجمين، والرد على الأشعري في الرؤية.

ينقل القاضي عبد الجبار في كتابه فضل الاعتزال من كتب الجبائي حول تشكل المذاهب،[34] لكن هذه النقول لا توجد في هذه المقالات. يقول أحمد بن محمد الجنداري في الجبائي: أن له مقالات مشهورة في الأولين.[35]

يقول الأستاذ حسن أنصاري في مقاله الذي كتب في تعريف كتاب المقالات: ينسب إلى الجبائي في كتب التراث نحو سبعين كتاباً. غير أنه لا يذكر أن له كتاب المقالات إلا في موضع

حول الفرق، المؤلف: مجهول، ورقة في تفسير الكرسي للهادي يحيى بن الحسين عليه السلام، ورقة في تفسير الكرسي للهادي يحيى بن الحسين عليه السلام، رسالة في الرد على من زعم أن القرآن ذهب بعضه، المؤلف: الإمام الهادي يحيى بن الحسين عليه السلام، و مسائل في الفرائض، الناسخ: مجهول، تأريخ النسخ: فرغ من نسخه سنة ٥٤٠ هـ نوع الخط: نسخي جيد قديم ملاحظات: وهو أقدم مخطوط بالجامع - الكتاب من وقفية الوالد العلامة العباس بن الوجيه.»

كما ترى أن عبد السلام الوجيه أفاد أن الورقتين للجبائي وذكر أن هنا كتاب حول الفرق. لكن هذا منه سقط لأن كتاب حول الفرق وكتاب المقالات نفس الكتاب لا كتابين. االورقتين التين ظن الوجيه أنهما مستقلان هما من مقدمة كتاب المقالات لا فاصل بينهما في النسخة كما يتوهم من كلام الوجيه.

٣١ ضرار بن عمرو، كتاب التحريش، ورق ٦٢ظ.

٣٢ كتاب المقالات، ورق ١٣٤ظ.

٣٣ الحاجوري، روضات الأخبار وكنوز الأسرار، ورق ١٣٤، المسعودي التنبيه، ج ١ ص ٣٤٢.

٣٤ القاضي عبد الجبار، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص ٩٢، ٩٣، ٩٤، ١٠٠، ١٠٦، ١٠٩، ١١١، ١١٢، ١٧٥، ٢٣٥. في هذه النقول توجد احتلافات الفرق كخلافة عثمان في سنوات الآخرة ووقعة جمل وأسباب تشكل مذهب المجبرة والمشبهة والمرجئة.

٣٥ الجنداري، تراجم الرجال، ص ٣٥.

واحد. وهذا الموضع كتاب الجنداري -كما أشرنا إليه-. مع هذا أفاد الأستاذ أن يوسف بن محمد بن حاجوري وسليمان بن محمد المحلي من علماء الزيدية ذكرا أن الجبائي كتب شيئاً حول الفرق والمقالات.[٣٦]

لكن على العكس من دعوى الأستاذ أنصاري يذكر أحمد بن يحيى المرتضى كتاب المقالات للجبائي.[٣٧] بهذا يظهر أن معرفة الجنداري بكتاب المقالات إنما وقعت بواسطة ابن المرتضى، إذ كتاب الجنداري يتضمن تراجم ما في كتاب ابن المرتضى من الرجال. يقول الجنداري في ترجمة الجبائي: إن له مقالات مشهورة في الأولين.

في نتيجة بحثنا لم نجد من ينسب كتاب المقالات إلى الجبائي إلا ابن المرتضى. ينقل ابن المرتضى في القلائد في تصحيح العقائد في مسألة هل هناك معصوم بعد رسول الله أم لا عن الجبائي قوله بهذا الصدد، يقول ابن المرتضى: «مسألة- ولا معصوم بعده إلا علي والحسين وفاطمة الحاكم عن المعتزلة بل العشرة. قلت: وفيه نظر. إذ قول أبي علي في مقالاته بفسق عثمان ظاهر»[٣٨]

القسم الذي نقله ابن المرتضى عن الجبائي موافق لما في المقالات[٣٩] غير أن ابن المرتضى يقول في كتاب المنية والأمل في شرح الملل والنحل: «فاعلم أن كثيراً من العلماء قد تصدر لجمع المقالات مجردة عن الحجج وبيان الصحيح والفاسد كمقالات أبي القاسم البلخي ومقالات أبي علي الجبائي وكتاب العقائد للغزالي وكتاب الملل والنحل للشهرستاني، فإن كل واحد من هؤلاء لم يذكر في كتابه الذي صنفه وعني فيه إلا مجرد المذاهب»[٤٠]

إذاً بحسب قول ابن المرتضى ليس في مقالات الجبائي حجج المذاهب وردهم. هذا بخلاف ما في المقالات التي بين أيدينا. لأن فيها رد المذاهب ونقدهم وتفسيقهم وأحياناً تكفيرهم. قول ابن المرتضى يقدح نسبة هذه المقالات إلى الجبائي. لكن ابن المرتضى نفسه ينقل من المقالات في

٣٦ Hasan Ansari, "Abū 'Ali al-Jubbā'ī et son livre al-Maqālāt", s. 21-39

٣٧ ابن المرتضى، المنية والأمل في شرح الملل والنحل، ص ٣٨.

٣٨ ابن المرتضى، القلائد في تصحيح العقائد، ص ١٤٦.

٣٩ المقالات ورق ١٦٣ظ-١٦٧و.

٤٠ ابن المرتضى، المنية والأمل في شرح الملل والنحل، ص ٣٨.

القلائد أمر عثمان رضي الله عنه ويناقشه. مناقشة أمر عثمان ولحصه من قبل بيان الحجج. إذاً قول ابن المرتضى في القلائد يتناقض مع قوله في المنية.

يقول القاضي عبد الجبار في تثبيت دلائل النبوة: «وقد قال أبو علي خالد بن عبد الله العلوي المصري الفاطمي الحسيني (...) من الدلالة على براءة ساحة أبي بكر الصديق مما رمته الرافضة به أنه منع العباس وفاطمة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم أموال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلها في سبيل الله، فإنه إنما فعل هذا وتم له وأقدم عليه مبدلا بالحق الذي كان عليه، ولو كان مبطلا لأعطاهم إياها وأكثر منها، لأنه برسول الله صلى الله عليه وسلم عز وبه تقدم. وبه كانت له الرئاسة، وبه صار صديقاً وأصحابه وأنصاره، وجعلوه خليفة، فلو كان مبطلا وطالباً دنيا لأعطاهم ذلك وأرضاهم بكل ما يقدر عليه ليتم له ما بطلبه من الملك. فليس من الحزم أن يمنعهم هذا المقدار وينفرهم ويوحشهم لأجل شيء هذا قدره، وقد كان عاقلا حازماً بالأمور عارفاً بالأمور لا يدفعه عن هذا من عرفه، فإنما منعهم ذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم منعهموه. ذكر أبو علي رحمه الله هذا ومعناه في رسالته التي بين فيها مَن الرافضة، ومن الناصبة ومن الشيعة.»[٤١]

ذكر القاضي عبد الجبار رسالة للجبائي، فيها تعريف الرافضة والناصبة والشيعة مع قصة أرض فدك. إذا نظرنا إلى المقالات التي بين أيدينا نجد أن فيها قصة أرض فدك بالتفصيل.[٤٢] مع هذا يوجد في المقالات سرد لآراء الرافضة والناصبة والشيعة وردهم. إذاً يمكن أن تكون الرسالة التي نسبها القاضي عبد الجبار إلى الجبائي هي كتاب المقالات الذي بين أيدينا. لكن لا توجد أية قرينة أخرى على هذه الدعوى.

يقول القاضي عبد الجبار في تثبيت دلائل النبوة بعد ذكر الأدلة التي قدمها أبو الهذيل العلاف وأبو الفضل جعفر بن حرب إلى الذين يزعمون أن النجوم تدل على ما كان وما يكون:

٤١ القاضي عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة، ج ٢ ص ٥٦٧.
٤٢ المقالات ورق ١٧٢ظ.

إن الجبائي قدم أيضاً نفس الأدلة إلى المنجمين.[43] لكن لم يذكر اسم الكتاب الذي قدم الجبائي فيه هذه الأدلة. من قبل هذا نقد القاضي عبد الجبار دعوى الرافضة أن الإمام المعصوم يعلم الغيب بدلالة علم يوسف عليه السلام سنين القحط بوحي من الله إليه إنما هو موافق لما في المقالات من النقد للرافضة. وأيضاً نقد القاضي زعم بعضهم أن الجن يعلم الغيب بعدم علمهم موت سليمان عليه السلام متكأً على عصاه موافق لما في المقالات في باب ذكر النجوم. في هذا الباب ينتقد المؤلف قول المنجمين الذين يدعون إدراك علم الغيب بدلالة النجوم ويقول: «فالنجوم إنما جعلها الله سبحانه ليهتدوا بها وليست تدل على علم الغيب.»[44] مع هذا تذكر المصادر أن له كتاباً اسمه الرد على المنجمين. يحتمل أن يرد على هؤلاء في هذا الكتاب ليس في المقالات. لأن القاضي لم يذكر مصدر نقوله.

مع هذه الأدلة التي تدل على أن المقالات التي بين أيدينا هي للجبائي هناك أدلة أخرى تدل على عكس ذلك. لأن بعض الآراء المنقولة عن الجبائي في كتب القوم مخالف لما في هذه المقالات. لكن قد يرى أن معظم مضمون الكتاب من الآراء في الإلهيات والنبوات والسمعيات موافق لأراء الجبائي مع أن قياس الآراء التي في المقالات مع آراء الجبائي موضعه بحوث أخرى غير هذه الدراسة والتحقيق.

أما الآراء التي تدل على أن المقالات ليس للجبائي عديدة، منها رأي الجبائي في عثمان رضي الله عنه. ذكر في المقالات في عثمان بعد سرد آراء المذاهب: «فلما ظهر من عثمان الجور والنكث والإثرة والخيانة أجمع على قتله المهاجرون والأنصار»

هذا الرأي كما ذكرنا ينقله ابن المرتضى عن الجبائي من كتابه المقالات، لكن هذا الرأي لا يوافق مع ما نقله عنه القاضي عبد الجبار في المغني عن كتاب الإمامة للجبائي، أبو علي الجبائي على ما ينقله القاضي عبد الجبار عنه يرى صحة خلافة عثمان وعدم الإجماع على عزل عثمان وقتله.[45]

٤٣ القاضي عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة، ج ٢ ص ٥٦٩.
٤٤ المقالات ورق ١٤٥و.
٤٥ القاضي عبد الجبار، المغني ج ٢٠ ص ٣٢، ٤١، ٥١-٥٥، ١١٥.

بناء على ذلك لو سلمنا أن المقالات للجبائي يمكن أن نقول: إن الجبائي غير رأيه في عثمان مع مرور الزمن من عمره لأنه عاش ثمانية وستين سنة أو نقول -وإن لم توجد قرينة تدل عليها- إن القاضي ينقل رأي الجبائي على عكس فكره. ولكن هذا ليس من دأب العلماء، وأيضاً هذا لا يليق بمثل مقام القاضي عبد الجبار.

ومن الآراء التي ينسبها ابن المرتضى للجبائي ما هو مخالف لما في المقالات. منها مسألة خلق الجنة وجهنم. بحسب بعض الكتب يرى الجبائي أن الجنة مخلوقة الآن خلاف ابنه أبي هاشم[٤٦] لكن يقول في المقالات: «فقد أنبأنا الله سبحانه أن الآخرة لا تكون إلا بعد تمزق السماء وتكوير الشمس والقمر وينتثر النجوم وتسير الجبال وتبدل الأرض غير الأرض والسموات، لأن الآخرة إنما هي جنة ونار لا شيء غيرهما وحاجز الأعراف كالدنيا، إنما هي بر وبحر وسماء وما بينهما، وكل ما هو مخلوق في هذا الوقت فهو الدنيا»[٤٧]

وأيضاً توجد المخالفة بين الرأي المنقول عن الجبائي وبين كتاب المقالات في مسألة عذاب القبر. ينقل ابن المرتضى عن الجبائي أنه قال: لا يعلم وقت عذاب القبر.[٤٨] مع ذلك بعض تفسيراته للآي يدل على أنه يقبل عذاب القبر[٤٩] وأيضاً ذكر في طبقات المعتزلة لابن المرتضى أن الجبائي سئل أستاذه الشحام عن عذاب القبر فأجاب الشحام بأنه لا يوجد في المعتزلة من ينكر عذاب القبر غير ضرار بن عمرو.[٥٠] لكن في المقالات ما هو على عكس ذلك، يرى مؤلف المقالات عذاب القبر محالا مكذباً الآية القرآنية، ويؤول ما احتج به الخصم من الآية. مع هذا يقبل أن يكون عذاب القبر بعد النفخة الثانية بقوله: «فقد يمكن أن يكون يعذب الله أهل المعاصي في قبورهم بعد النفخة الثانية وبعد الذَرْء الثاني الذي ذكره الله سبحانه بقوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾[٥١] وهو الذرء الثاني عند خروج الناس من الأجداث سراعاً مهطعين إلى الداعي لا عوج له»[٥٢]

٤٦ ابن المرتضى، القلائد في تصحيح العقائد، ص ١٣١؛ الفائق في أصول الدين ص ٤٦٧.
٤٧ المقالات ورق ١٣١ظ.
٤٨ ابن المرتضى، كتاب القلائد في تصحيح العقائد، ص ١٣٠.
٤٩ الطبرسي، مجمع البيان ج ٧ ص ٤٨؛ أبو جعفر الطوسي، التبيان في تفسير القرآن ج ٧ ص ٢٠٨.
٥٠ ابن المرتضى، طبقات المعتزلة، ص ٧٢.
٥١ الأعراف. ١٧٩
٥٢ المقالات ورق ١٣١ظ -١٣٢و.

تظهر المخالفة أيضاً في مسألة معراج النبي صلى الله عليه وسلم. يقول أبو جعفر الطوسي في التبيان في تفسير القرآن: «وذكره الجبائي أيضاً: أنه عرج به في تلك الليلة إلى السماء، وأتى حتى بلغ سدرة المنتهي في السماء السابعة ، وأراه الله من آيات السموات والأرض ما ازداد به معرفة و يقيناً، وكان ذلك في يقظته دون منامه.»[٥٣] لكن ذكر في المقالات رواية عن ابن عباس رحمه الله: أسري بروح رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه بدلالة قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾[٥٤]

٢-تاريخ تأليفه

يمكن أن يعين زمن تأليف الكتاب بقرائن:

١) يذكر مؤلف المقالات عند نقد الرأي في الإمام الغائب للشيعة: «أن البر سبعة أقاليم، إقليم المغرب ... أما إقليم المغرب فبها لعمري رجال أهل البيت لكنهم من ولد إدريس وإدريس هو من ولد الحسن»[٥٥] وأيضاً يقول أبو القاسم البلخي الكعبي شيخ معتزلة بغدا ومعاصر أبي علي الجبائي في كتابه المقالات: «ومضى أخوه إدريس بن عبيد الله إلى المغرب فغلب على بلدان كثيرة وبسط العدل فيها ثم خلفه إدريس بن إدريس ثم ولده، وتلك النواحي إلي يومنا هذا في أيديهم»[٥٦] ويعلم أن الإدريسيين/دولة الأدارسة سقطت في سنة ٣٧٥ الهجرية. إذاً يظهر من هذا القيد أن كتاب المقالات التي بين أيدينا كتب قبل سنة ٣٧٥.

٢) مؤلف المقالات يروي عن تسعة أشخاص، إذا نظرنا إلى هذه الأشخاص نرى أنهم قد عاشوا في القرن الثالث، وهم:

٥٣ أبو جعفر الطوسي، التبيان في تفسير القرآن ج ٦ ص ٤٤٦.
٥٤ المقالات ورق ١٢٨ظ.
٥٥ المقالات ورق ١٥١ظ.
٥٦ أبو القاسم البلخي الكعبي، كتاب المقالات، ص ١٠٦-١٠٧.

أ- **هلال بن العلاء:** هلال بن العلاء بن هلال بن عُمَر بن هلال ابن أبي عطية الباهلي، أُبو عُمَر الرَّقِّي. عالم الرَّقةِ روي عنه في المقالات روايتان: إحداهما عن وهب بن مصرف الذي لم نجد عنه أية معلومات، والأخرى عن علي بن معبد بن شداد العبدي الرقي المتوفى سنة ٢١٩. توفى هلال بن العلاء بالرقة عام ٢٨٠ أو ٢٨١ الهجرية.[٥٧]

ب- **عبد الملك بن عبد العزيز:** لم نقف على ترجمته فيما اطلعنا عليه من المصادر. ولكن روي عنه في المقالات روايتان: إحداهما عن يحيى بن معين المتوفى سنة ٢٣٣ والأخرى عن أبي نعيم فضل بن دكين المتوفى بالكوفة ٢١٩.[٥٨]

ج- **أبو بكر أحمد بن ضرار الضراري:** روي عنه في المقالات روايتان، لكن لم نجد عنه أية معلومات.

د- **أحمد بن داود المكي:** أَحْمَد بن داود بن موسى أبو عبد الله السَّدُوسي البَصْرِيّ ثُمَّ المكي، أصله من البصرة، ونزل مكة ثم أتى مصر فمات بها، تُوُفِّي في صفر سنة ٢٨٢هـ.[٥٩] الذي روي عنه روايات ثمانٍ، وسبعة منها عن عمرو بن خالد المتوفى سنة ٢٢٩،[٦٠] وواحدة عن علي بن معبد بن شداد العبدي الرقي المتوفى سنة ٢١٨.[٦١]

ه- **أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو النصري:** روي أنه ولد قبل سنة ٢٠٠، وهو من نسل نصر بن معاوية، لذاك أخذ نسبة النصري، توفى سنة ٢٨١ في دمشق،[٦٢] روي عنه في المقالات رواية واحدة، وهذه الرواية عن سوار بن عمارة، يذكر االمصادر أن أبا زرعة حدث عنه كثيراً من الروايات[٦٣]

و- **حارث بن أبي أسامة:** هو الحارث بن محمد بن أبي أُسَامَةَ داهر، أبو محمد التميمي البَغْداديّ، مسند بغداد في وقته، ولد سنة ١٨٦ توفى عام ٢٨٢،[٦٤] روي عنه في المقالات روايتان، من بين

٥٧ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٣، ص ٣١٠، المزي، تهذيب الكمال، ج٣٠، ص ٣٤٦ -٣٤٨.
٥٨ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص ١٤٨-١٤٢.
٥٩ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٦، ص ٦٧٣. ابن قُطْلُوبَغا، كتاب الثقات، ج ١، ص ٣٣٣.
٦٠ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١٠، ص ٤٢٨.
٦١ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١٠، ص ٦٣٢.
٦٢ : سير أعلام النبلاء، ج ١٣، ص ٣١١-٣١٦، الأعلام للزركلي، ج ٣، ص٣٢٠.
٦٣ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٥، ص ٣٠٠.
٦٤ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٦، ص ٧٣١، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١١، ص ٢٠١.

أساتذته يزيد بن هارون المتوفى سنة ٢٠٦,[٦٥] مؤلف المقالات طلب من حارث بن أبي أسامة في بغداد أن يحدّثه حديث وفاة النبي صلى الله عليه وسلم عن يزيد بن هارون.[٦٦] يفهم من هذا القيد أن مؤلف المقالات عاش في بغداد برهة من الزمان. وورد في المصادر أن أبي علي الجبائي ذهب إلى بغداد مرات عديدة. أشهر هذه الرحلة أنه ذهب إلى البغداد ليناظر مع الراوندي.[٦٧]

ز- إبراهيم بن أحمد الواسطي: أنه مكث مدة في بغداد وروى عن المحدثين الذين كانوا فيها. ذكر أن عثمان بن محمد بن بشر السقّي المتوفى سنة ٣٥٦ روى عنه في سنة ٢٨٥,[٦٨] قال ابن حجر العسقلاني: مات قبل التسعين ومائتين.[٦٩] توجد له روايتان في المقالات.

ح- موسى بن كثير الوشا: هو أبو عمران موسى بن سهل بن كثير بن سيار الوشاء الحرف البغدادي، حدث عن إسماعيل ابن علية ويزيد بن هارون وآخرون. توفى سنة ببغداد ٢٧٨. [٧٠] روى في المقالات روايتين عن إسماعيل بن علية المتوفى سنة ١٩٣. موسى بن كثير الوشاء الذي آخر من روى عن بن علية.[٧١]

ط- ابن أبي مريم: روي عنه رواية واحدة عن أشهب بن عبد العزيز القيسي المتوفى سنة ٢٠٤. إذاً هذا الراوي ليس نوح بن أبي مريم المتوفى سنة ١٧٣ الذي من تلامذة أبي حنيفة. يمكن أن يكون هذا الراوي بحسب بعض المصادر أبا محمد سعيد بن أبي مريم الجمحي الذي يروبي عن أشهب بن عبد العزيز.[٧٢] توفى سعيد بن أبي مريم الجمحي سنة ٢٢٤. ورد اسمه موضع اخر، يذكر أنه معروف في مصر.[٧٣] نوح بن أبي مريم المعروف كان قاضياً في مرو ولم يعش في مصر. مع هذا سعيد بن أبي

٦٥ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٣، ص ٣٨٨؛ المزي، تهذيب الكمال، ج ٣٢، ص ٢٦٩-٢٦١.
٦٦ المقالات ورق ١٧٧ظ.
٦٧ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٨، ص ١٥٤؛ أبو الفتح العباسي، معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص، ص١٥٧.
٦٨ خاطب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٦، ص ٤٩٠.
٦٩ ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج ١، ص ٢٣٢،
٧٠ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٣، ص ١٤٩-١٥٠؛ السمعاني: الأنساب، ج ١٣، ص ٣٤٤-٣٤٣؛ ابن العماد العكري، شذرات الذهب، ج ٣، ص ٣٢٤.
٧١ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ١٠٧-١٢٠؛ المزي، تهذيب الكمال، ج ٣، ص ٢٣-٣٣.
٧٢ الذهبي، كتاب تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ١٥٥.
٧٣ المقالات ورق ١٥٢ظ.

مريم يوصف في المصادر بأنه «محدث الديار المصرية»[٧٤] إذاً يمكن أن نقول إن الراوي الذي روى عنه مؤلف المقالات هو سعيد بن أبي مريم أو ابن أخيه أحمد بن سعد بن أبي مريم. إذا كان هذا الراوي سعيد بن أبي مريم المتوفى سنة ٢٢٤ لا يمكن أن ينسب كتاب المقالات إلى أبي علي الجبائي، لأن سعيد بن أبي مريم قد مات قبل ولادة الجبائي. إذاً هذه المقالات لمن عاش قبل الجبائي من المعتزلة، أو نقول إن هذا الراوي ليس سعيد بن أبي مريم بل هو شخص آخر.

٣) مؤلف المقالات عند نقده للشيعة في الإمام الغائب يعدد العلماء المشهورين في زمانه: « فهذا الإمام معدوم غير موجود ولقد نسمعكم تصفونه بصفة من العلم والفضل ما ليس يخفى صاحبها لأن أهل العلم من جميع الناس هم معروفون في كل بلد كابن أبي مريم (ت. ٢٢٤ هـ)، وجامع بن سوادة وأبي الربياع أبي زباع وكإبراهيم بن سفيان (ت٢٧١ هـ) وعمرو بن ثوو (ت. ٢٧٩ هـ) بقيسارية وكعُثْمَان بن خُرَّزَاذ (ت. ٢٨١ هـ) في أنطاكية وكالفضيل بن عياض (ت. ١٨٧ هـ) في طرطوس، وكأبي زرعة في دمشق (ت. ٢٨١هـ)، وكالمجاشعي(ت. ٢١٥هـ) و هشام بن عماد بحمص، وكعبد الرزاق (ت. ٢١١هـ) بصنعاء، وكهلال بن العلاء (ت.٢٨٠هـ) بالرقة، وكسحنون بن سعيد (ت.٢٤٠هـ) بأرض القيروان، وكإسحاق بن راهويه (ت. ٢٣٨هـ) .في خراسان، وكماهويه (ت. ٣٠٤هـ) في الحرم، فليس من بلد ولا مدينة يكون بها رجل مذكور في فن من فنون العلم إلا وهو معروف في سائر البلدان كمحمد بن يزيد المبرد (ت.٢٨٦هـ)، وكأحمد بن يحي المعروف بثعلب (ت. ٢٩١هـ) في بغداد، فكيف يخفى هذا الإمام»[٧٥]

هذه الأعلام معظمها عاشوا في نصف الثاني من قرن الثالث أو في نصف الأول من قرن الرابع. هذا يؤكد أن هذه المقالات لمن عاش في ذلك الوقت.

٤) نقد المؤلف للحشوية في الأمور السياسية يدل أيضاً على وقت تأليف الكتاب، بأنه يصف الحشوية: «وهم العامة الدَّهْماء، أتباع الملوك وأهل الشكوك أعوان كل جبار طاغي وأنصار كل فاسق باغ يقبلون كلّ محال ويصدقون بكل باطل ويعينون كل فاجر ويطيعون كل جائر ويصحبون

٧٤ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٢، ص ٣١١.
٧٥ المقالات ورق ١٥١و.

كل ظالم»[٧٦] كما يعلم أنه في زمن المتوكل انتهى المحنة على أحمد بن حنبل وأتباعه وبدأ الضغط والمحنة على المعتزلة. هذه الفترة استمرت حتى زمن المعتاد والمهدي والقادر. وأيضاً ذكر في المقالات أن رجلا من أهل بغداد قد امتحن أمام القاضي في مسألة خلق القرآن. إذاً يمكن أن نقول إن المقالات كتب بعد المحنة. لذا يعيب مؤلفها على أتباع أحمد بن حنبل بشدة.

أخيراً هل يمكن أن تكون هذه المقالات لمؤلف زيديّ؟ إذا نظرنا إلى محتوى الكتاب لا نجد ما يدل على ذلك. أساساً لا يذكر المؤلف اسم الزيدية. مع هذا يقول: «وأما الشيع فنهم فرقة قائلة بالحق لازمة للصواب، ليس عندهم غلو، وهم الذين يقولون بالعدل والتوحيد، ويتولّون كل من تولاه علي بن أبي طالب، ويتبرؤون من كل من تبرأ منه علي بن أبي طالب من الذين ظهر منهم نكث أو أحداث في الإسلام»[٧٧] وهو يعني بهذه الفرقة مذهب الزيدية. لكن آراءه حول مسألة الإمامة موافقة لمذهب المعتزلة لا لمذهب الزيدية.

نتيجة لهذه الأدلة والمشاكل يصعب أن نقول إن هذه المقالات للجبائي، مع هذا نسبة الكتاب إلى مؤلف من المعتزلة الأوائل هو أمر لا شك فيه. بسبب ذكر المصادر خصوصاً ابن المرتضى بأن للجبائي كتاب المقالات وذكر الناسخ في بداية المجموعة التي فيها المقالات نسبة المقالات إلى الجبائي وعدم اطلاعنا على مؤلف المقالات بالضبط نسبنا كتاب المقالات إلى الجبائي وباسمه حققنا الكتاب.

ج- محتوى الكتاب

إن محتوى الكتاب لا يتوافق مع محتوى الكتب المعتزلية في مقالات المذاهب والفرق. هذه المقالات تسرد آراء المذاهب من المرجئة والحشوية والروافض والخوارج ثم ينقدها. أحياناً يذكر ما يتفرع من هذه المذاهب نحو القرامطة والنواصب والمجبرة والعثمانية والإمامية.

ينقد الحشوية بأنهم أسسوا معتقدهم على الأحاديث والشيعةَ في مسألة الإمامة، والمؤجئة في مسألة الإيمان.

٧٦ المقالات ورق ١٢٢و.

٧٧ المقالات ورق ١٤٦و.

لا يصنف مؤلف المقالات المذاهب كما صنف في سائر كتب المقالات. يذكر آراء المرجئة والحشوية والروافض والخوارج وما يتفرع من هذه المذاهب من غير تصنيف وترتيب. كما أنه لا ينصف المذاهب أيضاً لم يذكر حديث الافتراق «تفترق أمتي على ثلاث وسبعين...» ولا يذكر مصادره في نقل آراء المذاهب. بهذه الأوصاف كأنه كتاب كلامية ليس كتاباً في علم الفرق والمذاهب.

هذه المقالات من حيث التراث لمعتزلة البصرة هي أقدم الكتب في بابها. فيها ترى آراء معتزلة البصرة في الكلام والحديث والتفسير. هذا الكتاب من جهة مضمونه كتاب ناقد ليس كتاباً تصويرياً لأنه يسرد آراء المذاهب ثم ينقدها من وجهة نظر معتزلة البصرة. ينطلق في معظم نقده للمذاهب من القرآن لأنه يرى أن الدين يمتثل من القرآن. هذا من خصائص هذه المقالات. لذا نراه يعرض الأحاديث على القرآن ثم يرفضها. لذلك يمكن أن نقول إن هذه المقالات من أول الكتب المؤلفة في نقد الحديث.

د- نسخه

يقع كتاب المقالات في المجموعة المسماة بالفوائد في مكتبة شهارة في اليمن. لم نجد للكتاب نسخة أخرى غير هذه النسخة الوحيدة.

كتاب المقالات يقع بين ورق (١١٨) و(١٧٨). تليه كتاب موسومة بمسائل الفرائض بين ورق ١٨١-١٨٨ . النسخة تقع في (٦١) ورقة، ومقاسها (١٨٠x٢٥٠ مم) ومسطرتها ٢٩ سطراً. في كل سطر ١٥-١٤ كلمة.

وفي بداية النسخة نقص من قسم المقدمة. غير مكتوب فيه اسم الناسخ وموضع النسخ وزمنه. لكن في المجموعة ما هو معلوم تاريخ النسخ. وهو كتاب التحريش. قد نسخ في سنة ٥٤٠ الهجرية، وكتاب الفرائض لمؤلف مجهول، وهو نسخ أيضاً في عام ٥٤٠. في آخر كتاب المقالات يوجد قيد المقابلة. ذكر فيه أنه قوبل بالأصل. وأيضاً فيه تصحيحات. وبسبب تشابه خط كتاب التحريش وكتاب المقالات يمكن أن نقول إن كتاب المقالات نسخ في سنة ٥٤٠.

أول المقالات: (...) أم يبقى بعده حياً، وعن النفس أين موضعها من الجسد أهي في موضع واحد أم هي منبسطة في جميع الجسد، وعن العقل أين مسكنه من الإنسان، ونحو اختلافهم في نزول عيسى بن مريم[٧٨]

وآخرها: تم ذلك بمن الله وتوفيقه، والحمد لله على نعمه، وصلواته على رسوله سيدنا محمد وأهله وسلامه.[٧٩]

ه-عملنا في التحقيق

- قمنا بكتابة النص من النسخة المصورة من هذه النسخة الوحيدة الفريدة مراعين لقواعد الإملاء الحديث للعربية.

- خرّجنا الروايات المسندة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتب الأحاديث والتاريخ والتفسير.

- ذكرنا مصادر الأشعار الواردة في النص.

- ضبطنا الكلمات التي تحتاج إلى الضبط.

- ذكرنا تراجم الأعلام والعلماء الذين وردوا في الكتاب.

- وضعنا الآيات بين قوسين مزهرين نحو ﴿...﴾ والأحاديث بين أهلة مثل «...»

- أشرنا إلى نهاية كل صفحة من النسخة المخطوطة برقمها بين حاصرتين مثل [...]

- إذا كانت الآراء المنقولة من الجبائي في المصادر موافقة لما في هذه المقالات أشرنا إليها.

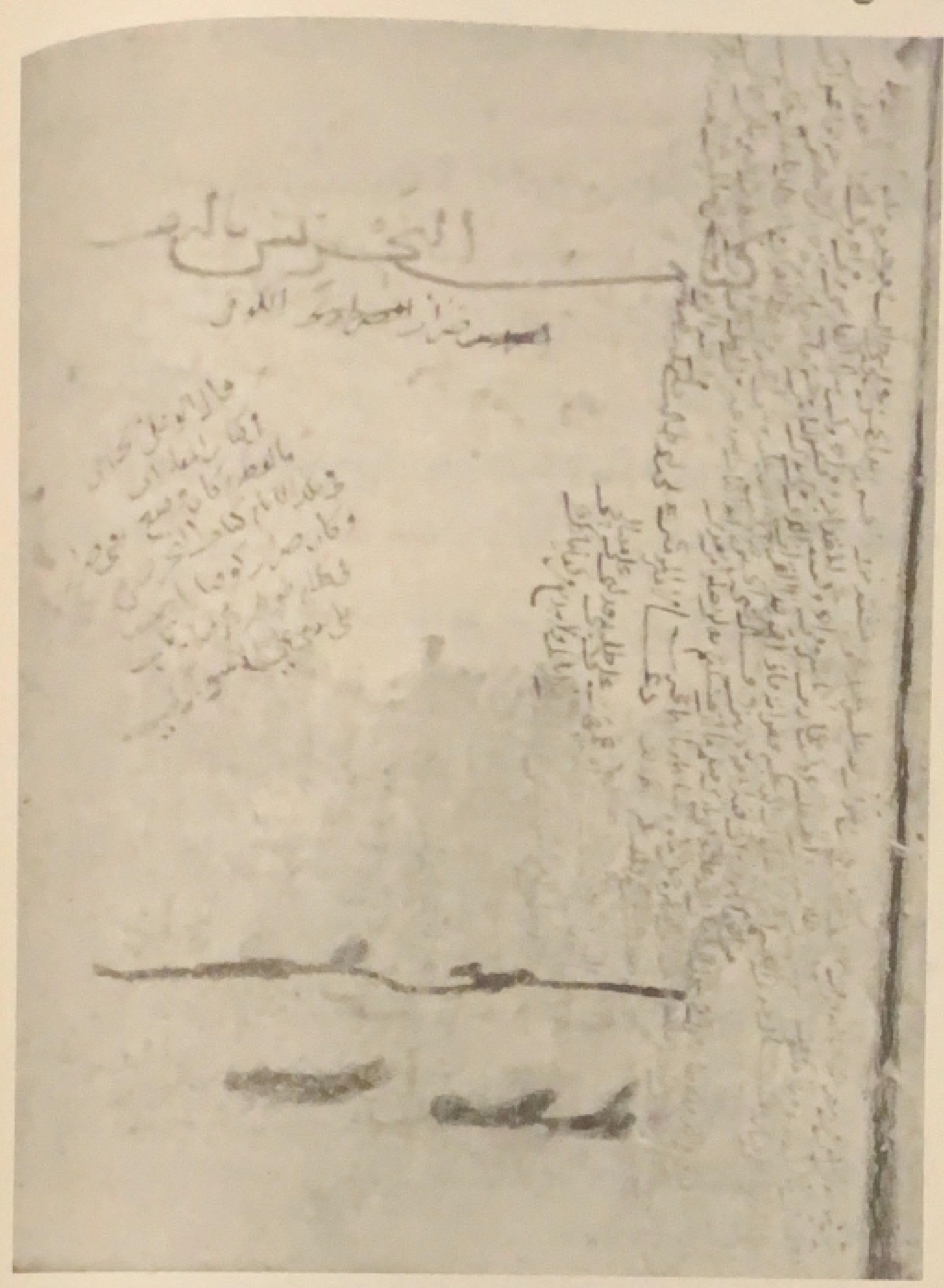
- قمنا بتفصيل النص وتوزيعه.

- قدمنا للكتاب بمقدمة عن حياة المؤلف وآثره وتلامذته ومنهجه ومحتوى الكتاب.

٧٨ المقالات ورق ١١٨و.

٧٩ المقالات ورق ١٧٨ظ.

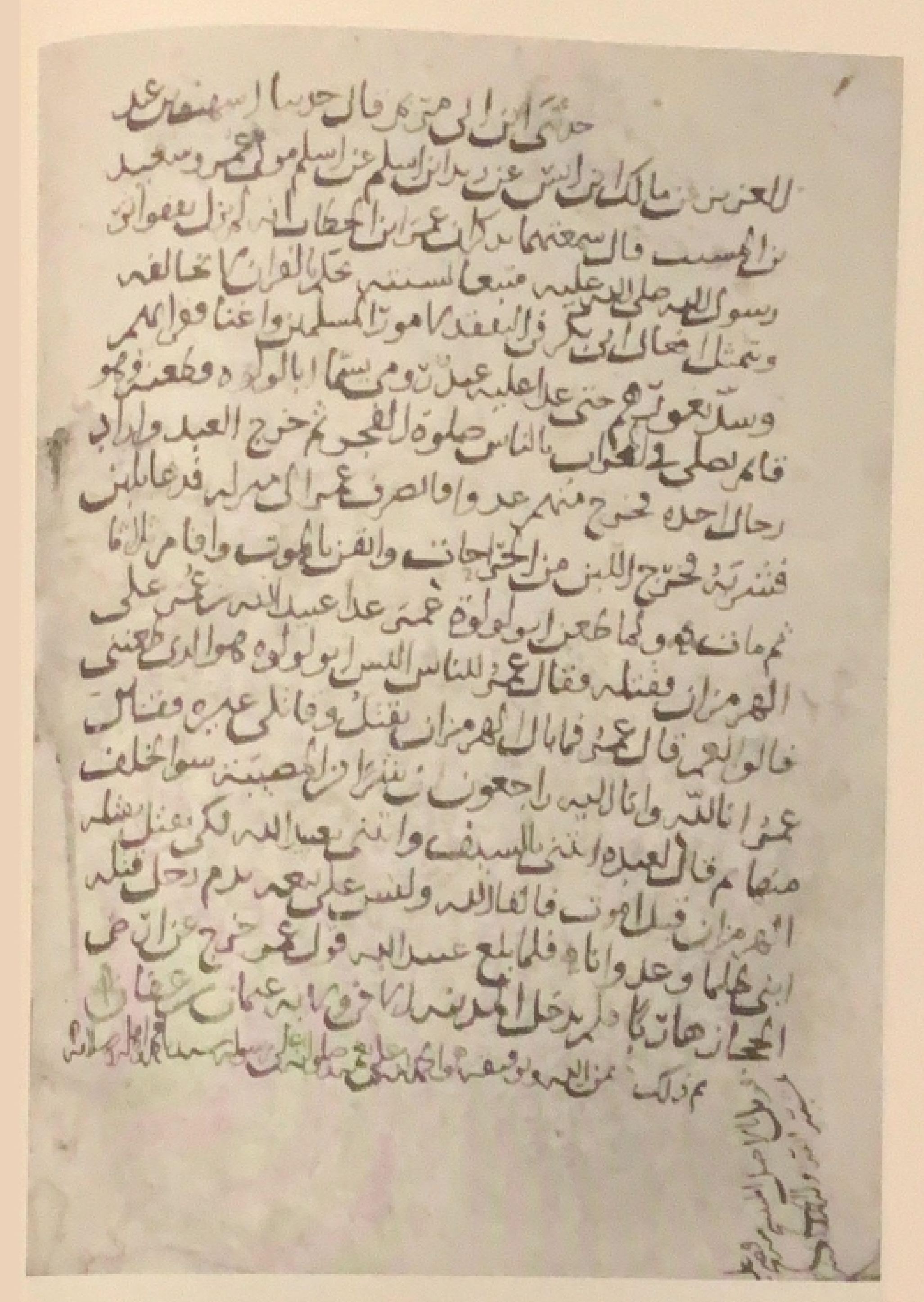
نماذج من النسخة:



[صفحة العنوان من كتاب االتحريش]

ام بقي بعده حيا وعن النفس اين موضعها من الجسد اهي في موضع واحد ام هي
منبسطة في جميع الجسد وعن العقل اين مسكنه من الانسان وتحو اختلافهم في
نزول عيسى بن مريم وفي خروج الدجال وتحو اختلافهم في الجنة والنار هل هما
مخلوقتان ام لا وتحو اختلافهم في عذاب القبر وتحو اختلافهم في خلق القرآن هل انقطعه
فرائضه او [illegible] لم يضع منه وتحو قولهم انه يجوز ان يكون شيء من القرآن منسوخا وتحو اختلافهم
في الامام هل يجوز ان يكون من غير اهل البيت ام لا وتحو اختلافهم في الحج بغير امام
منصوب هل يجوز ام لا وعن الجهاد والغزو والى الروم هل يجوز ذلك بغير امام
منصوب ام لا وعن السعي في وقت عدم الامام في الغلات هل يجوز ذلك ام لا
وتحو اختلافهم في اقامة الحدود بغير امام منصوب هل ام لا يجوز اقامتها حتى
نصبوا اماما وعن الزكاة هل يجوز ان يدفع الى غير الامام ام لا وهل
يجوز استرقاق اولاد الروم والترك الذين اصيبوا بغير دعوة امام منصوب
فانه يجب دار الاسلام ام لا وهل يوجد العبد في زماننا هذا ام الناس
كلهم احرار حتى ينصب امام يوذن اهل الشرك ويدعوهم الى الاسلام ثم ياخذ
خمس ما اصابوا من دار الحرب كما امر الله وتحو اختلافهم في المكاسب هل
يجوز ام لا وتحو اختلافهم في ان ابا آدم صلى الله عليه حج البيت ام لا وهل نصب
البيت الحرام قبل ابراهيم الخليل ام لا وعن سوالهم اي علة كانت الكعبة في
ارض الحجاز اقل البلاد خيرا واشدها حرا واقلها ماء ومرعا ولم يكن في
بلدان الترف والخصب وتحو اختلافهم في الطوف لغير عذر وتحو اختلافهم
هل اسري برسول الله صلى الله عليه الى السما السابعة كما يعتقد العوام ام
وهل يجوز الصلاة خلف غير الامام ام لا وعن فعل الروافض من ترك صلوة

[الصفحة الأولى من المقالات]



حدثني ابن ابي مريم قال حدثنا اسمعيل عن عبد
العزيز بن مالك بن انس عن زيد بن اسلم عن اسلم مولى عمر وسعيد
بن المسيب قال سمعتهما يذكران عمر بن الخطاب انه لم يزل يعمل بسنة
رسول الله صلى الله عليه متبعا لسنته عاملا بالقرآن لا يخالفه
وتمثل فعال ابي بكر في التفقد لامور المسلمين واغنا فقرايهم
وسد عورتهم حتى عدا عليه عبد رومي يسمى ابا لولوه وطعنه وهو
قايم يصلي في المحراب بالناس صلوة الفجر ثم خرج العبد واراد
رجال اخذه فخرج منهم عدوا وانصرف عمر الى منزله فدعا بلبن
فشربه فخرج اللبن من الجراحات واتقن بالموت واقام ثلثا
ثم مات رضه ولما طعن ابو لولوه عمر عدا عبيد الله بن عمر على
الهرمزان فقتله فقال عمر للناس اليس ابو لولوه هو الذي طعنني
قالوا نعم قال عمر فما بال الهرمزان يقتل وقال لي عبيد وقتال
عمر انا لله وانا اليه راجعون نثرا في المصيبة سوء الخلف
منا ثم قال لعبيد الله اتني بالسيف واتني بعبد الله لكي يقتل بقتله
الهرمزان فلما مات قال اتق الله وليس على بعبد الله دم رجل قتله
ابني ظلما وعدوانا فلما بلغ عبيد الله قول عمر خرج عن ارض
الحجاز هاربا ولم يدخل المدينة الا في ولاية عثمان بن عفان

[الصفحة الأخيرة من المقالات]

كتاب المقالات

[مقدمة الكتاب]

بسم الله الرحمن الرحيم

/[١١٨و] [... وعن الروح، هل يفنى بفناء الجسد] أم يبقى بعده حياً، وعن النفس أين موضعها من الجسد أهي في موضع واحد أم هي منبسطة في جميع الجسد، وعن العقل أين مسكنه من الإنسان، ونحو اختلافهم في نزول عيسى بن مريم وفي خروج الدجال، ونحو اختلافهم في الجنة والنار هل هما مخلوقتان أم لا، ونحو اختلافهم في عذاب القبر، ونحو اختلافهم في خلق القرآن وهل تعلمه فريضة أو فضل أو تطوع، ونحو قولهم: لا يجوز أن يكون شيء من القرآن منسوخاً، ونحو اختلافهم في الإمام هل يجوز أن يكون من غير أهل البيت أو لا، ونحو اختلافهم في الحج بغير إمام منصوب هل يجوز أم لا، و في الجهاد والغزو إلى دار الروم هل يجوز ذلك بغير إمام منصوب أم لا، وعن السفر في وقت عدم الإمام في التجارات هل يجوز ذلك أم لا، ونحو اختلافهم في إقامة الحدود بغير إمام منصوب أم لا تجوز إقامتها حتى ينصبوا إماماً، وعن الزكوات هل يجوز أن تدفع إلى غير الإمام أم لا، وهل يجوز استرقاق أولاد الروم والترك الذين أصيبوا بغير دعوة إمام منصوب قبل تهذيب دار الإسلام أم لا، وهل يوجد العبيد في زماننا هذا أم الناس كلهم أحرار حتى ينصب إمام يؤذن أهل الشرك ويدعوهم إلى الإسلام ثم يأخذ أخماس ما أصابوا من دار الحرب كما أمرنا الله، ونحو اختلافهم في المكاسب هل يجوز أم لا، ونحو اختلافهم في أن أبانا آدم صلى الله عليه حج البيت أم لا، وهل بني البيت الحرام قبل إبراهيم الخليل أم لا، وعن سؤالهم لأيّ علة كانت الكعبة في أرض الحجاز أقل البلدان خيراً وأشدّها حراً وأقلها ماء ومرعىً ولم تكن في بلدان الريف والخصب، ونحو اختلافهم في الطلاق لغير عدة، ونحو اختلافهم هل أسري برسول الله صلى الله عليه إلى السماء السابعة كما زعمت

العوام أم لا، وهل يجوز لأحد أن يحلف بغير الله أم لا، وعن قول الروافض[٨٠] من نسي صلاة [١١٩ظ] أو نام عنها فلا إعادة عليه، ومن اجتنب في منامه فلا غسل عليه، ونحو اختلافهم في نكاح المتعة وفي نكاح الأطفال وهل يجوز نكاح اليهودية والنصرانية أم لا، وهل يجوز ذبائح اليهود والنصارى أم لا، ونحو اختلافهم في المسح على الخفين وفي جلود الميتة وأصوافها وعصبها، ونحو اختلافهم في الشاهد مع اليمين، ونحو اختلافهم في أكل لحوم الخيل والبغال والحمير والسباع، ونحو اختلافهم في الحر يقتل بالعبد والرجل بالمرأة، ونحو اختلافهم في ولد الزنا هل يرث مال أبيه وهل تجوز الصلاة في المكان النجس وهل تجوز الصلاة في الثوب النجس أو في الثوب إذا كان أصابه المني فهل يفرك كما رووا عن عائشة[٨١]، وعن الصلاة في الثوب يقع عليه الشراب، ونحو اختلافهم في قيام شهر رمضان، ونحو اختلافهم في صلاة الضحى وفي القنوت في صلاة الفجر، وهل صلاة الوتر واجبة كما زعم أبو حنيفة، وفي الضحك هل تقطع الصلاة أو ما مر بين يدي المصلي، ونحو اختلافهم فيمن زاد أو نقص في صلاته ساهياً هل يعيد أو يبني على ما تيقن ثم يسجد سجدتين، وهل تجوز الصلاة في جماعة عند فقد الإمام، وهل يجوز أن تصلى الجمعة خلف من هو رعية وليس بأمير ولا بمأمور، ونحو اختلافهم في تقصير الصلاة في السفر بغير خوف، ونحو اختلافهم في الجمع بين الصلوات بغير علة، وهل يجوز للإمام أن يستخلف غيره إذا هو أحدث ثم يبني المستخلف على ما صلى بهم الإمام، وهل يجوز ترك القراءة في الركعتين الآخرين أم لا بد من القراءة فيهما، وهل بين الله الصلوات الخمس في القرآن كم عدد ركوعهن، وعن الاستنجاء هل هو فرض أم فضل أم تطوع، ونحو اختلافهم في قراءة بسم الله الرحمن الرحيم، ونحو اختلافهم في رفع اليدين عند تكبيرة الافتتاح في الصلاة، وعن قول الناس خلف الإمام آمين إذا ختم فاتحة الكتاب، ونحو اختلافهم في صلاة الكسوف،

٨٠ الروافض: يستخدم هذا المصطلح لمن ينتحل التشيع، ويسميهم صاحب هذا الكتاب احيانا الرافضة. سمي الشيعة بالرافضة نعتاً مذموماً. وهناك اقوال مختلفة عن سبب تلقيبهم بذلك. عند أبي الحسن الأشعري إنما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر وهم مجمعون على أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه وأظهر ذلك وأعلنه وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي. يقول ابن المرتضى: سموا رافضة لرفضهم امامة زيد بن علي وقيل لتركهم نصرة النفس الزكية. راجع: أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص ١٦؛ أحمد بن يحيى بن المرتضى، طبقات المعتزلة، ص ٤٧.

٨١ يشير إلى حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «كنت أفرك المني من ثوب رسول الله ثم يصلي فيه»، مسلم، الطهارة، ج ١، ص٢٣٨، (٢٨٨)، وأبو داود، الطهارة، ج ١، ص ٢٧٦، (٣٧٢)

واختلافهم في /[١١٩و] التكبير على الجنائز، ونحو اختلافهم في الأذان والإقامة، وهل يجوز التطريب للمؤذن إذا هو أذّن، وهل يجوز أن يقرأ القرآن بألحان، وهل يجوز لأحد أن يجمع الصلاة في غير المسجد الجامع، وهل يجوز لأحد أن يبني مسجداً في قرية وفيها مسجد جامع، وما سبب التحلق[٨٢] في المساجد، وهل يجوز رفع الصوامع حتى شرف منها على الناس، وهل يصلي الناس عند الاستسقاء أم يستسقون ويدعون الله ربهم من غير صلاة، ومتى وقت صلاة العيدين، وعمن جامع في شهر رمضان هل أفطر، وقولهم «عجّلوا الفطور وأخروا السحور»[٨٣] هل يجوز لنبي أن يقول مثل هذا القول وهل يحتجم الصائم، ونحو اختلافهم في صوم يوم الشك، وفي رجم المحصن، وهل يصح علم النجوم في درك علم الغيب، وهل الطب إنما أدرك بالتجربة كما زعمت الهند أن الطب إنما هو تجربة وعلم الغيب يدرك بالنجوم، وهل يصح حديث المهدي وحديث السفياني أو حديث فَدَك أن أبا بكر انتزعها من فاطمة ظلماً وقسراً أو هو شيء وضعه المحادّ ونحو اختلافهم في الذبيح أهو إسماعيل أم هو إسحاق، وفي العلامة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم، وفي سليمان كيف غاب عنه خبر قوم سبأ ولم يعرف ذلك حتى جاءه الهدهد يخبرهم، وهل يجوز أن يحج أحد عن أحد، ونحو اختلافهم في الشفاعة، ونحو اختلافهم في إلياس وفي الخضر صلى الله عليهما، وهل يصح عمل السحر لمدعيه، ومن يصح خبر السلسلة التي كانت معلقة من السماء بإزاء الصخرة على بيت المقدس فيما زعمت الحشوية[٨٤]، ونحو اختلافهم في معاصي الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، وعن سليمان بن داود صلى الله عليه كيف يجوز أن يجهل نبي من أنبياء الله سبحانه أرضاً فيها قوم يعبدون الشمس وقد سخر الله له الريح والطير

٨٢ وفي الأصل: الحلق

٨٣ أحمد بن حنبل، مسند، ج ٥، ص ١٤٧؛ ومسلم، الصيام، ج٢، ص ٧٧١، (١٠٩٨).

٨٤ صاحب هذا الكتاب والمعتزلة ونحوهم يسمّون أهل الحديث بالحشوية. المعتزلة يطلقونها على كلّ من قال بالصفات وأثبت القدر، وجميع الحشوية يقولون بالجبر والتشبيه وما اشبه ذالك. عند المعتزلة هؤلاء لا سلف لهم وإنما تمسكوا بظواهر الأخبار ولا يرجعون الى تحقيق ولا نظر. ويلتمسون الحديث ويتديّنون به. (القاضي عبد الجبار، المنية والأمل، ص ١١، ابن المرتضى، طبقات المعتزلة ص ٦، نشوان الحميري، الحور العين. ص٢٠٤، البلخي، كتاب المقالات، ص٢٠٣) وقال ابن تيمية فأما لفظ الحشوية فليس فيه ما يدل على شخص معين فلا يدرى من هم هؤلاء؟ وقد قيل إن أول من تكلم بهذا اللفظ شيخ المعتزلة عمرو بن عبيد. وكأن هذا اللفظ في اصطلاح من قاله يريد به العامة الذين هم حشو، كما تقول الرافضة عن مذهب أهل السنة. وانظر ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج ٢، ص ٥٢٠.

والشياطين وإنما كان ملك سليمان إما بأرض الشام وإما بأرض بابل ونحن قد نعرف اليوم جميع ملوك الأرض، وهل /[١٢٠ظ] ينقص أجل القتيل أو قتل بأجله، ونحو اختلافهم في تحريم النبيذ وهل على من شرب النبيذ حد وفي أيّ حالة من السكر يجب عليه الحدّ.

وأنا مفسر ذلك إن شاء الله باباً باباً وموضح ما التبس منه بأبين الحجة وأوضح الدلالة حتى يكون من علم جميع ذلك الاختلاف صوابُه على يقين لا شك معه وعلى بيان لا لبس معه وعلى إيضاح لا إشكال معه. ولا قوة إلا بالله وما النصر إلا من عنده.

وذلك أن أهل الاختلاف إنما أتوا من عند أنفسهم لا من قبل خالقهم، لأن الله سبحانه قد جعل لهم آلة يميزون بها الحق من الباطل والخير من الشر والصواب من الخطأ والهدى من الضلالة، وبين لهم ما يأتون وما يذرون. لأن الله سبحانه قد حذّرهم وأنذرهم وبين لهم وفسّر حتى ما يأتون خطيئة من جهالة ولا يتركون الهدى من تقصير بيان: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢].

ولكنّ الناس فتحوا على أنفسهم أبواب الشهوات وسهل عندهم طلب اللذات واتبعوا أهوائهم المرديات فطاعوا التهماتهم وانقادوا لشهواتهم واستعملوا الذعة والنزك لدراسة القرآن والتدبّر لآياته والتفقه في فنونه، فهم كما قال الله سبحانه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]، ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٤]، ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠]. وهم عن الصراط ناكبون، وعن دين الله صادّون، وعن الحقّ يعمهون، ﴿وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨].

اعلم رحمك الله أن أصل اختلاف الناس من قبل أمرين: إما جهلا بما يدعون وإما جحوداً بما يعلمون والجاهل بما يدعي أرجى رجوعاً من الجاحد لما يعلم ولذلك يقول الشاعر:

ما الناس غير جحود ذي مكابرة وجاهل عن طريق الحق مصروف /[١٢٠و]

هَبْنِي عذرت أخي في جهل مشكله فكيف أعذره في جهل معروف

وإن ذا الجهل قد ترجى إنابته وذا الجحود فلن يرجى لتعريف[85]

فلو كان ذو العلم ينصف في مناظرة ويقر بما يعلم ويكل ما يلزمه ويترك المكابرة والجحود لتبين الصواب بين المناظرين واتضح الحق للفريقين. ولو أنّ الجاهل لزم طلب العلم والتفقه في أمر الدين وناصح نفسه لما خفي عليه موضع الصواب. لأنّ الله سبحانه أنزل علينا القرآن تبياناً لكل مشكلة وتفصيلا لكل معضلة وإيضاحاً لكل مظلمة، يدل على ذلك قوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقوله: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٣]، وقوله: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠]. فالقرآن هو حكم الله. فلو أنهم ردوا جميع ما اختلفوا فيه إلى هذا القرآن وإلى ما أجمع عليه المسلمون وإلى النظر بالعقول التي هي حجة الله على عباده لكان الائتلاف وارتفع الاختلاف ولوجب الاتفاق وانقطع الافتراق ولزالت المشاغبة ولرغب في دين الإسلام كثير ممن عَنَدَ عنه، لكن رغبوا عنه لكثرة ما يرون من الاختلاف بين المنتحلين من أهل ملّة الإسلام .

85 لم نعثر إلا على البيت الثاني من الشعر. انظر: معاوية بن عبد الله بن جعفر، مختار من كتاب الحدائق، دارالكتب المصرية: رقم ٧٧، ٦٨ظ.

ذكر المرجئة

فأول ذلك المرجئة[٨٦] الذين أرجوا وشكوا ووقفوا في وعيد الله وعذابه رداً لقول الله سبحانه: ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ﴾ [ق: ٢٨]، ورداً لقوله: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]، ورداً لقوله: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٤]، ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]. ضاهوا في ذلك قول الذين ذكرهم الله سبحانه حيث يقول: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ [الأعراف: ١٦٩]، فطمعوا أن يغفر الله لهم من غير أن يتوبوا. فأكذبهم الله سبحانه بقوله: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]. ثم أكد ذلك بقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]. ثم أكد عذابهم بقوله: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ١٩] /[١٢١ظ]. ثم قطع رجاءهم من المغفرة بغير توبة نصوح فقال: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].

وزعمت المرجئة أن الإيمان إنما هو قول بلا عمل[٨٧]. فأكذبهم الله سبحانه في كتابه حيث يقول: ﴿الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ١-٢] يعني أظنَّ الناس أن يتركوا أن يقولوا قد آمنّا ثم لا يمتحنون بالأعمال التي هي الصالحات الدالة على نيات فاعليها. ولو كان الإيمان قولاً بلا عمل لما عرف رسول الله صلى الله عليه المنافقين الذين

٨٦ المرجئة: هم أهل الارجاء، وهم فرقة من فرق الاسلام، سميت بذلك لتركهم القطع بوعيد الفساق وذلك هو جامع مذهبهم. لأنهم يرجون أمر أهل الكبائر. اختلفت المرجئة في الإيمان ما هو وهم اثنتا عشرة فرقة. انظر: أحمد بن يحيي بن المرتضى، كتاب القلائد في تصحيح العقائد، ص٤٩-٥٠؛ نشوان الحميري، الحور العين، ص٢٠٣؛ مقالات الإسلاميين، ص١٣٢-١٥٤. البلخي، كتاب المقالات، ص ١٩٩-٢٠١.

٨٧ الجبائي يزعم أن الإيمان لله هو جميع ما افترضه الله سبحانه على عباده وأن النوافل ليس بإيمان. انظر: مقالات الإسلاميين، ص ٢٧١.

أمره الله بجهادهم حيث أنزل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣]. ثم دل عليهم بما كلفهم من العمل الدال على نية فاعليه فقال يا محمدُ قل لهم: ﴿اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

ولو كان الإيمان إنما هو قول بلا عمل لما احتاج أهل الأديان المخالفة لدين الإسلام إلى[88] أن يرسلوا رجلا من قبلهم إلى كل قرية هي للمسلمين. ويدعي الرجل المشرك الإسلام بلسانه ثم يركب ما شاء وما أحب من الفسق والنهب والقتل إذا هو لم يجد مانعاً، ثم يقول للناس أنا مسلم بل الله سبحانه بين في كتابه أن الإيمان لا يكون إلا قولا وعملا، يدل على ذلك قوله: ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾ [الكهف: ٢]. فأوجب البشرى للمؤمنين بالعمل الصالح. وكذلك قال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤]. فلم يوجب الله سبحانه لأحد إيماناً لا عمل معه.

واعتلت المرجئة بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]. ولو تدبروا الآية لاستدلوا بها فيمن تاب دون من لم يتب، وذلك أن ابن عباس قال: نزلت هذه في وحشي بن حرب النوفلي قاتل حمزة، وفي هند بنت عتبة بن ربيعة وفي قوم كانوا قد أسرفوا على أنفسهم وقتلوا]/ ١٢١و[رجالا من المسلمين وقالوا: لن يقبل الله منّا إسلاماً وقد أسرفنا على أنفسنا بأكثر ممّا فعل غيرنا من المشركين. فأنزل الله في ذلك على نبيه: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]. ثم قال: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤]. فهذا يدلك أن الغفران لا يكون من الله سبحانه لمن عصاه إلا بعد التوبة والإنابة والندم والاستغفار. لأنه يقبل التوبةَ والإنابة عن عِباده وَيَعْفُو عن السّيّئات ويعلم ما تفعلون.

فزعمت المرجئة أن الله سبحانه يغفر لمن لم يتب وردوا هذا المحكم المنصوص البين الواضح الذي لا يحتمل تأويلا وأرجوا في الوعيد كما ينادون من مكان بعيد. فوافقوا أهل الإلحاد من السوفسطائية والسمنية من الدهرية والثنوية والمجوس والحرنانية[89] والصابئة والنصارى في تكذيبهم الأخبار وجحدهم النبوة. فنعوذ بالله من العمى.

٨٨ في الأصل «إلا» لكن المراد هنا «الى» لذا أثبتناه.

٨٩ هم جماعة من الصابئة، لمزيد من المعلومات انظر الشهرستاني، الملل والنحل، ج ٢، ص١١٥.

ذكر الحشوية العوام

ثم الحشوية الحيارى النُّوّام السكارى وهم العامة الدَّهْماء، أتباع الملوك وأهل الشكوك أعوان كل جبار طاغي وأنصار كل فاسق باغ يقبلون كلّ محال ويصدقون بكل باطل ويعينون كل فاجر ويطيعون كل جائر ويصحبون كل ظالم ويقبلون الحديث ويتركون القرآن، والحديث أكثره متناقض مخالف بعضه لبعض.

ومن حديث يحيى بن مقاتل[٩٠] عن مالك بن أنس عن زيد بن أسلم مولى عمر عن عمر بن الخطاب قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كتب عني غير القرآن فليمحه»[٩١]

ومن حديث إسماعيل بن إسحاق[٩٢] عن الحجاج بن المنهال عن حماد بن سلمة عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال: /[١٢٢ظ] قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيها الناس تعلموا القرآن وتفقهوا فيه و تدبروا آياته وامتثلوا إسلامكم منه[٩٣] ولا تكتبوا عني شيئاً سواه فمن كتب عني شيئاً سوى القرآن فليمحه»[٩٤]

وحدثنا هلال بن العلاء[٩٥] عن علي بن معبد عن شعبة بن الحجاج عن قتادة بن دعامة عن

٩٠ «مقاتل» عن أنس بن مالك رضي الله عنه ليس حديثه بالقائم ولا المعروف قاله الأزدي كتب عنه ابن أبي عروبة انتهى وقال ابن حبان في الثقات لا أدري من هو. لسان الميزان ج ٦، ص ٨٤ .

٩١ مسلم، الزهد و والرقائق، ج ٤، ص ٢٩٨ (٣٠٠٤).

٩٢ إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن محدث البصرة حماد بن زيد بن درهم الأزدي، قاضي بغداد، وقد ولي قضاء بغداد اثنتي وعشرين سنة، مولده سنة تسع وتسعين ومائة. وسمع من وحجاج بن منهال. توفي لجاءة في ذي الحجة سنة اثنتي وثمانين ومائتين. انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٦، ص ٧١٧، ابن العماد العكري، شذرات الذهب في أخبار من ج٣، ص ٣٣٤.

٩٣ لم نجد هذا القسم في المصادر.

٩٤ أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج ١٧، ص١٤٩.

٩٥ هلال بن العلاء بن هلال بن عمر بن هلال ابن أبي عطية الباهلي، أبو عمر الرقّي. عالم الرقة. روى عن إسحاق بن الضيف، وحجاج بن محمد المصيصي، وحجاج بن منهال. مات بالرقة سنة ثمانين ومئتين أو إحدى وثمانين ومئتين. المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج ٣٠، ص ٣٤٦ -٣٤٨، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص ٣٠٩-٣١٠.

شعبة مولى بن عباس عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في اليوم الذي مات فيه: «أيها الناس تعلموا القرآن وامتثلوا إسلامكم منه[٩٦] وكل ما جاءكم عني موافقاً للقرآن فهو مني وأنا قلته، وما جاءكم عني من خبر مخالف للقرآن فلا تقبلوه[٩٧] فقد كذب عليّ فيه ومن كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار»[٩٨] فتركوا هذه الأحاديث الموافقة للقرآن وقبلوا كل حديث مخالف للقرآن.

وحدثني عبد الملك بن عبد العزيز[٩٩] قال: سمعت يحيى بن معين يقول: أفنيت عمري في طلب الحديث جهلا ولو استقبلت من أمري ما استدبرت ما اشتغلت بغير القرآن.

وحدثني عبد الملك أيضاً عن الفضل بن دكين[١٠٠] عن سفيان الثوري قال: لقد أفنيت عمري في جمع الحديث وأراه زائداً ورأيت منذ عرفت الدنيا الخير ناقصاً والشر زائداً فلو كان الحديث خيراً لنقص بنقصان الخير.

فقبلت الحشوية كل حديث موضوع وكل باطل مسموع وكل ما هو للباطل موافق وللصواب مخالف، نحو ما رووه عن ابن عمر أنه قال: «ترون ربكم كما ترون القمر في ليلة البدر لا تضامون في رؤيته»[١٠١] رداً لقوله ﴿**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [الأنعام: ١٠٣].

ورووا بزعمهم عمن يثقون به أن الله سبحانه ينزل يوم عرفة على جمل أحمر في قفص من ذهب /[١٢٢و] عليه قطيفة أرجوان، وحوله أحراس من الملائكة يحرسونه له حجب تحجبه عن الأبصار،

٩٦ لم نجد هذا القسم في المصادر.

٩٧ الشافعي، الرسالة، ص ٢٢٤؛ ابو يوسف، الرد على سير الأوزاعي، ص ٢٧.

٩٨ البخاري، العلم، ص ٤٠، (١٠٦-١١٠)؛ ابن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، ج ٥، ص ٢٩٦.

٩٩ لم أقف على ترجمته فيما أطلعت عليه من المصادر.

١٠٠ هو أبو نعيم الفضل بن دكين بن عمرو بن حماد بن زهير بن درهم التيمي الطلحي القرشي، مات في سنة تسع عشرة ومائتين بالكوفة او آخر سنة ثمان عشرة ومائتين. سمع سفيان الثوري، وشعبة وأبا حنيفة، وابن أبي ليلى، وسواهم انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص ١٤٨-١٤٢.

١٠١ البخاري، التوحيد، ص ١٨٣٤، (٧٤٣٦)، لنحو هذه الرواية انظر مسلم، المساجد، ج ١، ص٤٣٩ (٦٣٣).

فإذا أراد أن يكرم نبياً من أنبيائه أو أحداً من خلقه رفعت الحجب فكانت الأبصار له مدركة[١٠٢]، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي يوم القيامة يحمله فوق رقبته ويبصره جميع الخلائق. وذلك بزعمهم المقام المحمود الذي وعده في كتابه حيث يقول: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] رداً لقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

فصرفت الحشوية الحيارى النوام السكارى عبادتهم إلى غير خالقهم لتشبيههم إياه بخلقه كما سمعوا من إخوانهم الروافض هشام بن الحكم[١٠٣] وشيطان الطاق[١٠٤] ومن وافقهم في مقالتهم حين قالوا: هو صورة لا كالصور وله يد لا كالأيدي، وهم مع هذا القول الخبيث الزائف المحال يعيبون على عباد الأصنام فعلهم وقبح دينهم وهم لهم موافقون، لأن كل من عبد صورة معمولة كانت أو ممثلة في قلبه فقد أشرك بربه. فإذا قلنا لهم: ويلكم اتقوا الله ربكم لا تكفروا، ولا تشبهوه بخلقه، فقد أنبأ في كتابه أنه ليس كمثله شيء وليس أحد يحيط به علماً ولا تحيط به الأبصار. قالوا: أنتم بدعية ونحن سنيّة نصفه بما وصف به نفسه. لأنه قد قال في كتابه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]. وقال لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] وقال لموسى وهرون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩]. فأنتم الذين تردون ظاهر القرآن وتخالفون السنة والجماعة ونحن لا نخالف السنة والجماعة.

قلنا لهم: إن القرآن أنزله الله سبحانه شيئين: فمنه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات، والآيات المحكمات هي المنصوص البين الذي لا يحتمل تاويلا نحو قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾ [المائدة: ٣]، ونحو قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ /[١٢٥ظ]

١٠٢ بألفاظ المختلفة انظر ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ص ٥٣، السيوطي، اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، ج ١، ص ٢٨.

١٠٣ هو هشام بن الحكم أبو محمد الكوفي، انتقل إلى بغداد سنة تسع وتسعين ومائة ويقال إن في هذه السنة مات، مولده الكوفة، ومنشأه واسط، وتجارته بغداد، من أصحاب أبي عبد الله جعفر بن محمد. كان من متكلمي الشيعة وكان حاذقا بصناعة الكلام حاضر الجواب. النجاشي، رجال النجاشي، ج ١، ص ٢٣٤. ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة، ج ١، ص٢١٧.

١٠٤ هو محمد علي بن نعمان بن أبي طريفة البجلي الكوفي أبو جعفر الملقب شيطان الطاق والشيعة تلقبه مؤمن الطاق، نسبة إلى دكانه في طاق من أسواق الكوفة. انظر ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج ٧، ص ٣٧٤، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٩، ص ٢١٣، النجاشي، رجال النجاشي ج ١، ص ٣٢٥.

وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ﴾ [النساء: ٢٣] وقوله: ﴿لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء: ٣١]، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الأسراء: ٣٣]، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾ [الإسراء: ٣٢]

وأما قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] فهي من الآيات المتشابهات، وكذلك اليد له تأويل خلاف ظاهره كقوله: ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٩]. والمال لا رأس لها وكما قال: ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [التوبة: ٦٠] والسبيل هو الطريق لا ابن له وكما قال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، معناه يبقى ربك، وكل شيء يفنى إلا ربك.[١٠٥]

وكذالك قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٥]. معناه رجال يوم القيامة تكون وجوههم ناضرة وهم منتظرون إلى ما يأتيهم من ربهم من البشرى والتُحَف، وهم أهل الطاعة في دار الدنيا ورجال يومئذ وجوههم باسرة يظنون ويخافون أن تعفر وجوههم وتلحى جلودهم. لأن الوجه لا يظن أبداً وإنما الإنسان هو الذي يظن، فمعنى ناظرة، منتظرة كقوله في سورة البقرة: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠] يعني انتظار إلى ميسرة. ومثل ذلك قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣] يعني غير منتظرين وقته. وكذالك قوله: ﴿بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] يعني القوة والقدرة والنعمة، وقد قال يزيد بن عبد المدان[١٠٦] يمدح عمرو بن معدي كرب[١٠٧] حين فتك بابن قيفان:

١٠٥ يقول الجبائي" إن المحكم ما لا يحتمل إلاً وجهاً واحداً، والمتشابه ما يحتمل وجهين فصاعداً" راجع فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، ج ٢٧، ص ٢٠٠.

١٠٦ يزيد بن عبد المدان بن الديان بن قطن، من بني الحارث بن كعب، شاعر، من أشراف اليمن. وقد ذكره أبو الفرج في الأغاني مع الأربعة الذين قتلوا يوم الكلاب الثاني (في الجاهلية) واسم كل منهم يزيد. إلا أن ابن إسحاق ذكر اسمه فيمن وفد على الرسول من اليمن سنة ١٠ فأسلم ذلك سنة عشر. الزركلي، الأعلام ج٨، ص ١٨٥، ابن الأثير، أسد الغابة، ج٤، ص٧٢٨.

١٠٧ عمرو بن معدي كرب الزبيدي يكنى أبا ثور، في الجاهلية وقائع. أحد الفرسان المشاهير الأبطال، قدم على رسول الله سنة تسع وقيل عشرة، وقد أدرك الإسلام. ارتد مع الاسود العنسي فأسر واستتابه ابو بكر فتاب حسن اسلامه. الطبراني، المعجم الكبير، ج ١٧، ص ٤٦، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٧، ص١١٩.

يد لأبي ثور علينا ونعمة وطول - فما في الناس أفضل من عمرو.

وقال آخر:

وكم من يد قدمت أو فضل نعمه - سبقت بها كل العشرة يا عمرو

/[١٢٥و] كذلك قوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩] معناه لن يخفى عليّ ما يصنعون بك يا موسى، ولو كانت العين كما ظن الجاهلون المشبهون لخالقهم لما كان فرق بين الخالق والمخلوق وبين الصانع والمصنوع وبين القديم والمحدث. وقد قال في موضع آخر: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ [يس: ٧١]. فقد ذكر هاهنا أيدٍ كثيرة. وإنما خاطب الله العرب بلغتهم وبالمفهوم عندهم.

ورووا أيضاً بزعمهم عن ثقاتهم ومن لا يشكون في فضل علمه أنه قال في تفسير هذه الآية ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] أنه إذا كان يوم القيامة يمثل الله لكل أمة كانت بعيدة في دار الدنيا ثم يتبع كل طائفة معبودها، عبدة الشمس يتبعون الشمس وعبدة النجوم يتبعون النجوم وعباد الأصنام يتبعون الأصنام حتى ينفضّ كل أهل الجمع ولا يبقى إلا أهل التوحيد فيقال لهم: مالكم قيام حيارى، وقد انفض الجمع وذهب عنكم الناس وماذا تنظرون فيقولون بزعمهم: نحن أهل التوحيد وننتظر ربنا فيقول لهم بزعمهم: أنا ربكم فيقولون له: لست ربنا، ويقومون إليه ويهمون بأن يباطشوه فيقول لهم: ويلكم أنا ربكم ثلاث مرات فيقولون له :كلا وربنا لست أنت هو لأن بيننا وبينه علامة فإذا هو فعلها وعرضها علينا عرفناه وتبعناه فيقول لهم: وما تلك العلامة فيقولون: هو أن يكشف لنا عن ساقه، قالوا: فيضحك عند ذلك حتى تبدو نواجذه ثم يكشف لهم ساقه فيخرون له ساجدين، فيقول لهم بزعمهم: ارفعوا رؤوسكم فطالما سجدتم لي في دار الدنيا ولكن ليعفو بعضكم عن بعض فقد غفرت لكم أجمعين.[١٠٨] وهو بزعمهم تفسير قوله: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١] و﴿يَوْمَ

١٠٨ لنحو هذه الرواية بغير كلمة الساق انظر. البخاري، التفسير، ص ١٢٤٧،١١٢٧ (٤٥٨١،٤٩١٩)؛ مسلم، الإيمان، ج١، ص ١٦٣ (١٨٢).

﴿يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] فتعالى الله عما يقول الضالون الجاهلون علواً كبيراً. وإنما معنى /[١٢٦ظ] الساق في هذه الآية أمر عظيم يحل بالناس كما قال الشاعر:

جريّ على الأعداء في حَوْمَة الوَغْي إذا قامت الحرب العَوَانُ على ساق

معناه إذا اشتدت الحرب ووقع الطعن والضرب وكثر اللغط وارتفع الهباء والرّهج. كما قال الأعشى يصف الحرب:

إذا ما الحرب حاشت عن كماة وصال الموت وانقطع الخصوم

وأبرزت المنية منكبيها - وحاشت بالنفوس فهي تحوم

فوصف الموت بالصولة ووصف المنية لما أبرزت منكبيها وأنها غاية شدة الحرب وحد القتال وغلظ الأمر.

وكذلك قال في سورة يونس: ﴿وبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢] معناه لهم عمل صالح قد تقدم من فعلهم ولم يعنِ أن هنالك لهم قدم جارحة ذات أصابع. عكرمة عن ابن عباس في قوله: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر: ٦٧] يعني ملكه، يقال: الضيعة في قبضة فلان. ﴿والسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] يعني مبنيات بقدرته، ويقال: بئر مطوية يعني مبنية بالحجار والآجر.[١٠٩]

وإنما خوطب العرب كان هذا معروفاً عندهم مسموعاً منهم موجوداً في لغتهم وكان من كلامهم الممثل وهو المزيد بياناً والمكتفى وهو المحذوف بعلم السامع بالمراد من المعنى والتام والخفيف والمجاز. فمن لم يعرف حدود المنطق وبديع الكلام لم يميز نظم القرآن وكان من الذين ذكرهم الله سبحانه بقلة التمييز حيث يقول ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾

١٠٩ قال أبو علي: إن وجب قبول هذه الأخبار في الرؤية لما ادعيتموه من ظهورها، فيجب قبول الأخبار الواردة في التشبيه، لأنها أظهر من ذلك وأشهر، نحو ما روي عنه صلى الله عليه إن الله جل و عز خلق آدم على صورته وما روي عنه عليه السلام أنه قال: «رأيت ربي في أحسن صورة، فوضع يده بين كتفي، فوجدت برد أنامله بين ثندوتي»، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا، وأنه يكشف لهم يوم القيامة عن ساقه، إلى أخبار كثيرة لا تكاد تحصى في هذا الباب. فإن وجب قبول تلك الأخبار فيجب قبول هذه، ولا وجه ترد به هذه إلا ويقتضي رد تلك. انظر القاضي عبد الجبار، المغني ، ج ٤، ص: ٢٣١

[البقرة: ٧٨] يعني أنهم كانوا لا يميزون من القرآن غير التلاوة. وكذلك قال في آخرين لم يعرفوا تفسير ما في أيديهم من القرآن لجهلهم باللغة حيث يقول: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠]. لأنه لا فقه لمن لم يعرف معاني القرآن فيميز محكمه من متشابهه وخاصه من عامه والمجاز من الحقيقة /[١٢٦و] والتقرير من الاستفهام والتعريض من المسئلة والنسق من الاستثناء والصلات من اللوازم والمقدم من المؤخر المضمن بما قبله، والإباحة من الفرض والتصريح من الإيماء والنفي من الإيجاب والإملاء من الأمر والدعوى من الحقيقة والملامة. من الاستفهام والسليم من المعتلّ والمشترك من المفرد والناسخ من المنسوخ والاستدعاء من التسمية.

ومع هذا لا بد له من معرفة وجوه الإعراب وهي ثلاثة فمنه كلام معرب باللفظ والمعنى. ومنه كلام معرب باللفظ لا المعنى ومنه كلام معرب بالمعنى لا اللفظ. ولابد أن يعلم أن الكلام بثلاثة اشياء: اسم وفعل وحرف يوضح معنىً. وأن مدار الكلام لا يخرج من أربعة معانٍ أمر وطلب وخبر واستفهام. فالأمر والطلب والاستفهام ليس يجري عليها معنى الصدق ولا معنى الكذب ولذلك جاز النسخ في الأمر والنهي. وأما الخبر فهو المعنى المحتمل للصدق والكذب ولذلك لم يجز النسخ في الخبر. فافهم، رحمك الله.

واعلم أن الناس لو استعملوا التثبيت والإنصاف في المناظرة عند طلب الحق في وجوه الاختلاف لتبين لهم الحق، ولوجدوا الصواب في القرآن وفي إجماع الأمة وفي فطرة العقول. ولكن الناس استعجلوا طلب الرئاسة قبل الفهم وقبل التعلم. فاستحكم الجهل عليهم وادّعوا العلم لشرف درجته وانتفوا من الجهل لخاشية منزلته. لأن العلم ممدوح على ألسنة الجهال وإن رفضوه، والجهل مذموم على ألسنتهم وإن ألفوه. فكل إنسان مدعٍ للعلم منتفٍ من الجهل طالب للرئاسة معجب برأيه ذامّ لغيره فيسأل الله حسن المعونة وقوة التوفيق فإنما نحن به وله. فكل من ادّعى فهم القرآن ولم ينظر في لغة العرب ولا فهم حدود المنطق ولم يميز نظم الكلام قلت معرفته بمعاني القرآن.

ثم رووا بزعمهم عن ثقاتهم في تفسير هذه الآية ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فزعموا أن الله -سبحانه وتعالى عما يقولون-، نفض آدم صلى الله عليه /[١٢٧ظ] كما تنفض المِزْوَد، فاستخرج منه ذرية فجعل بعضاً في يمينه وبعضاً في شماله فقال للذين كانوا في يمينه: هؤلاء في الجنة وبأعمال أهل الجنة يعملون ولا أبالي، ثم قذفهم في الجنة. وقال للذرية التي في شماله: هؤلاء في النار وبأعمال أهل النار يعملون ولا أبالي.[١١٠] ثم حقق ذلك فيما زعموا بقوله ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩] ولو أنهم تدبروا الآية لفهموا ما فيها من الفائدة ولكنهم من الذين قال الله فيهم: ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وذلك أن في الآية ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، ولم يقل وإذ أخذ ربك من آدم ولا من صلب آدم فيكون عليهم لبس. وإنما معنى الآية أن الله سبحانه لما خلق بني آدم أمشاجاً في أحوال مختلفة، أنْ كان نطفة في قرار صلب أبيه ثم كان علقة مستودعاً في الرحم ثم مضغة ثم عظاماً ثم كسيت العظام لحماً، غائباً في مشيمة، كعباه عند إسته، وزنداه عند وركيه ويداه على عينيه وذقنه على ركبتيه كالكبة المجموعة والصرة المصرورة مناطاً بسرته من سرة أمه حتى إذا أذن الله له بالخروج إلى دار التعب والنصب أطلق يديه ورجليه. فإذا سقط في الأرض خارجاً من بطن أمه قطعت القابلة ما بينه وبين أمه بالحديد، فيستهل الطفل صارخاً، فيجد من الألم مثل الذي يجد الرجل من الألم إذا هو سلخ جلده،

ثم لا ينتصر مما يؤدبه به أبواه إلا بالبكاء فيكون رضيعاً ثم فطيماً ثم إلى قوة الرجال ثم إلى أن يحتلم لخمس عشرة سنة ثم ينتهي طوله لإحدى وعشرين سنة، ويكمل عقله لسبع وعشرين سنة، ثم يزداد عقلاً وفهماً بالتجارب، ففي هذه الأحوال المنصرفة أشهدهم الله على أنفسهم عند إكمال العقول لهم بما يرون في أنفسهم من أثر التدبير وتأليف /[١٢٧و] الصنعة أنه لهم رب وصانع وخالق

١١٠ لنحو هذه الرواية انظر الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢٠، ص ٤٧١.

ومدبر دبرهم وأوجدهم واخترعهم وأنشأهم وابتدعهم إذ كل فعل يقتضي فاعلاً كالصور تدل على من صورها وكالكتاب دليل على من رقمه، وكالبناء يدل على من أحدثه وألفه ورفعه وشيّده وأتقنه وأقامه فهذا معنى الآية ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، يعني أن الإنسان إذا أكمل الله له العقل فقد أشهده على نفسه أنه له رب خالق صانع أوجده بعد عدم. تبارك الله أحسن الخالقين.

وكذلك زعموا في تأويل هذه الآية: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٩-١٩٠]. وزعمت الحشوية أن آدم وحواء صلى الله عليهما أشركا برب العالمين.[١١١] ولو أنهم تدبروا الآية لدلهم آخرها أنه إنما عنى بها عباد النجوم الذين كانوا يزعمون أن النجوم تدبّر، ولو كان آدم وزوجته هما اللَّذيْن ذكر الله سبحانه وعناهما بالشرك لقال فتعالى عما يشركان. وإنما ذكر الله سبحانه آدم في صدر الآية وذكر زوجته، ثم صرف آخرها إلى ذكر عباد الأصنام والنجوم. يدل على ذلك قوله: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠][١١٢] كما قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١] ، فبدأ بذكر النبي في أول خطاب الآية ثم صرف الخطاب إلى الناس. ومثله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ١-٢] / [١٢٨ظ]فصرف الخطاب إلى الناس أجمعين، ومثله في القرآن كثير.

وفي رواية لهم بزعمهم أن آدم كان طوله ستين ذراعاً بذراع نفسه،[١١٣] فوصفوه بالزمانة إذ كانت يده لا تنفعه لقصرها. فمن كان يخدمه ويخدم زوجته إذا كانت في مثل خلقه وفي هذا رد لقوله:

١١١ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ١٠، ص ٦٢١-٦٢٨.

١١٢ هذا يتفق مع ما يذكره الرازي من أبي علي: هذه الضمائر من أول الآية إلى قوله: (جعلا له شركاء) عائدة إلى آدم وحواء، وأما في قوله (جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون) عائدة إلى غيرهما. فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، ج ١٩، ص ١٢٦.

١١٣ ابن أبي شيبة، المصنف، ج ٧، ص ٣٥؛ مسلم، الجنة، ج ٤، ص٨٣ (٢٨٤١).

﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة: ٧] ورد لقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

ورووا عمن يثقون به أن النبي صلى الله عليه وسلم أسري به إلى السماء السابعة فرأى شيخاً قاعداً على كرسي من نور بين الجنة والنار عينه اليمنى تضحك وتفرح، وعينه اليسرى تبكي وتحزن، فزعموا أنه قال لجبريل: يا جبريل من هذا الشيخ الجالس؟ فقال له: يا محمد هذا أبوك آدم جالس بين الجنة والنار، فإذا أبصر رجلاً من ولده يدخل الجنة ضحك بعينه اليمنى وفرح، وإذا أبصر رجلاً من ولده يدخل النار بكت عينه اليسرى وحزن.[١١٤] ثم نظر بزعمهم إلى ديك أبيض رأسه فوق السماء السابعة مما يلي العرش ورجلاه تحت الأرض السابعة يصرخ في أوقات الصلوات وفي وقت السحر، فإذا سمعه الديوك في الأرض صرخت لصراخه بزعمهم.[١١٥] ثم نظر أيضاً ملكاً إحدى شقيه نار مضطرمة وشقه الآخر ثلج وهو من أنصح الملائكة لأهل الأرض بزعمهم، لأنه يسبح الله ويقول: اللهم مؤلف بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك المؤمنين.[١١٦]

ورووا [أنه] أبصر أيضاً النار ومن فيها فإذا أكثر من في النار النساء،[١١٧] ثم دخل الجنة بزعمهم وأكل من ثمارها فرأى بها قصوراً مشرقة، وأنهاراً مطردة وعيوناً جارية، وقال: دخلت قصراً من قصور الجنة فإذا أنا بامرأة كالشمس حسناً وبهجة، فقلت: لمن أنت يا أمة الله؟ فقالت: أنا ونساء كثير هن أحسن مني وأكمل خلقاً لعمر بن الخطاب، فلقد هممت بولوج القصر /[١٢٨و] ولكني خشيت غيرتك يا عمر، فقال له عمر بزعمهم أغناك الله يا رسول الله.[١١٨]

ثم جعلت أطوف فيما هنالك فإذا إبراهيم الخليل وهو أشبه بي خَلقاً وخُلقاً،[١١٩] ورأيت موسى بن عمران رجلاً طويلاً أسمر اللون جعد الشعر، كأنه من رجال أزد شنوءة. ورأيت

١١٤ لنحو هذه الرواية انظر: البخاري، الصلاة، ص ٩٨، (٣٤٩)
١١٥ ابن الجوزي، الموضوعات، ج ٣، ص ٦-٧.
١١٦ السيوطي، الحبائك في أخبار الملائك، ص ١٣٤.
١١٧ البخاري، الرقاق، ص١٦٢٦ (٦٥٤٦)
١١٨ البخاري، التعبير، ص ١٧٤٠، (٧٠٢٥)
١١٩ ابن العساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٣، ص ٣٦٣.

عيسى بن مريم رجلاً أحمر اللون سبط الشعر أشقر كثير الخيلان في وجهه كأنه خرج من ديماس[120] وكأن الدهن يقطر من رأسه أشبه الناس به عروة بن مسعود الثقفي. ورأيت الدجال أشبه الناس به عبد العزّى، له فرد عين.[121] فزعموا في هذا الحديث أن النبي عليه السلام صعد إلى السماء والله سبحانه يقول: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ [الإسراء: ١] وهو بيت المقدس من إقليم فلسطين من أرض الشام. وقال ابن عباس رحمه الله: أسري بروح رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه، يدل على ذلك قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠][122] بمعنى محنة لهم لأنه أنكر ذلك عليه رجال من أصحابه أشد الإنكار.

وزعموا أنه أبصر آدم في السماء. وهم قد رووا أن نوحاً أوحى الله إليه أن احمل معك في السفينة عظام آدم صلى الله عليهما،[123] وكما رووا أن موسى بن عمران لطم ملك الموت فأطار له فرد عين.[124] وكما رووا أن ملك سليمان بن داود صلى الله عليهما كان في خاتمه.[125] وكما رووا أن بني إسرائيل أنكروا أحكام الشيطان الذي تمثل صورة سليمان فلم يعرفوه حتى ذهبوا إلى نسائه فسألوهن هل أنكرن من أخلاق سليمان شيئاً فقد لقينا منه الجور في الحكم والحيْف والضِيز في القسم، فقال نساؤه بزعمهم: يا بني إسرائيل والله ما هذا سليمان نبي الله، لأن سليمان كان يصوم النهار، ويقوم الليل ويتطهر لكل صلاة، ويغتسل من الجنابة، وهذا الشيطان[126] ما يصوم /[١٢٩ظ] نهاراً ولا يقوم ليلاً ولا يغتسل من جنابة وإنه ليغشانا حيضاً وما نظنه إلا الشيطان تمثل في صورته وسليمان غائب بحيث لا تدرون، فأجمعت بنو إسرائيل على قتل ذلك الشيطان، فلما علم الشيطان أنهم قد أجمعوا على قتله فرّ إلى البحر فقذف الخاتم في البحر، فبلعته سمكة.

١٢٠ في الأصل: دثماسه.
١٢١ البخاري، بدء الخلق، ص ٨٠٤-٨٠٠؛ مسلم، الإيمان، ج ١، ص ١٥٤-١٥٦، (٢٧٣-٢٧٥).
١٢٢ لنحو هذه الرواية من ابن عباس انظر: البخاري، مناقب الأنصار، ص٩٥١ (٣٧٨٧).
١٢٣ لنحو هذه الرواية انظر: البحراني، البرهان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٢٢١.
١٢٤ البخاري، الجنائز، ص٣٢٣ (١٣٣٩)؛ مسلم، الفضائل، ج ٤، ص٨٤٣ (٢٣٧٢).
١٢٥ السيوطي، الدر المنثور في التفسير المأثور، ج ١٢، ص ٥٨٢.
١٢٦ هكذا مثبوت في النص، ربما هو «السلطان»

وكان سليمان بزعمهم لما اختدع الشيطان امرأة سليمان حين تمثل في صورته وأخذ منها الخاتم، قال لها: يا بلقيس هاتي خاتمي، قالت: قد أعطيتكه يا نبي الله، ثم قال: ويلك يا بلقيس، بي هداك الله إلى الإسلام وأنقذك من الشرك فردي علي خاتمي فإنه إن صار في يد رجل من الجن أو الإنس صار به ملكاً على الجن والإنس والطير، فقالت بزعمهم: والله يا نبي الله لقد أعطيتكه وما خنتك في شيء مذ أسلمت لله رب العالمين.

فلما يئس سليمان من الخاتم ذهب إلى مجلسه فإذا هو بشيطان قد تمثل في صورته جالس على كرسيه وبنو إسرائيل عن يمينه والجن عن شماله والشياطين بين يديه والطير صافات ترفرف عليه نخاف سليمان على نفسه أن يقتله ذلك الشيطان الذي خان ملكه، وطرح عن نفسه كسوة الملك وخلعها ولبس كسوة المساكين وذهب حتى انتهى إلى البحر فإذا هو بقوم يصيدون السمك، فجعل يخدمهم ويعينهم حتى إذا كان ذات يوم أعطوه سمكة وقالوا له: إشوِ هذه السمكة فإنها سمينة طيبة، فلما شقها بدر الخاتم من جوفها، وجاءت الطير فأظلت سليمان وجاءه الجن والإنس فأحدقوا به، وقالوا له بزعمهم: يا نبي الله غبت عنا منذ دهر طويل فلم نرك، فقال لهم بزعمهم: إن الشيطان تمثل في صورتي واختدع زوجتي حتى أعطته خاتمي فقد رد الله علي ملكي فلله الحمد.[127] فزعموا أن تلك السمكة التي بلعت خاتم سليمان يقال لها الملكة. فصدقوا بهذا الحديث الزائف المحال، وزعموا أن الشياطين تمثل في أيّ الصور شاءت وأن الناس يرونهم بزعم الحشوية وردوا قول الله سبحانه: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧].

١٢٧ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢، ص ٣٢٤.

ذكر الدجال

/[١٢٩و] ورووا أن النبي صلى الله عليه قال -ما زعمت الحشوية- إنه لم يكن أمة إلا وكان فيها دجال وإني أحذركم فإنه يزعم أنه ربكم والدجال أعور وربكم ليس بأعور وإنه كذاب وإن ربكم ليس بكذاب وإنه يخرج في سنة ظاهرة الأزم والقحط والجوع ومعه جنة ونار فمن رأى النار فليدخلها فإنها جنة ومن رأى الجنة فلا يدخلها فإنها نار، وله علامات هي أن يقول للسماء أمطري فتمطر إسكاباً، وفي جبهته سطر مكتوب يقرؤه كل أميّ مكتوب فيه كافر.[١٢٨]

وفي رواية لهم أخرى أن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ بابن صياد اليهودي في شارع من شوارع المدينة فقال له النبي بزعمهم: أتشهد أني رسول الله فقال له ابن صياد: أتشهد لي أيضاً يا محمد أنّي رسول الله، فقال النبي بزعمهم: اخسأ فلن تعدو قدرك.[١٢٩]

وفي رواية لهم أخرى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ولدت أنا بمكة وولد الدجال بيثرب معي في ليلة واحدة،[١٣٠] وأنه تنام عيناه ولا ينام قلبه، فزعموا أن الزبير ذهب إليه حتى رآه ولقيه وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم حلى أمه فقال: لها أنف كمنقار الطير، تنام عيناه لا ينام قلبه. فقال الزبير: أتيناه فوجدناه نائما وعرفت أمه بالحلية الموصوفة، فقال لي ولجماعة معي: فإذا قلتم فقد سمعتكم ولن يخفى علي ما قلتم. وقلنا: من أين سمعتنا وأنت نائم؟ فقال: إنه تنام عيني ولا ينام قلبي.[١٣١]

١٢٨ لنحو هده الرواية راجع البخاري، الفتن، ص ١٧٦٢، (٧١٣١)؛ مسلم، الفتن، ج ٤، ص ٢٤٩ (٢٩٣٤).

١٢٩ لنحو هده الرواية راجع البخاري، الجنائز، ص ٣٢٦ (١٣٥٥-١٣٥٤)؛ مسلم، فتن، ج ٤، ص ٢٤٠ (٢٩٢٧-٢٩٢٤)؛ ابن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، ج ١٥، ص ١٦٠، الطحاوي، مشكل الآثار، ج ٤، ص ٩٩.

١٣٠ لم نجد هده الرواية في المصادر.

١٣١ الترمذي، الفتن، ج ٤، ص ٥١٨، (٢٢٤٨)

وفي رواية لهم أخرى أن تميم الداري[١٣٢] جاء إلي النبي عليه السلام فقال له يا رسول الله: إن رجالا في قومي قدموا من البحر، وذكروا أنهم دخلوا جزيرة من جزائر البحر فإذا هم بدابّة تمشي هَلِبٌ شعرها ثم نحت إلى كهف في الجزيرة فقالت لهم بزعمهم: كيف الجور والظلم في الأرض؟ فقالوا: كثير، قالوا: فلم يزل يعظم خلقها حتى ملأت الكهف ثم قال لنا: فما الذي عندكم من خبر حدث؟ قالوا: إن نبياً ظهر يدعو الناس إلى خلع الأوثان وإلى عبادة الرحمن، قالوا: فلم يزل يصغر حتى عادت لحلقتها الأولى /[١٣٠ظ] ومقدارها الأول. فزعموا أن الرسول صلى الله عليه قال: ذلكم الدجال.[١٣٣]

وفي رواية لهم أخرى أن الدجال خرج غازياً في سبيل الله زمان عمر بن الخطاب، وأمير ذلك العسكر جميل بن فلان اللخمي لحضر مع المسلمين مجاهداً حتى فتحوا قنسرين.[١٣٤] وفي رواية إبراهيم بن مهدي عن إسحاق عن أبي إسرائيل عن النبي عليه السلام قال: إن الدجال إنما تلده أمه مقبورة بعد موتها في داخل قبرها.[١٣٥]

١٣٢ تميم الداري أبو رقية تميم بن أوس بن خارجة بن سود بن جذيمة اللخمي الفلسطيني، صاحب رسول الله وفد تميم الداري سنة تسع فأسلم. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤٤٢.

١٣٣ لنحو هذه الرواية انظر مسلم، الفتن، ج ٤، ص ٢٦٢ (٢٩٤٢)، أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج ٤٥، ص ٣١٤.

١٣٤ لم نجد هذه الرواية في المصادر.

١٣٥ الطبراني، المعجم الأوسط، ج ٥، ص ٢١٤-٢١٥، أبو نعيم، الحلية، ج ٤، ص ٢٢، الهندي، كنز العمال، ج ١٤، ص ٢٩٩.

ذكر نزول عيسى بن مريم

ورووا أن النبي صلى الله عليه قال: ينزل عيسى بن مريم بشرقي دمشق عند المنارة البيضاء فيكسر الصلبان ويقتل الجبارين ويقتل الدجال ويصلح في الأرض حتى يملأها عدلا كما ملئت جوراً.[136] وفي قبول هذا الحديث نفي لنبوة محمد صلى الله عليه لأنه قال: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] فإذا كان عيسى يقوم بعد موت محمد صلى الله عليه فليس محمد خاتم النبيين، لأن الأرض لا يطأها نبي بعد محمد صلى الله عليه، كذلك انبأنا في كتابه حيث يقول: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ * فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٤٩-٥٠]. فقد أنبأنا سبحانه أنه ليس بعد محمد إلا قيام الساعة

وقد حدثني محمد بن داود المكي عن عمرو بن خالد[137] عن عمرو بن دينار عن عطاء بن يسار قال: سمعت رجالا يسألون ابن عباس عن قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٦١] فقال ذلك محمد صلوات الله عليه وسلم.[138] وهو كلام مضمر بما قبله حيث يقول ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ﴾ [الزخرف: ٢٩] يعني أهل مكة ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ [الزخرف: ٢٩] القرآن ﴿وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف: ٢٩] يعني محمداً صلى الله عليه وسلم ثم قال: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٦١] يعني إنّ محمداً عليه سلام عَلَم من أعلام القيامة.

١٣٦ البخاري، البيوع، ص ٥٣٠ (٢٢٢٢)، أبو داود، الملاحم، ج ٦، ص ٣٧٥، (٤٣٢١).

١٣٧ ابن فروخ بن سعيد بن عبد الرحمن بن واقد بن ليث، نزيل مصر، مات بمصر سنة تسع وعشرين ومائتين. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص ٤٢٧-٤٢٨.

١٣٨ ابن الكثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٧، ص ٢٣٦.

ومما تشابه هذا المضمر بما قبله من الآي قوله: ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾ [السجدة: ٢٣] هو كلام راجع إلى قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة: ٢] ومثل ذلك /[١٣٠و] من المضمر بما قبله قوله في سورة هود: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧] وليس ليبلوكم من النسق قبله وإنما هو كلام مضمر بقوله: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود: ٣]، ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود:٧].

وإنما خاطب الله سبحانه بالقرآن كل هذا معنى معروف عندهم وإنما هذا مشكل ملتبس على من ليس يعرف حدود المنطق ولا علم له بلغة العرب، ولن يصغر عن طلب العلم إلا من صغر عقله وكثر عجبه، ولن يدع الترك لطلب العلم حتى يسمى بمسمى الجهل. فلكثرة جهل الحشوية قلّ تميزهم ودق علمهم وصدقوا بالمحال الذي لا تكاد يقبله الأطفال والإماء. ألا يرون أن الدجال كافر وفي حديث آخر مؤمن مجاهد في سبيل الله، ومرّة بزعمهم أنه يعظم خلقه لم يصغر وأنه بزعمهم ولد مع النبي عليه السلام في ليلة ثم أن النبي مر به ذات يوم فرآه صبياً يلعب مع الصبيان وهو رجل كامل قد نيّفَ على أربعين سنة. ومرّة قالوا: تلده أمه بعد ما تقبر معه. ومرة يقرون أن القرآن حق وأن محمداً خاتم النبيين ثم يبطلون ذلك برواياتهم أن عيسى بن مريم ينزل إلى الأرض.

فالحشوية قوم جاهلون مخطئون، يؤمنون بالقرآن تنزيلاً ويكفرون به تأويلاً. يجمعونه تأليفاً ويفرقونه تحريفاً، فهم عند أنفسهم مصيبون غير مخطئين محسنون غير مسيئين وهم لا يعلمون ويحسبون أنهم مهتدون ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون ولكن لا يشعرون وأكثرهم لا يعقلون.

ورووا عمن يثقون به أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بزعمهم: إن جهنم اشتكت الى الله سبحانه فقالت: أي ربي إن بعضي يأكل بعضاً فأذن الله لها بنفسين نفساً /[١٣١ظ] في الصيف ونفساً في الشتاء ولذلك رووا عن النبي عليه السلام أنه قال: أبردوا عن الصلاة عند شدة الحر فإن شدة الحر من فيح جهنم، وكذلك شدة البرد من زمهرير جهنم.[١٣٩] فزعمت الحشوية أن جهنم حارة باردة رداً لقوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ [النبأ: ٢٤-٢٥].

١٣٩ البخاري، بدء الخلق، ص ٨٠٤ (٣٢٥٩)؛ مسلم، المساجد، ج ١، ص ٤٣٠-٤٣١ (٦١٦-٦١٥)

ذكر عذاب القبر وذكر خلق الجنة والنار

ورووا عن ثقاتهم أن النبي صلى الله عليه قال: تعذبون في قبوركم، وأنه قال بزعمهم: إن الرجل والمرأة إذا هو مات ودلّي في لحده وهو مؤمن جاءه ملكان أعينهما كالبرق الخاطف وكلامهما كالرعد الراجف فيردان الروح في جسده ثم يجلسانه فيقولان له بزعمهم: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول لهما: ربي الله، ونبيي محمد وديني الإسلام، فيفتحان له باباً إلى جهنم فيقولان له: انظر ما صرف الله عنك ما أعده لأعدائه العصاة. ثم يسدان عنه ذلك الباب ويفتحان له باباً إلى الجنة فهو ينظر إلى أزواجه من حور العين وإلى قصوره وما أعد الله له من جزيل ثوابه وكريم مآبه. ثم يدفعان قبره يميناً وشمالاً ويوسعانه له مد البصر ويقولان له نم نومة العروس على فَرْشه ثم يخرجان عنه.

وإذا دُلّي الرجل الكافر في قبره جاءه ذلك الملكان فيردان الروح في جسده ثم يجلسانه ويقولان له: من ربك؟ ومن نبيك؟ وما دينك؟ فيقول لهما: أنتما ربي، فيضربانه بمقامع من حديد ثم يفتحان له باباً إلى الجنة فيقولان له: انظر ما حرمت نفسك من النعيم الدائم المقيم. ثم يسدان عنه باب الجنة ويفتحان له باباً إلى النار، فهو ينظر إلى ما أعد له من ألوان العذاب ثم يضيقان عليه القبر حتى يدخل بعضه في بعض ثم يخرجان عنه.[١٤٠] وذلك بزعمهم معنى قوله: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] يعني حياة المؤمن في قبره، وقوله: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤] /[١٣١و] يعني حياة الكافر في قبره.

١٤٠ لنحو هذه الرواية انظر البخاري، الجنائز، ص ٣٣٢، (١٣٧٤)؛ مسند أحمد، ج ٣٠، ص٥٠٢-٤٩٩؛ ابن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، ، ج٣، ص٥٤.

وفي قبول هذا المحال تكذيب لقوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦]. إذ زعموا أن الناس يحيون في قبورهم والله سبحانه وعدنا أنا لا نحيا إلى يوم القيامة حيث يقول: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

ثم احتجوا في عذاب القبر حين ذكر قوم فرعون فقال: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦] في قبورهم، فإذا قلنا ويلكم آل فرعون لم يدفنوا في قبورهم لأن الله سبحانه ذكر أنه أغرق فرعون ومن معه جميعاً ولذلك فشل إنسان القبط لأن فرعون خرج بهم معه ولم يبق بمصر غير النساء والأطفال والعبيد فتزوج النساء مواليهم، قالوا لنا: نحن سنية جماعية لا نخالف السنة والجماعة.

وإنما معنى قوله: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦] وعيد موسى إياهم وتخويفه لهم كل غدوة وكل عشية بنار جهنم، فقبلت الحشوية هذه الأحاديث الموضوعة المخالفة للقرآن فمرة يزعمون أن الجنة والنار متجاورتان وقديمتان هما اليوم مخلوقتان. ومرة يزعمون أن الجنة والنار في السماء السابعة وأن جهنم تحت الأرض السابعة السفلى وهو بزعمهم معنى قوله: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨]، و﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧]. فزعموا أن الجنة والنار قديمتان هما مخلوقتان اليوم.

والله سبحانه يقول: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. فبعض الجنة أعظم من جميع الدنيا فكيف يزعم الجهال الحيارى الغُوَاة السكارى أن الجنة والنار في بعض الدنيا. والجنة بوحدها دون النار أكبر من السموات والأرض وما بينهما، والله سبحانه يقول: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١] و﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ١-٢]، و﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ [التكوير: ١٣] و ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١] و﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

فقد أنبأنا الله سبحانه أن الآخرة لا تكون إلا بعد تمزق السماء وتكوير الشمس والقمر / |١٣٢ظ| وتنتثر النجوم وتسير الجبال وتبدل الأرض غير الأرض والسموات، لأن الآخرة إنما هي جنة ونار لا شيء غيرهما وحاجز الأعراف كالدنيا، إنما هي بر وبحر وسماء وما بينهما، وكل ما هو مخلوق في هذا الوقت فهو الدنيا، والله سبحانه يقول: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦].

فقد أوجبت الحشوية الفناء على الجنة والنار بإيجابهم أن الجنة والنار مخلوقتان في وقتنا هذا. وأما الذي رووه من حديث القبر، فقد يمكن أن يكون يعذب الله أهل المعاصي في قبورهم بعد النفخة الثانية وبعد الذَّرْء الثاني الذي ذكره الله سبحانه بقوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩]. وهو الذرء الثاني عند خروج الناس من الأجداث سراعاً مهطعين إلى الداعي لا عوج له.

ذكر السلسلة

ورووا عمن يثقون به أن سلسلة كانت معلقة من السماء بإزاء الصخرة في بيت المقدس لفصل القضاء بين الناس فإذا جاء صاحب الحق نالها، وإذا جاء صاحب الباطل ارتفعت عنه حتى جاء بزعمهم رجل مارد خداع نخدع الله عنها بزعمهم فارتفعت السلسلة بزعمهم من أجل هذه الخديع.[١٤١] فتعالى الله عما يقولون وسبحانه عما يصفون.

١٤١ انظر مع اختلاف الألفاظ: ابن الجوزي، تاريخ بيت المقدس، ص ٦٢، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١٧، ص ١٠٣، مكي بن أبي طالب، الهداية الى بلوغ النهاية، ج ١٠، ص ٧٤٢.

ذكر الكعبة

ورووا أن آدم وحواء صلى الله عليهما حجّا الكعبة البيت،[142] وأنهما تعرفا بعرفات.[143] ورووا أن سفينة نوح طافت أسبوعاً بالبيت.[144] ورووا أن الملائكة قالت لآدم عليه السلام: إنا منتظروك عند هذا منذ خمسين ألف سنة.[145] وفي رواية لهم أخرى أن الكعبة بنيت قبل آدم بألف ألف سنة.[146] وفي قبول هذه الأخبار تكذيب لقول الله سبحانه: /[١٣٢و] ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ [الحج: ٢٦]. فما الذي بوأه الله سبحانه إذا كان البيت قبل إبراهيم، أم ما القواعد التي ذكرها الله سبحانه أنه إنما رفعها إبراهيم وإسماعيل، وهل يجوز أن يكون بيت قبل بانيه وثوب قبل حائكه، وفي هذا تكذيب القرآن وإثبات المحال.[147]

فإن سألنا أهل الإلحاد فقالوا: كيف تزعمون أن الكعبة إنما بناها إبراهيم قبل أن يخلق آدم، وأي حكمة تكون لمن يعبّد العباد بالحج إلى بيت في أجدب البلاد وأقله خيراً لا ماء فيه ولا مرعى أو إنس إذ لو كانت الكعبة في بلدان الريف وكثرة الخصب والثمار أشبه من أن تكون في أرض الحجاز أقل البلدان خيراً وأشدها حراً ؟

قلنا لهم: أما قولكم أن ناساً ممن ينتحل ملة الإسلام يزعمون أن الكعبة كانت قبل إبراهيم فذلك دعوى من قوم لم ينظروا في العلم فقل عبرتهم وضعفت عقولهم، وهم عندنا وأنتم في

١٤٢ البيهقي، السنن الكبرى، ج ٥، ص ٢٨٨.

١٤٣ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ١، ص ١٢١-١٢٢.

١٤٤ ابن الجوزي، الموضوعات، ج ١، ص ١٠٠؛ عبد الرزاق، مصنف، ج ٥، ص ٩٣؛ ج ٢، ص ٤٠١؛ المستدرك على الصحيحين للحاكم، ج٢، ص ٥١٤.

١٤٥ لم نجد هذه الرواية في المصادر، أنظر بلفظ. ((ألفي)) المقريزي، إمتاع الأسماع، ج ١٠، ص ٣٥٣؛ مكي بن أبي طالب، الهداية الى بلوغ النهاية، ج ١، ص ٢٤٧.

١٤٦ النووي، المجموع شرح المهذب للشرازي، ج ٧، ص ٤٦٨-٤٦٩؛ الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ص ٦٨-٧٠.

١٤٧ اختاره الجبائي أيضاً إن ابراهيم واسماعيل معاً رفعا القواعد. انظر: الطوسي، التبيان، ج١، ص ٤٦٢.

المعاندة سواء والادعاء للباطل، لأنه لم نسمع نحن ولا هم أن بناء يكون في الدنيا إلا وهو يدل على بانيه، لأن التدوير خلق رب العالمين، والتربيع هو من فعل البشر، وقد عاينّا نحن وأنتم تربيع حجارة البيت، وبناؤه كعبة مربعة.

ولم نُخبّر في خبر الأولين والآخرين ولا في التوراة ولا في الإنجيل ولا في زبور ولا في القرآن أن الكعبة كانت قبل إبراهيم صلى الله عليه، وإنما هذا القول من الدعوى في أن البيت كان قبل آدم إنما هو حديث وضعه بعض الملحدين، فقبله من لا علم له ولا تمييز عنده، لأن ولد إبراهيم عليه السلام معروفون أنهم ربيعة ومُضَر وإياد وقضاعة والروم وبنو إسرائيل وفيهم النبوة والكتاب. وإن مكة ومنى ومزدلفة وعرفات كانت منازل إبراهيم صلى الله عليه.

وأما قولكم لِم كانت الكعبة في أجدب البلاد وأقلها ريفاً وأجدبها وأندرها ماء ومرعى، فإن النبوة أمر من رب العالمين، ويسويه بين القوي والضعيف /[١٣٣ظ] وأحكام جارية على الملوك والسوقة، فالملوك لا تريد إلا شرف الدنيا والاستطالة على سائر الناس والاغتصاب لأموالهم والقهر للسوقة.

فلو كانت الكعبة في غير الحجاز لتعذر على إبراهيم صلى الله عليه إظهار ما أمره الله بإظهاره، ولو أن إبراهيم صلى الله عليه أظهر الدين في أرض الشام لم يمكنه ذلك ولا في أرض مصر ولا في أرض بابل ولا في أرض خراسان لرغبة الملوك فيها، ولكنه صلى الله عليه فر بدينه من أرض الريف والخصب إلى بلد الجدب وقلة الكلأ، لكيلا تدركه الملوك فتقتله لأن الملوك لم يجدوا في ذلك الزمان السبيل إلى دخول الحجاز لأنهم لا يجدون بها ماءً ولا قوتاً يحملهم، يدل على ذلك قوله: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

فإنما سكن وادٍ بغير ذي زرع ليقيم هو وذريته الصلاة إذ لم يمكنه في سائر البلاد لأنه لما دعا الناس وأظهر الدين وأمر بالمعروف ونهى قومه عن المنكر، أخذوه وأوقدوا له ناراً ثم رموه في وسطها فجعلها الله سبحانه برداً وسلاماً فلما رأى ما فعل به قومُه فر عنهم الى أرض الجزيرة حتى عبر الفرات، ولذلك قيل اللسان العبراني لأن إبراهيم عبر الفرات.

فلما حل بالشام ودعا إلى الإيمان بالله قالوا للنمرود بن كنعان أن رجلاً عبر الفرات ودخل أرض الشام يأمر الناس بعبادة الرحمن، قال لهم النمرود: ائتوني بالعبراني وكان بينهما من الجدال والحجاج ما قد ذكره الله سبحانه حيث يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ [البقرة: ٢٥٨] يعني أن الله سبحانه آتى إبراهيم الملك وعلمه الحكمة، فلما قطعه إبراهيم بالحجاج حذر على نفسه وخاف القتل.

ففر حتى نزل بلوط صلى الله عليهما /[١٣٣و] فتبعه لوط وخرج من مدينة المؤتفكة ثم سار حتى حل بالأبطح، وهو وادي مكة، فشكا إلى الله سبحانه الجدب والفاقة، فأوحى الله إليه أن ابن يا إبراهيمُ بيتاً فإني سأجعل لك عنده موسماً يجتمع الناس عند بيتك ويحجون إليه ويأتيك رزقك والمِيرة من آفاق الأرض ففعل إبراهيم ما أمره الله سبحانه ثم احتفر بئر زمزم، ويقال إن الزمزم في كلام العرب هو الموضع الذي لا ماء به. ويقال زمزم هي هاجر أمّ إسماعيل صلى الله عليهما لا أمّ إسحاق، وإنما ذلك قول اليهود وتابعتهم العوام على قولهم لقلة تمييزهم وضعف عقولهم.

وقد أمرنا الله سبحانه أن نردّ جميع ما اختلف فيه المختلفون إلى القرآن الحكيم لأن العوام إنما ساعدت اليهود والنصارى فيما ادعوه أن الذبيح هو إسحاق، تقليداً منهم للرجال أمر دينهم، فهم مصدقون بكل باطل، قابلون لكل محال، وأنت لو قلت لهم أخبرونا ما حجتكم في أن الذبيح إسحاق لأن العرب قاطبة وأهل النظر مجمعون على أن الذبيح هو إسماعيل، لقالوا إنا سمعنا ذلك عن أسلاف لنا علماء حلماء، والقصاص يحدثون في المساجد بحديث يوسف ويعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق ذبيح الله ليس معهم حجة غير هذا الكلام الغرر، وإنما هم مقلدون للرجال أمر دينهم فلا قرآناً يتعلمون ولا آية يتدبرون وأكثرهم لا يعقلون.

فإن قالوا لنا: فما حجتكم أنتم في أن إسماعيل هو الذبيح، إنما معكم بلاغ كالذي معنا، ولِمَ صرتم أولى بالحق منا، قلنا لهم: نعم صرنا أولى بالحق منكم لأن ديننا ممتثل من القرآن، وما اختلف فيه من شيء رددناه إلى القرآن يحكم بيننا وبين خصومنا إن كانوا من أهل ملتنا لإجماعهم /[١٣٤و] لنا ومعنا على صدق القرآن، قال الله تبارك وتعالى حين ذكر إبراهيم

لما دعاه أن يهب له ولداً: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ﴾ [الأنبياء: ٧٢]، ثم قال: ﴿وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [الأنبياء: ٧٢]، يعني أنه إنما طلب من ربه ولداً واحداً فوهب الله سبحانه بدعائه له إسحاق ثم وهب له يعقوب نافلة ولم يطلب إليه فيه.

وقال في سورة هود حين ذكر زوجته فقال: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] فلا يجوز أن يبشرها الله سبحانه بولد قبل أن تلده، ثم يبشرها أن اسمه إسحاق وأنه يعقب ابناً يسمى يعقوب، ثم يأمره الله بذبحه لأن في ذلك خلف لما وعده وأنه لن يخلف الميعاد، فلما بشره الله سبحانه بإسحاق وأعلمه أنه يولد له ولد لم يجز أن يأمره بذبحه، فصح ما قلنا أن إسماعيل صلى الله عليه هو الذبيح، والعرب صادقة في قولها إن الذبيح هو إسماعيل، وبطل بما قلنا أن يكون إسحاق هو الذبيح، ومن زعم أن إسحاق هو الذبيح وأنكر أن يكون إسماعيل هو الذبيح فهو كافر، جاحد للقرآن أو جاهل بما أنزل الله فيه من الحكمة والبيان، قال الله سبحانه: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات: ١٠٣] إلى قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات: ١١٠]، ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١١٢]. فبشره بإسحاق بعد المحنة التي ابتلاه بها من ذبح إسماعيل.

ومن حديث بشر بن عمرو عن محمد بن عجلان عن مقدم مولى بن عباس عن عبد الله بن عباس قال: كان في أرض بابل علجان ساحران، وكانا ملكين قد عظم ملكهما واشتد سلطانهما وكانا من أشد الناس تمرداً وكانا يعلمان الناس الخدائع والسعاية والنمائم والحيل، فذكرهما الله سبحانه لشدة تمردهما وكثرة خداعهما فقال: ﴿بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ [البقرة: ١٠٢].[150] وكذلك قرأها ابن مسعود وأبي بن كعب وابن عباس برفع الخبر وبكسر اللام في الملكين.

وقوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فإنما ذلك عبث كما يقول الرجل المتمرد لصاحبه ما لك في مصاحبتي خير، وما لك في منفعة، ولبعدي منك خير لك من قربي.

١٥٠ لنحو هذه الرواية انظر البغوي، معالم التنزيل، ج ١، ص ١٢٩.

ذكر الخضر

ورووا أن الخضر بن /[١٣٥و] عاجل حي يعبد، ولن يذكر في موضع إلا وهو شاهد لذلك الموضع الذي ذكر فيه، وأنه يجول في البلاد ويجدون فيها أثره لأنهم يجدون بزعمهم أثر قدم واحدة لا ثاني معه، طول تلك القدم كذا وكذا ذراعاً وهو بزعمهم يضع قدماً على ساحل بحر الشام وقدماً آخر على بحر الصين،[١٥١] حتى أنهم بنوا على هذه الأخبار من المساجد ما لا يحصى كثرةً ويسمونها مساجد الخضر[١٥٢]، ولو أن نبياً من أنبياء الله سبحانه كان اليوم حياً يمشي بين الناس لكان أعصى لرب العالمين من إبليس الذي تراه بين الناس من كثرة الاختلاف وشدة الجور والانتهاك لحرمات الله.[١٥٣]

ورووا أن إلياس أيضاً يجتمع مع الخضر في المواسم وعدة من الأنبياء يحجون في كل عام[١٥٤] ويتركون الناس على ما يرون من فسقهم وعداوتهم، لا سيما في بلد الله الحرام الذي يؤخذ به المكس أو طاب اللبن، وأصار الحشيش وحزم الحطب وفراريخ الدجاج وجذور المساويك.

فالأنبياء يوصون الناس أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، وزعمت الحشوية أنهم لا يأمرون بمعروف وإن لزمهم ذلك، ولا ينهون عن منكر وإن رأوه رداً لقول الله: ﴿**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ**﴾ [الحج: ٧٥]، ﴿**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾ [الأنعام: ١٢٤].

١٥١ مثل هذه الروايات كثيرة شائعة بين العوام، ولكن لم نجد هذه الروايات في المصادر المعتمدة.

١٥٢ نجد في مصادرنا التاريخية مساجد التي كان تسمى باسم مسجد الخضر أو الخضر وإلياس. يقول ابن بطوطة. «ورأيت بها مسجدا ينسب للخضر وإلياس عليهما السلام، صليت به المغرب، ووجدت به جماعة من الفقراء الحيدرية» انظر: ابن بطوطة، كتاب رحلة ابن بطوطة، ج ٤، ص ٣١.

١٥٣ يرفض أبو علي انّ الخضر حي إلى وقتنا هذا. انظر لمزيد من التفاصيل: الطبرسي، مجمع البيان، ج ٦، ٣٧٧؛ ابن طاووس، سعد السعود، ج ١، ص ١٦٣-١٦٢.

١٥٤ الهندي، كنز العمال، ج ١٢، ص ٧٣؛ العجلوني، كشف الخفاء، ج ١، ص ٥٨.

ذكر يوسف صلى الله عليه

ورووا أن يوسف بن يعقوب صلى الله عليهما همَّ بامرأة العزيز حتى قعد منها مقعد الرجل من زوجته، حتى تمثل له جبريل في صورة أبيه يعقوب فألزموه أنه إنما تركها إجباراً لا تعمداً.[155] ولو أن الجهال تدبروا الآية لوجدوا فيها دليلاً على أنه لم يهم بها غير هم الطبيعة وذلك /[١٣٦ظ] ما لا إثم على أحد في هم طبيعة هائجة،[156] يدل على ذلك قوله للملك ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢]. فلو كان ما ذكرت الحشوية لكان يوسف خائناً ولكان في هذا القول كاذباً وهو الصديق الصادق في قوله صلى الله عليه.

ذكر موسى صلى الله عليه

ورووا أن موسى قتل الرجل الفرعوني عامداً لأنه كان كافراً، والله سبحانه حرم نفس الكافر كما حرم نفس المؤمن، وموسى صلى الله عليه ذكر أن قتله إياه كان خطأً غير عمد، يدل على ذلك ندمه على قتله حين قال: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [القصص: ١٥]، مع ما ذكر الله وما امتن به عليه حين قال له: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ [طه: ٤٠]، فلو كان قتله إياه عامداً لكان عن أمر الله سبحانه خارجاً ولما كان الله ليذكر أنه نجاه من كربها لأنه يقول: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ [التوبة: ٩١].

١٥٥ غير كلمة جبرائل انظر الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ١٣، ٨٧-٨٨. أورد آثارا متعددة نحوه انظر الطبري، جامع البيان، ج ١٦، ص ٣٥-٤٨. مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، ج ٢، ص ٣٢٨-٣٣٠.

١٥٦ قال أبو علي رضي الله عنه. المراد بالآية أنه اشتهى ما دعته إليه، كما اشتهت ما أرادته منه، وقد تسمى الشهوة هما، ولذلك يقول القائل في الذي يشتهيه إن هذا من همي. كما يقوله فيما يريده ويعزم عليه. فيجب حمل الكلام على الشهوة تنزيها للأنبياء عن الفاحشة. القاضي عبد الجبار، متشابه القرآن، ج ١، ص ٣٩١؛ الطبرسي، مجمع البيان، ج ٥، ص ٣٤٤، ١٢٤.

ذكر أيوب صلى الله عليه

ورووا أن أيوب النبي صلى الله عليه وسلم سلط عليه إبليس حتى نفخ وجهه فتجذم وأن إبليس قتل ولده ونسائه وعبيده وأهلك عقبه وأهدم منازله وأحرق أشجاره[١٥٧] وهو تفسير قوله بزعمهم حين قال أيوب: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١]. ولو أن الحشوية الحيارى النوام السكارى تدبروا ما أنزل الله عليهم لدلهم على موضع الصواب، لأنه يقول: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٨-١٠٠]، فليس أحد من عباد الله أخلص إيماناً من أنبيائه وأصفيائه، ولكن الحشوية جهلوا لغة العرب، واشتغلوا بالملاهي]/١٣٦و[عن مدارسة القرآن وشغلوا عقولهم بغير ما كلفوه لجدوا في طلب ما قد كفوه وضيعوا جميع ما كلفوه.

وإنما معنى قوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾[ص: ٤١] يعني خاطراً من الشيطان كما قال في سورة الأعراف: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١] يعني إذا جاءهم خاطر وسواس من الشيطان ذكروا الله وتعوذوا به.[١٥٨]

ومن حديث عمرو بن خالد عن عمرو بن دينار عن عطاء بن يسار، قال: سمعت بن عباس يقول: إن أيوب صلى الله عليه ظن بزوجته ظناً فغضب عليها وتضجر وحلف ليجلد بها مائة جلدة[١٥٩]

١٥٧ القرطوبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٨، ص ٢١٣.

١٥٨ ادّعاء أبي علي مثل هذا، يقول: ان الشيطان لا يقدر علي الإضرار بالإنسان أكثر من إغوائه و الوسوسة و دعائه إلي المعاصي، فأما بغير ذلك فلا يقدر عليه. انظر: الطوسي، التبيان، ج ٦؛ ص ٢٩٠،٢٩ ٣٣٨.

١٥٩ لنحو هذه الرواية انظر. السيوطي، الدر المنثور في التفسير المأثور، ج ١٢، ص ٥٩٩-٦٠٠.

فأوحى الله إليه يا أيوب: الذي ظننته بزوجتك ليس كما ظننت، ولكن ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾ [ص: ٤٤]. والضغث: الحزمة من الحديد، فعندها ندم أيوب على ما كان من ظنه، فقال: ربي ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١]. يعني خاطراً من الشيطان لأن أقرب ما يكون الشيطان من الإنسان فعند ثورة غضبه وعند إفراط شهوته، فاستغفر أيوب ربه وتاب وندم على ما حلف وظن فأناب.[١٦٠]

وقالت الحشوية: من فسر كتاب الله فأصاب أثِمَ، ومن أخطأ فكأنما خر من السماء. فليت الجهال الحيارى حين قالوا هذه المقالة قادرها فانزجروا عن تأويله وسكتوا وكان ذلك أولى بهم، وكيف يحرمون تأويله على غيرهم ويزعمون أنه لا يعلم تأويل القرآن إلا الله، وهم يقتحمون من التأويل على ما هو الشرك والكفر مكابرة وجحداناً.

وذلك أنهم رووا عن شيخ لهم بحديث مأمون منه الغلطُ والزللُ في تفسير هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ [الحجر: ٢٤] /[١٣٧ظ] زعموا أن امرأة ذات حسن وجمال كانت تصلي خلف النبي صلى الله عليه مكشوفة الوجه بزعمهم فكان الذين يصلون في أوائل الصفوف يتأخرون إذا هم ركعوا لينظروا إلى تلك المرأة في وقت ركوعهم وكان الذين يصلون في أواخر الصفوف يتقدمون ليسترقوا النظر إلى تلك المرأة[١٦١] بزعمهم، فأوجبوا أفحش الفحش على أصحاب رسول الله صلى الله عليه ونسبوا إليهم أقبح القبيح وأخبث الخبيث ولا سيما قوم كانوا يصلون خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأكذبوه في خبره حيث يقول: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢].

فزعمت الحشوية أن الله سبحانه لم يؤيد رسوله إلا بالفاسقين وهم المهاجرون والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، والآية محكمة ليست تحتمل تأويلاً خلاف ظاهرها لأن قوله: ﴿وَلَقَدْ

١٦٠ يقول الجبائي: لا تقع معاصي الأنبياء إلا سهواً، فأما مع العلم بأنها معاصي فلا تقع. تأويلات صاحب المقالات موافق لهذا الرأي. الطوسي، ج٧، ص ٢١٧.

١٦١ ورد ما أشبه ذلك في كتب التفاسير والحديث انظر: الطبري، تفسير الطبري، ج ١٧، ص ٩٤، أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج ٥، ص ٥.

عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ يعني ما يكون من الأمم إلى آخر الدهر، وليس شيء أبطل لكتاب الله عز وجل من حمل التأويل على المحكم منه، كما رووا بزعمهم في قوله: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨] وفسروه وهم بشدة جهلهم وكثرة عنادهم أنهم يعلمون ما قد ذكره الله سبحانه أنهم لا يعلمونه تكذيباً لله سبحانه ورداً للقرآن وكما قالوا في قوله: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ [البقرة: ٦٩]. والفاقع هو من الأسماء المؤكدة للون لأن العرب تقول: أبيض ناصع وأسود حالك وأخضر ناضر وأحمر قانٍ وأصفر فاقع، وهذا أبلغ ما يكون من خالص الألوان.

ذكر القدر

ثم قالوا كيف ينكر القدر أهل القدر والله سبحانه يقول: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [فاطر: ٨] /[١٣٧و] وقال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السجدة: ١٣]، وقال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٩] فمن ينكر قدر الله إلا كل كافر.

قلنا لهم: صدقتم، لن ينكر قدر الله ولا يرد قضاءه إلا جاهل أو كافر، ولكن أنتم مقرون أن القرآن أنزله الله سبحانه شيئين محكماً ومتشابهاً وهذه الآية هي من الآيات المتشابهات، وإنما تفسير معناها في الآية الأخرى في قوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦]، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الصف: ٧]، وقوله: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦] وقال حين ذكر القرآن ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ [المائدة: ١٦] فقدم الله سبحانه في هذه الآيات المحكمات الآيات المتشابهات كما فسر قوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق: ١-٣].

فزعمتم أنتم يا معاشر الحشوية أن الفلق بئر في وسط وادٍ من أودية جهنم، وقد فسر الله سبحانه الآية في آية أخرى حيث يقول: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ [الأنعام: ٩٦] فدل على أن الفلق هو الصبح، وقال في سورة سبحان: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨] فدل على الغسق أنه الظلام وأنتم تزعمون أن غاسقاً كان رجلاً من اليهود يصيب الناس بالعين فيمرضون لشدة إصابته بالعين، وفيما تلونا عليكم من آي القرآن المحكم تكذيب لدعواكم.

ورووا عن مشايخهم الثقات زياد بن الأوزاعي والهقل بن زياد[١٦٢] وخليفة بن الوليد وهم الذين أدركوا المشايخ الثقات المأمونين العُفاة الصالحين لأنهم الذين كانوا يمدون حبال المنجنيق مع الحجاج بن يوسف حتى هَدُّوا الكعبة وصدعوا الركن الأسود فكسروه هَلَقَى وقتلوا ابن الزبير في جوف الكعبة وحالت الخيل في المسجد الحرام وتطايرت الرؤوس والجماجم في الحجر، ولطخ بلاطها بالدماء. فهؤلاء الذين يروون عنهم جل الحديث أهل الورع والبر.

ورووا عن الثقات المأمونين من الخطأ والزلل أن الذين عنى الله بقوله: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ /[١٣٨ظ] وَبِأَيْمَانِهِم﴾ [الحديد: ١٢] معاوية بن صخر ويزيد وعبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف وزياد بن عبيد وهم المذكورون في القرآن بأحسن الذكر وأحمد الثناء وأنهم هم الذين ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ * يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧٠-٧١].

ورووا عن ثقاتهم أن الله سبحانه يأخذ الطفل الصغير بذنوب أبويه فيخلده في نار جهنم مغلولة يداه إلى عنقه تضربه الزبانية بمقامع الحديد، قد قرن مع كل شيطان مريد، تضربه الزبانية لا يرقون به ولا يرقون له ولا يرحمونه لطفولته وذلك لأن رب العالمين قضى على أبويه المعصية حتى زنيا فآخذ هذا الطفل بذنوبهما[١٦٣] وذلك معنى قوله بزعمهم: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر:١٨].

تفهموا رحمكم الله كيف يقبلون المحال ويكذبون بالقرآن لأنهم يؤمنون به تنزيلاً ويكفرون به تأويلا ويجمعونه تأليفاً ويفرقونه تحريفاً، ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

١٦٢ الهقلُ بنُ زِيَادٍ أبو عَبْدِ اللهِ الدِّمَشْقِيُّ، كاتب الأوزاعي وتلميذه، وتوفي ببيروت سنة تسع وسبعين ومائة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٨، ص ٣٧٠-٣٧١، المزي، تهذيب الكمال، ج ٣٠، ص ٢٩٥.

١٦٣ لم نجد هذا الحديث بهذا اللفظ فيما بين أيدينا من المصادر ولعله يشير إلى ذلك الحديث.» لا يدخل الجنة ولد زنا». وللحديث أطراف أخرى منها « لا يدخل الجنة ولد زنية» و « لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا ولده ولا ولد ولده » راجع مصنف عبد الرزاق الصنعاني، ج ٧، ص ٤٥٣، صحيح ابن حبان، ص ٥، ص ١١، مسند أحمد، ج١١، ص٤٩٣، الطحاوي، شرح مشكل الآثار، ج٢، ص٣٧١. وهكذا حديث في أن ولد الزنا شر الثلاثة انظر الطحاوي، شرح مشكل الآثار، ج ٢، ص ٣٦٥.

ذكر خلق القرآن

وزعمت الحشوية كما سمعوا أستاذهم أحمد بن حنبل السني الجماعي يقول: القرآن كلام الله ليس بخالق ولا مخلوق، ومن قال غير هذا كفر لأن القرآن كلام الله فكيف يكون كلام الله مخلوقاً، فوافقوا النصارى في قولها عيسى بن مريم ليس بمخلوق لأنه كلمة الله ألقاها إلى مريم وروح منه، وكذلك القرآن هو أيضاً كلام الله وروح منه، يدل على ذلك قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] يعني بالروح القرآن، وقال في سورة براءة: ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [/١٣٨و] ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

قلنا لهم: القرآن كلام الله لم نخالفكم فيه، وهو روح من أمر الله سبحانه، وهو فعل الله وكل فعل فلا بد له من فاعل فعله وأحدثه، لأن القرآن هو صفة لفعل، فلا بد له من فاعل، ألا تسمع إلى قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٨] يعني فإذا أجمعناه عندك فاعمل بجميع ما فيه، وإنما قيل: قرآن لأنه اسم لتكثير الفعل كما يقول: بنيت بنياناً، والعرب تقول: قَرَوْتُ اللبنَ في الإناء، يعني جمعت اللبن في الطرف، وقريت الضيف إلى المنزل، وقرأت القرآن يعني جمعته. فكل من سماه قرآناً فقد أثبت له فاعلاً فعله وأوجده وأحدثه واخترعه.

فإذا نفت الحشوية أن يكون القرآن لله فعلاً، فقد زعموا كما زعمت مشركوا قريش أن محمداً افتراه وأنه هو الذي افتعله لأنه قد نفى عن الله فعلاً فعله، ولا بد لذلك الفعل من فاعل، فإذا لم يكن لله فهو فعل محمد مع تلاوتهم في سورة الشعراء: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [الشعراء: ٥] وفي سورة الأنبياء قوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢]. وقال: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٥١] وقال: ﴿آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾ [الأعراف: ١٣٣].

لجميع صفاته تدل على أنه مفعول ولا بد له من فاعل، ويدل على أنه مجموع ولا بد له من جامع، وقد قدموا إلى بعض قضاة بغداد رجلاً وشهدوا عند القاضي على أنه كافر لأنه يقول إن القرآن مخلوق فاقتله أيها القاضي لأنه كافر، فامتحنه وقال له: ماذا يشهدون به عليك وما تقول في القرآن؟ فقال الرجل: هو خالق أيها القاضي لأنك قد قدمت لفصل القضاء ولتعليم الجاهل ولا أعرف غير شيئين: خالقاً وهو رب العالمين، أو مخلوقاً وهو جميع ما خلق جسماً كان أو عرضاً فوجم القاضي وأعجم عن جوابه وأمر بتخليته.

وقد حدثني /[١٣٩ظ] أبو بكر أحمد بن ضرار الضراري[١٦٤] قال: أول ما حدث الجدال في خلق القرآن فبالكوفة زمان ضرار[١٦٥]، وكان قد وضع في تلك الأيام كتاب التحريش وكان ضرار كوفياً ناصبياً وكان نظاراً فجاءه من البصرة علي الأسواري[١٦٦] فلقيه بالكوفة فقال له: يا ضرار، ما هذا التخليط الذي أنت فيه وما هذا التجاهل؟ كتبك تنتشر في البلاد والناس يصفونك بالعلم وأنت ملحد وتدعي أنك موحد، قال له ضرار: يا أبا الحسن: إن المسلم مرآة أخيه المسلم فأرشدني يرحمك الله.

قال له علي الأسواري: يا ضرار، أخبرني عن فاعلين اشتركا في فعل واحد لم يتأخر أحدهما عن الآخر، وأحد الفاعلين عالم بأن ذلك الفعل قبيح ومعه القدرة على تركه، والفاعل الثاني عالم أيضاً بأن ذلك الفعل قبيح غير أنه ليست معه قدرة على تركه، أي الفاعلين أولى باللوم، الفاعل الذي معه القدرة على تركه، أم الفاعل الذي ليست معه القدرة على تركه؟ فقال:

١٦٤ لم أقف على ترجمته في المصادر.

١٦٥ هو ضرار بن عمرو الضبي، لم يذكروا له ولادة ولا وفاة، توفي في زمن هارون الرشيد. ويقول الصمدي: توفي في حدود الثلاثين ومائتين. ومحققوا الكتاب التحريش يقول: نجمع بين القولين ويمكن أن نقول توفي في حدود مائتين. فشهد قوم على زندقته عند القاضي سعيد بن عبد الرحمن فأمر بضرب عنقه فهرب، وقيل أخفاه يحيى بن خالد البرمكي. وكان قاضيا من كبار المعتزلة ولكنه خالفهم في بعض المسائل، لذالك لم يعده مؤرخو معتزلة من طبقات المعتزلة. ويقول البلخي «وليس تلزم سمة الاعتزال لمن خالف التوحيد والعدل وإن قال بالمنزلة بين المنزلتين كضرار». قال ابن النديم هو من بدعية المعتزلة. ولكن كتاب المقالات بين أيدينا يشهد عكس ذالك ويقول إنه تاب علي يدي علي الاسواري. راجع. الذهبي، سير اعلام النبلاء ج ١٠، ص ٥٥٤، ابن النديم، الفهرست، ص ٢١٤؛ ضرار بن عمرو، كتاب التحريش، ص ٧-١١.

١٦٦ كان من أتباع أبي الهذيل العلاف ثم انتقل إلى مذهب النظام وهو شيخ المعتزلة، عدّ من الطبقة السابعة. توفي عام ٢٤٠ هـ انظر عنه طبقات المعتزلة ص ٧٢، طبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار، ص ٢٦٧.

لكن الفاعل الذي معه القدرة على تركه، فقال له علي الأسواري: هل علمت ما لزمك في هذه المسألة يا ضرار؟ فلما فهم ما لزمه في المسألة وفي جوابها وَجَم وندم على قوله بالإجبار. وقال: أستغفر الله الرحمن الرحيم وأتوب إليه مما كنت أدين به من الإجبار.

قال: ولقيه رجال من إخوانه فقالوا له: تبت إلى الله من الإجبار إلى القول بالعدل، فكيف تصنع بالكتب التي وضعتها في الإجبار بعد ما انتشرت في الآفاق؟ فقال لهم ضرار: يا عباد الله. إنه ليس أحد يلام على الرجوع إلى الحق بعدما تبين له، والله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، ويحب التوابين، وعلى الناس أن ينظروا كما نظرت، ويرجعوا إلى الحق كما رجعت]١٣٩/و[وأن يتوبوا إلى الله كما تبت.

قال: ولقيه شيخ من شيوخ الحشوية الجهال، فقال له: يا ضرار، بلغني أنك خرجت من دين أهل السنة والجماعة ودخلت في قول المعتزلة الزنادقة الكفار الذين يقولون إن لهم استطاعة وإن لم فعلاً، فقال له ضرار: يا عبد الله، وهل كلفني الله ما لا أطيق من الفعل، أم كلفني ما أطيق؟ فقال له الشيخ: بل كلفك ما لا تطيق، وأمرك بما لا تستطيع، قال له ضرار: فيعذبني على ما فعلت أنا بنفسي أم على ما فعله بي ؟ قال له: بل على ما فعله بك يعذبك، قال له ضرار: فليس يظلمني، والله ليس بظلام للعبيد، قال له الشيخ: ومن أنت بأسفله حتى لا يظلمك، فلما سمع ضرار كلام الشيخ أيقن أنه جاهل وجعل ضرار يهزأ بالشيخ ويسخر منه.

ثم قال له: وقد بلغت منك كلاماً لا أدري أتقوله أم شنعوا به عليك، فقال الشيخ: وما الذي بلغك عني يا ضرار؟ قال: الناس أهل سعايات ونمائم، فقال له ضرار: بلغت عنك أنك تقول إن عيسى بن مريم من بني آدم، وإن عمر بن الخطاب لم يكن من الأنبياء، وإن القرآن مخلوق وهو كلام الله سبحانه، فقال له الشيخ متصلا: يا ضرار إن كنت قلت هذا فامرأتي طالق، ولقد كذبوا علي في هذا القول وشنعوا به علي، قال: وانتشر هذا القول بالكوفة فاتخذه ضرار مَطْنَزَة بالشيخ، ثم اتخذه العوام ديناً يدينون الله به. قال أبو بكر الضراري: هذا كان السبب الذي ذكر منه خلق القرآن.

وروت الحشوية عمن يرضون حاله أنه قال: لو لم يرد الله أن يعصى لما خلق إبليس، وفي هذه الرواية رد لقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] ، وقالوا: إن الله سبحانه خير العباد على فعل الخير والشر لا اختيار لهم في شيء من ذلك كما زعمت الثنوية أن العباد لا فعل لهم /[١٤٠ظ] وإنما هم مقسورون على فعل الخير والشر وزعموا أن ذلك كله إنما هو فعل النوري استعمله في الخير وفي إكرام اليتيم ونصرة المظلوم ووصل ذي القربات. وإذا غلب عليه طبع الظلمة استعمله في جميع الشر من الكذب والزنا والسرقة والخيانة، فقد وافقوا الثنوية في الإجبار كما وافقت الهند السوفسطائية والزنادقة في تكذيب القرآن.

ثم نفوا عن الله فعله وأضافوا إليه أفعالهم القبيحة السيئة، وقد أكذب الله الذين ادعوا مثل هذا القول على أنبيائهم حيث يقول: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، فأكذبهم الله بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ [الأنعام: ٣٩] وكما أكذب الذين: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف: ٢٨]، فقال الله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ [الأعراف: ٢٨-٢٩]، ثم أكذبهم بتكذيبهم بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

ذكر الشفاعة

وزعمت الحشوية أن النبي صلى الله عليه يشفع لأقوام يوم القيامة ثم يخرجون من جهنم بشفاعة نبيهم بزعمهم وفي إيجاب هذا رد لقوله: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٦]، فكيف يزعم هؤلاء الجهال أنهم يخرجون منها وهم عنها غير غائبين، وفيه أيضاً نقض لقوله: ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وقوله: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [لقمان:٣٣]، وقوله: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٠].

كيف يزعم هولاء الزنادقة الحيارى]/١٤٠ظ[الجاهلون السكارى أن لهم شفاعة يوم القيامة فقبلوا أحاديث الزنادقة ولم يقبلوا آى القرآن، فقد وافقوا جميع الملحدين في جميع مذاهبهم، فليس معهم من الدين إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه حتى يمتثلوا إسلامهم منه، فزعموا أن شفاعة النبي عليه السلام تدرك يزيد بن معاوية وطغاة بني أمية وأعوانهم وهم كانوا المظهرين للإجبار [بدنا][١٦٧] الذي أحدثوه في الإسلام لكي يعذرهم الجهال في أفعالهم القبيحة لأنهم لما قتلوا الحسين وذهبوا برأسه الى يزيد وذهبوا ببنات النبي عليه السلام حسراً على أقتاب عارية ونُوقٍ صعاب ليس عليهن قناع ولا سترة حواسر الرؤوس يستشرفهن الأعداء كأنهن من سبايا الروم، قالوا: قضاء الله سابق وقدر الله غالب، وإن أصابوا أموال الفقراء والمساكين قالوا: رزق الله، وإن نصبوا المجانيق على الكعبة فرجموا الكعبة البيت الحرام حتى تصدعت أركانه وبنوه بعدما هدموه قالوا: قدر الله، وقد سبق هذا في علم الله ولم يكن من ذالك بد، ونحن نقول: فعلى من قضى ذلك لعنة الله عليه والملائكة والناس أجمعين.

١٦٧ ما بين المعقوفتين كلمة غير مقروءة، في الأصل: "بدنا". ولايكون له معنى في هده الحالة.

ذكر تفسير قضاء الله سبحانه على عباده

فإذا قلنا للحشوية الحيارى النوام السكارى: ويلكم إن الله لم يقض ما ادعيتم، لأنه لو كان قضى قتل الحسين على يزيد، لم يكن عليه لومة لائم لأنه ليس هو الذي قتله بزعمكم ولا ابن مرجانة[١٦٨] وإنما قتله قضاء من الله وقدره، وكذلك الكعبة أيضاً إذا كان رجمها وكسر أركانها قضاء من الله قضاه وقدره، فليس على الحجاج لومة لائم، لأنه فعل ما قد قضاه الله وقدره بزعمهم.

فإذا قالوا: فليس له]/١٤٠و[سبحانه قضاء في عباده، قلنا لهم: بلى إن له في عباده قضاءً وقدراً، فإن قالوا: وما قضاء الله في عباده وما قدره عليهم، قلنا: قضى الله سبحانه في عباده قضاءان وقدران لا اختيار للعباد في شيء منهما، إما نعمة أسبغها على قوم ظاهرة وباطنة، صحة الأبدان وكثرة الأولاد والتوسعة لهم في المعاش، وإما بلية امتحنهم فيها بالصبر، فهذان القضاءان والقدران اللذان قضاهما الله على عباده نعمة أسبغها عليهم ليبلو شكرهم أو بلية امتحنهم بها ليبلو صبرهم.

فمن زعم أن المعاصي منه سبحانه لم يخل من أحد أمرين: إما يكون نعمة أنعم بها على عباده فينبغي للعاصي إذا عصى ربه أن يشكره على تلك المعصية التي قدرها عليه، إذ هي من النعم السابغة، أو أن تكون من المعصية مما امتحن بها العاصي وقد أمر الله سبحانه المبتلى بالصبر، فينبغي للعاصي منكم أن يصبر على معصيته إذ هي بلية ابتلاه الله بها كما زعمتم يا معشر

١٦٨ هو عبيد الله بن زياد بن أبيه، ويقال له: عبيد الله ابن مرجانة - وهي أمه، أمير العراق، ولي البصرة وخراسان أيضا. لمزيد من الاطلاع على تفاصيل ترجمته راجع: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٥٤٥-٥٤٩؛ ابن كثير، كتاب البداية والنهاية، ج ٨، ص ٢٨٥-٢٨٧.

القدرية[169] المجبرة[170] الحشوية، فإذا أقروا أن المعاصي ليست من نعم الله ولا من ابتلائه في الدنيا، قلنا لهم: فهي أفعالكم السيئة القبيحة، فلا تتبرؤوا منها وألزموها أنفسكم وانسبوا إلى الله سبحانه القرآن الذي هو فعله ﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾ [طه: ٦١].

١٦٩ ليس المقصود من القدرية هنا نفاة القدر، المعتزلة يستعمل الكلمة لمن يُثبوته يعني الجبرية، يقول القاضي عبد الجبار: «هم قدرية مجبرة يحملون ذنوبهم على الله، ويقولون ان الله سبحانه قد شاء ما نحن فيه، وحملنا عليه وأمرنا به». القاضي عبد الجبار، المغني في ابواب التوحيد، ج ٨، ص ٣٣٠.

١٧٠ قصد مؤلف هذا الكتاب بالجبرية هم الجبرية الذين ينسبون فعل العبد الى الله، وأنه لا فعل للعبد أصلا، ولا قدرة له عليها، ولا اختيار واستطاعة، إن هذه كلها من الله وهي من أفعال الله، والعبد معذور بسبب ذلك. عرّف ابن المرتضى أيضاً: «يسمون مجّورة ومجبرة وقدرية ولا يرضون أيّها بل يتسمون بالسنية ويجمع مذهبهم القول بخلق الافعال وإرادة المعاصي وتعذيب من يشاء بغير ذنب....» ابن المرتضى، القلائد في تصحيح العقائد، ص ٤٩.

ذكر خلق أفعال العباد

فإن قالت الحشوية الحيارى: وأنتم قد نراكم أوجبتم خلق القرآن وهو فعل الله، وقلتم هو مخلوق، وكذلك نقول، وقد قال الله خالق كل شيء، وأفعالكم شيء، فلِم نفيتم عن الله خلقها؟

قلنا: ألزمنا القرآن خلقاً لله سبحانه لأن القرآن هو فعل الله، وأفعالنا نحن فاعلوها]١٤١/ظ[ونحن أولى بقبحها من رب العالمين، لأنه لا فعل له فيها. ولو كانت أفعال العباد مخلوقة لكان كل إنسان خالقاً، ولكان كل فاعل فاعلاً لخلق الله سبحانه، ومما يدلكم على أن أفعال العباد ليست بمخلوقة ما جامعتمونا عليه من التصديق بهذا القرآن الحكيم الذي أمرنا الله سبحانه أن يمتثل إسلامنا فيه وأن نرد كلما اختلف الناس فيه إلى هذا القرآن، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ [ص: ٢٧]. فأخبرونا عن معاصي العباد، أليست بين السماء والأرض؟ فلا بد من نعم، ثم يقال لهم: فما تقولون في معاصي العباد إن زعمتم أنها خلق من رب العالمين والعباد هم الفاعلون لها، فهل هي حق أم باطل؟ فإن قلتم: المعاصي باطل، فقد أكذبتم رب العالمين في خبره لأنه قال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾، وإن قلتم معاصي العباد الحق غير الباطل، فقول اليهود: العزير ابن الله وقول النصارى المسيح بن الله حق، وأن الله ثالث ثلاثة في دور قولكم ،وهذا هو الشرك بالله لمن دان وقال به، وإن أقررتم أن أفعال العباد هي محضة من العباد وهم أحدثوها اختياراً وليست مخلوقة رجعتم إلى قولنا وهو قول العدل على الله رب العالمين.

ذكر العزير والمسيح

ثم يقال للحشوية: أخبرونا عن العزير والمسيح من خلقهما؟ فلا بد من الإقرار بأن الله سبحانه هو خالقهما وهو خالق كل شيء، ثم نقول لهم: فمن صيرهما نبيين؟ فلا بد من أن يقروا بأن الله سبحانه صيرهما نبيين، ثم نقول لهم: فمن جعلهما ابنين لله سبحانه؟ فإن قلتم الله، فلا لوم على اليهود ولا على النصارى في قولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله، وإن أقررتم أن اليهود والنصارى هم الذين جعلوهما ابنين لله سبحانه نسبتم[171] إلى ربكم من أن يلزموه أفعالاً تبرأ منها ولم يفعلها، فتفكروا وأبطروا ولا تفتروا على الله الكذب]/١٤١و[فإنه قد انتفى مما ادعوه على الله سبحانه حين قالوا وادعوا جميعاً أهل الإلحاد من عباد الأصنام وعباد النجوم وعباد العزير والمسيح، فرد الله عليهم أجمعين فقال: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ [النجم: ٢٣].

١٧١ كلمة غير واضحة في الأصل، لعلها نسبتم

ذكر الإمامة

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] فأوجب الله سبحانه على الأمة إماماً يقوم بأمورهم يسكن به البلاد ويصلح به العباد، فهذا فرض الإمام في القرآن، وأما احتجاج العقل في الإمام المنصوب فلابد منه لأنه إذا كان الناس على دين، فلا بد للدين من حارس، فالدين هو أس الملك، والملك حارس للدين لأنه ما لا رأس له فواهٍ، وما لا حارس له فضائع، ومن جهته الإجماع من جميع ولد آدم أن يعقدوا إمامتهم لخيرهم عقلاً وفهماً وفقهاً ونظراً.

وأنت لو قصدت إلى الدهرية من أهل الهند فقلت: لِمَ قدمتم سابوركم هذا عليكم؟ لقالوا: لأنه لا يطيب بلادنا ولا ينقطع فسادنا، ولا يصلح الناس إلا بإمام قائم فيهم، ولم نجد فينا أذكى عقلاً ولا أفضل حالاً من هذا السابور، فلذلك خصصناه بالرئاسة علينا.

ولو قصدت إلى الثنوية فقلت لهم: ما دعاكم إلى أن ترئسوا هذا النحت عليكم؟ لقالوا: لأن هذا هو أشدنا نباهة وأحسننا تدبيراً.

ولو قصدت إلى الخزر وإلى الديلم فقلت لهم: ماذا دعاكم إلى أن ترئسوا عليكم حيداحيدكم هذا؟ لقالوا: لأن حيدا حيدنا هذا هو أبصر بقوام أمرنا وأقطع للفساد وأقمع للظالم.

ولو قصدت إلى الترك ثم قلت لهم: ما دعاكم إلى أن تقدموا على رئاستكم خاقانكم[١٧٢] هذا؟ لقالوا: لأن خاقاننا هذا هو أقوم بحرب عدونا وأنصر لمظلومنا.

١٧٢ الترك يسمون ملوكهم خاقان. يقول ابن خرداذبة: ملوك الترك والتُّبت والخزر كلهم خاقان. ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ج ١، ص ١٦.

ولو سألت المجوس فقلت لم قدمتم هذا الحانليق[١٧٣] عليكم؟ لقالوا: لأنه أعرف بما يصلحنا وأجمع لكلمتنا، وأقطع لتشتيتنا.

ولو سألت اليهود عن رأس جالوتها[١٧٤] /[١٤٢ظ] فقلت لهم: لم قدستم جالوتكم هذا عليكم؟ لقالوا: لأنه أرحمنا قلباً وأرضانا خلقاً وأوقر لكبيرنا وأرحم لصغيرنا، وهو أتلانا للتوراة وأعرفنا بأمر ديننا، وأميزنا بين الحلال والحرام ومع ذلك إنه ابن نبينا.

ولو سألت الحبش عن نجاشيهم[١٧٥] فقلت: ما حملكم على أن تقدموا هذا النجاش؟ لقالوا: لأنه أقرانا للضيف وأمضانا بالسيف وأعلمنا بتدبير حروبنا وأعرف بديننا.

وكذلك لو قصدت إلى النصارى فقلت لهم: لم قدمتم هذا القيصر[١٧٦] عليكم ولم تقدموا غيره؟ لقالوا: لأنه أعفانا فرجاً وأجودنا كفاً وأعرفنا بالسياسة، وهو أتلانا للإنجيل.

لأن الحشوية الحيارى الجهال السكارى لا يعقدون إمامتهم إلا لكل جبان طاغي، ولكل فاسق باغي أبين الناس جهلاً وأضعفهم عقلاً وأندرهم علماً وأكبرهم عناداً وأظهرهم فساداً، وقد ولى أمورهم عدد من أئمتهم، وهذه صفتهم [ ][١٧٧] يلعبون بالحمام ويناقرون بالديوك ويناطحون بالكباش ويهارشون بالكلاب، أغمار أشرار يفسدون في الأرض ولا يصلحون، لوطة، بغاة، اتخذوا مال الله دولاً وعباده حولاً ودينه دغلاً ، فاشتروا بمال الفقير والمساكين الحصان والمعازف والقيان وشربوا الخمور وركبوا بها الفجور، ونقضوا العهود، وأعزوا النصارى واليهود، فعمدت الحشوية إلى من هذه صفته وهذه أفعاله، ثم عقدوا له إمامتهم وقالوا: هذا يقوم مقام محمد النبي صلى الله عليه وسلم، ومقام أئمة الهدى مع تلاوتهم

١٧٣ لعله بمعنى متقدم الأساقفة.

١٧٤ كلمة «رأس الحالوت» اسم يطلق للحاكم على اليهود بعد خراب بيت المقدس الخراب الثاني. انظر: أبو الفداء، كتاب المختصر في أخبار البشر، ج ١، ص ٨٨.

١٧٥ النجاشيّ كلمة حبشية يسمون ملوكهم به. قال ابن دريد: النَّجاشيُّ اسم ملك الحبشة، فإنْ حملتَه عربيّاً فهو من النَّجْش. ابن دريد، الاشتقاق، ص ٤٠٠.

١٧٦ ملوك الروم يسمون بقيصر. انظر: ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ١٦.

١٧٧ كلمة في الأصل لا يمكن قراءتها.

﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] وقوله: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥]، وقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٢] فالله سبحانه يأمر بقتال الكافرين الفاسقين الظالمين. /[١٤٢و] والحشوية يتخذونهم أئمة يصلون خلفهم الصلوات ويؤدون إليهم الزكوات خلافاً لما أنزل الله في كتابه وعناداً لما أمر الله به رسوله ويزعمون أنهم مهتدون.

دعائم الإسلام

اعلم رحمك الله أن أول أصول الدين معرفة الله ثم توحيد الله بنفي الصفات عنه، أنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

ثم القول بعدل الله، أنه لا يجور ولا يظلم أحداً وأنه لم يكلف العباد [إلا][١٧٨] يسراً.

ثم إنفاذ وعده ووعيده على أعدائه والوفاء بوعده لأوليائه، ولن يخلف الله وعداً ولا وعيداً، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩].

ثم التعاون على البر والتقوى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحفظ لحدود الله.

ثم المنزلة بين المنزلتين لمن فسق عن أمر الله، وأن يسمى فاسقاً مالم يظهر كفراً.[١٧٩]

١٧٨ قدر الحرف الواحد مطموس من البلل، المثبت يقتضيه السياق.

١٧٩ هذا اختصار لأصولهم الخمسة التي تجمع عليها المعتزلة. لمزيد من التفاصيل انظر: مقالات للبلخي، ص ١٥٧-١٥٨؛ طبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار، ص ٣٦١-٣٦٧.

ذكر المعرفة بالله

وقد زعم قوم أن معرفة الله ضرورة[180]، وليس كما قالوا، لكن المعرفة بالله اكتساب، يدلك على ذلك قوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ [البلد: ٨-٩]، وقوله: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨]. وهذا تشبيه وليس بحقيقة، لأنه إنما عنى به قوماً كانوا يتعامون ويتعامهون ويتجاهلون عن الحق، فشبههم الله سبحانه بالصم الذين لا يسمعون، ثم قال بكم، فشبههم بالخرس الذين لا ينطقون، ثم قال عمي، فشبههم لجهلهم بالعمي الذين لا يبصرون، وذكر الله سبحانه آلة التمييز، ولولا الآلة المتقدمة من السمع والبصر والعقل لما كان أحد يعرف شيئاً غير معرفة الإلهام، وتلك معرفة يستوي فيها الإنسان والبهيمة كالمعاش والخوف والنوم والجماع.

١٨٠ يقول أبو علي أيضاً العلم بوجود الله ليس اضطراراً وأن المعارف ليست ضرورة. انظر. فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، ج ٢٧، ص ٦٤٩، القاضي عبد الجبّار، متشابه القرآن، ج ١، ص ٤٣٨.

ذكر أبواب المعرفة

اعلم رحمك الله أن المعرفة بالله سبحانه اكتساب، والاكتساب ينقسم ثلاثة أقسام، فمنه إدراك المعرفة بالمشاعر المذكورة، وهي الحواس الخمس، كالأبصار تدرك الألوان وبعد المسافة من قربها، وتمييز اختلاف الصور، وكالأسماع يفصل ما بين المصوتين وما تتولد من الصوت عند اصطكاك الأجرام، ثم الخياشيم يفصل ما بين الروائح لما /[١٤٣ظ] يسطع من طيبها وخبيثها، وكاللهوات يفصل ما بين أذواق الطعوم، ولما يكون من فهوهتها وبشاعتها وحروفها ودسومتها وحلاوتها ومرارتها وحموضتها وملوحتها، ثم الأيدي وما تدرك من اللمس، فيفصل بين الليانة والخشونة، والرطوبة واليبوسة، وبين الثقل والخفة والحرارة والبرودة.

ثم ما أدرك الناس بعقولهم كالعقل المشترك والمفرد، وكالكتاب يدل على كاتبه، وكالثوب يدل على حائكه، وكالأثر يدل على مؤثره، وكالبناء يدل على بانيه، وكالصورة تدل على مصورها.

ثم الخبر المجتمع عليه الذي لا اختلاف فيه كاتفاق الناس على تسمية البلدان نحو اليمن والحجاز ومصر والشام والعراق وخراسان والسند والهند والصين وأرض البجاة[١٨١] وأرض الحبش، وأرض فارس، فيعلم من سمع بذكر مكة أنها قرية معروفة وإن لم يدخلها ونحو أرض الأندلس وأرمينية، يعلم السامع بها أنها كلها حق، ونحو إجماع الناس على تسمية الملوك كإجماعهم على تسمية عاد وثمود، وهود وصالح، وكذلك فرعون لم يكن أعرف عند أهل البدوان من موسى وكالنمرود بن كنعان،

١٨١ أرض البجة وهي بين الحبشة والنوبة، انظر الشريف الادريسي، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج ١، ص ٤٦. يقول الحموي: «بجاوة. بفتح الواو، قال الزمخشري. بجاوة أرض بالنوبة، بها إبل فرهة وإليها تنسب الابل البجاوية منسوبة إلى البجاء، وهم أمم عظيمة بين العرب والحبش والنوبة» الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص٣٣٩. أما البجاة أو البجا «البجة»: هم شعب من الصحراء الشرقية، البجاة: هم طائفة من سودان بلاد النوبة والمغرب. البجاة، ويقال البجة: مجموعة من القبائل الحامية تسكن فيما بين النيل والبحر الأحمر، واسمها «البجة» قديم يرجع إلى ما قبل الإسلام.

كان معروفاً ولم يكن إبراهيم الخليل صلى الله عليه يدونه في الذكر عند الناس. وكذلك تُبّع، وجميع الملوك والأنبياء، وهذا هو القسم الثالث من الاكتساب.

فمن أراد أن يحرم باباً من هذه الأبواب الثلاثة من الاكتساب فليس بذي إنصاف في مناظرته، وذلك أن السوفسطائية تنكر هذا الاكتساب، والهند يقرون بالباب الأولى منها، وهو ما أدركوه بحواسهم الخمس، الثنوية يقرون بباب الحواس وباب العقل وينكرون باب الخبر، وقد وافقهم على ذلك كثير ممن ينتحل الإسلام.

فانظر رحمك الله إذا وردت عليك مسألة من المسائل حتى تعرف من أين يصاب حقيقة معرفتها لأنها لا تخلو من أن تكون موجودة في باب المشاعر الخمس، أو في باب /[١٤٣و] العقل المنظور بالدليل القائم، أو يكون في باب الخبر المجتمع عليه، فكل من أراد معرفة مسألة من باب العقل بالمشاعر، فقد أحال، ومن أراد أن يعرف مسألة الخبر بالمشاعر فقد أحال. وذلك أن معرفة رب العالمين إنما توجد في باب العقل، ومعرفة الأنبياء والرسل إنما توجد في باب الخبر، ومعرفة المشاهدة إنما توجد في باب الحواس الخمس، ولذلك يتحير كثير من العلماء في كثير من المسائل، لأنهم يخطون بها طريق معرفتها.

واعلم أن الحواس لا تدرك شيئاً إلا مع صحة العقل، كالرجل يغيب عنك دهراً ثم تراه فلا تعرفه حتى يثبته العقل.

ذكر العلم والاستطاعة

زعمت الحشوية الحيارى الجهال السكارى أن علم الله سبحانه اضطر العباد إلى المعاصي لأن الله سبحانه قد علم ما هم عاملون إلى يوم القيامة، فلا يكون خلاف ما علم الله، ولم يكن فرعون ليؤمن لأن الله قد علم منه أنه لن يؤمن أبداً ولا يكون خلاف ما علم الله، وكذلك موسى بن عمران قد علم الله منه أنه لن يكفر أبداً ولا يكون خلاف ما علم الله، وهذا [...][182] لأن قولهم خلاف ما علم، إنما هو علم بجهل الله سبحانه، وهذا هو الكفر لأن الله سبحانه لا يجوز عليه الجهل وإنما دعاهم إلى هذا القول قلة التمييز، كأنهم يظنون أن علم الله غير الله، ولو علموا أن علم الله سبحانه ليس هو غير الله، أو الله عالم لا بعلم هو غيره[183] لعلموا أن سؤالهم فاسد، وقولهم قد علم الله ما يكون، ولا بد له من أن يكون، هذا كله كلام محال.

١٨٢ هنا بياض بقدر الكلمتين في الأصل.

١٨٣ هذا يتفق مع موقف أبي علي في قوله إن الله يستحق الصفات لذاته، الباري تعالى عالم لذاته، قادر حي لذاته. ومعنى قوله لذاته أي لا يقتضي كونه عالما صفة هي علم، أو حال توجب كونه عالما. راجع: الملل والنحل، الشهرستاني، ج ١، ص ٨٢، القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة ص ١٢٩.

باب تفسير العلم

اعلم رحمك الله أن العلم علمان، أحدهما: علمك بالشيء قبل كونه كالرجل يعلم أنه متى ذُبح مات، فليس علمك بذلك إماتة، وكالرجل يعلم أنه إذا اجتمع رجل شاب نشيط مع امرأة شابة /[١٤٤ظ] جميلة علم أن كل واحد منهما موافق لصاحبه في الشهوة، لم يوجب ذلك العلم فعل الشهوة، وكالرجل يعلم أنه إن طرح ثوبه في النار احترق، فليس علمك بأن النار تحرق الثوب أوجبت إحراق الثوب، وكالرجل توصيه وتحذره أن لا يسلك طريق كذا فإن به أسداً مفترسا يأكلك إن أخذت ذلك الطريق، فيعصيك الرجل ويذهب في ذلك الطريق حتى خرج عليه الأسد فافترسه وأكله فليس علمك بأن الأسد يأكله بموجب لأكله.

وكذلك علم الله سبحانه ليس بموجب لمعاصي العباد، إنما يوجبها فعلهم بها واختيارهم، ولو كان علم الله سبحانه موجباً لمعاصي العباد لآخذهم بعلمه منهم حيث يقول: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧] ولم يؤاخذهم بعلمه فيعذبهم على علم قد علمه دون أن يفعلوا لأن العلم لا يوجب فعلاً.[١٨٤]

والعلم الثاني: الإيجاد، نحو قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ [محمد: ٣١] أراد منهم الفعال بالمعاينة منهم والمشاهدة، ونحو قول إبراهيم الخليل حين قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠] قال الله: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠] فأمره بأخذ الطير فيقطعها أجزاءاً ثم يجعل أجزاءها على

١٨٤ يقبل أبو علي إنّ الله عالم بالأشياء قبل كونها. هذا نصه من مقالات الإسلاميين أقول إن الله سبحانه لم يزل عالماً بالأشياء والجواهر والأعراض. كان يقول إن الأشياء تعلم أشياء قبل كونها وأن الجواهر تسمى جواهر قبل كونها وكذلك الحركات والسكون والألوان والطعوم والأرابيح والإرادات، وكان يقول إن الطاعة تسمى طاعة قبل كونها وكذلك المعصية تسمى معصية قبل كونها. الاشعري. مقالات الإسلاميين، ص ١٦٠-١٦١. انظر الطوسي. التبيان، ج ٣، ص ٧٢.

رؤوس جبال مكة، ثم دعاها بعد ما فعل ذلك فجاءت الطير سعياً، فكان هذا علم الإيجاد، وعلم المشاهدة، كالرجل يعلم أن النار تحرق الحطب، فهذا علم ليس بموجب لاحتراق الحطب، ثم يجمع الحطب فيوهج فيه النار، وهو ينظر إليه فيكون هذا علم العيان، ومثله قول الحواريين لعيسى بن مريم: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [المائدة: ١١٢]، فهم لا يجهلون استطاعة الله سبحانه لإنزال مائدة عليهم ولكنهم أرادوا علم العيان والمشاهدة والإيجاد، مع ما تعرضوا له من الأكل.

باب تفسير ما لا يكون

اعلم رحمك الله أن ما لا /[١٤٤و] يكون ينقسم قسمين: فمنه ما لا يكون لاستحالة كونه كالإنسان لا يكون قائماً قاعداً في حال واحد، ولا يكون حياً ميتاً في وقت واحد، ولا يكون معدوماً موجوداً في وقت واحد.

وشيء لا يكون لترك الفاعل الاختيار لفعله كالرجل لا يكون له ولد على النشاط والسلامة من الآفات، وإن كانت الزوجة معه مع تركه الجماع، وكالرجل يكون جائعاً وهو ذو وَجد فلا يشبع مع تركه الأكل، ويكون ذا ضُيَّع كثيرة وبينها غَيْل حِرَار، فهو لا يستغني أبداً مع تركه العمل والعمارة لتلك الضياع، فيستغني عند ذلك إن هو عمرها.

ذكر النجوم

وادعت الحشوية علم الغيب، وأنهم يستدلون على علم الغيب بالنجوم كما زعمت الهند، فصدقوا بما لا يصدق به إلا جاهل لا علم له ولا تمييز عنده، وزعمت أن حجتهم في إدراك علم الغيب بالنجوم قول الله سبحانه: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦] ومعنى هذه الآية كمعنى قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧].

فالنجوم إنما جعلها الله سبحانه ليهتدوا بها وليست تدل على علم الغيب، يدل على ذلك أنا قد نرى الأستاذ الماهر الحاذق العارف بعلم النجوم لا يسلك الطريق إلا بدليل، ولا يستدل على معرفة الأشياء إلا بعد السؤال والاستبانة، ولربما عدا عليه اللصوص فأخذوا ما معه وقتلوه، وربما افترسه الأسد وربما دخل على ملك من الملوك ليحبوه وليأخذ مالاً، فيضربه بالسياط ويمزق جلده، فمن أين يمكنه أن يدل غيره على علم الغيب وهو لا يعلم ذلك لنفسه فيسلم من الحوادث، وقد يموت أكثرهم جوعاً وعطشاً وفقراً.

فما له حيران في طلب الرزق وبضروب الحيل، وما له لا /[١٤٥ظ] يدله نجامته على البلدان التي ريفها كثير وسعرها رخيص، وما له لا يستدل بعلم نجامته على كنوز الأرض الموجودة في كل الأزمان، ولكن علمه بالغيب باطل، ومصدقه في دعواه كافر أو جاهل ﴿لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥] سبحانه، وقد ادعت الشياطين علم الغيب زمان سليمان بن داود صلى الله عليهما وسلم، فأمات الله سليمان وأقام ميتاً دهراً طويلاً على عصاه متوكئاً حتى جاءت الأرضة فأكلت العصا، ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [السبإ: ١٤][١٨٥]

١٨٥ يرفض أبو علي أن تدل النجوم على ما كان ويكون مثل هذا. قارن: القاضي عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة، ج ٢، ص ٥٦٩.

ذكر الاستطاع

وزعمت الحشوية أن لا استطاعة لأحد على فعل شيء من الأشياء، وأن ليس له استطاعة متقدمة رداً لقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا﴾ [النساء: ٢٥] ولقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧] ولقوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]، فأنكروا ما أنعم الله به عليهم من الاستطاعة، ولو لم تكن لهم استطاعة متقدمة كالعين قبل النظر، وكاليد قبل البطش والرجل قبل المشي وكالمداد والقلم واللوح قبل الكتاب، وكالسلاح قبل القتال.[١٨٦]

فإذا نحن سألنا الحشوية عن الاستطاعة أجابونا بالعلم فأنكروا استطاعتهم وقالوا: قد علم الله منا هذه المعاصي قبل أن نعملها، قلنا لهم: ويلكم قد أعلمناكم أن علم الله سبحانه ليس موجباً لمعاصيكم فتوبوا إلى خالقكم واستغفروه مما تقولون، قالوا: نحن سنية جماعية ديننا دين العجائز، وليس عندنا تخليط ولا نعرف غير السنة والجماعة، ليس لنا فعل ولا لنا استطاعة.

وفي هذا القول إيجاب أنه ليس لله عاصٍ، وكل الناس طائعون غير عاصين، إذ لا استطاعة معهم، وإنما هم مجبورون مقتسرون مقهورون فيما زعمت الحشوية، فتعالى الله عما يقول الجاهلون علواً كبيراً لا يكلف الله نفساً إلا وسعها. /[١٤٥و]

١٨٦ أبو علي يتفق مع أصحابه في مسألة الاستطاعة، عنده ان استطاعة قبل الفعل لا معه. انظر: فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، ج ١٤، ص ٢٤٢.

ذكر الجن

وزعمت الحشوية أن الجن يرونهم الناس، وأنها تتصور في أي صورة شاءت، وإنما سميت جناً لأنها مستجنة عن الأبصار، وقولهم رد لقوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧]

تفهموا رحمكم الله أمر هؤلاء الجهال الذين يصدقون بالمحال ويكذبون آيات الله البينات المحكمات المفصلات، فإن قال المسلمون بالعدل والتوحيد، قالت الحشوية بالإجبار والتشبيه والإلحاد، لأنهم زعموا أن خالقهم صوره في صفة غلام أمرد، له جمة سوداء وشعر قطط، يرونه في القيامة بزعمهم ضاهوا في ذلك قول الذين قالوا لموسى: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥] وقول الذين قالوا: ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ [الفرقان: ٢١] وتركوا قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [شورى: ١١] وقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

فإن قال المسلمون كما قال الله سبحانه: محمد رسول الله وخاتم النبيين، قالوا هم: ليس بخاتم النبيين لأنهم يزعمون أن عيسى بن مريم ينزل إلى الأرض فلزمهم جميع ما يلزم الملحدين من الدهرية والثنوية والمجوس والصابئين واليهود والنصارى في تكذيب الرسل، فلن تجد للحشوية كلمة واحدة يستحقون لها اسم الإسلام غير ما ينسبون لله بألسنتهم بلا حقيقة من فعلهم، ولو كان الدين إنما هو بالدعوى لجميع الملحدين إذاً على صواب في دينهم وعلى حقيقة من مذهبهم.

ذكر القرامطة وذكر المسيح

كما زعمت القرامطة أن نبياً يجيء بعد محمد صلى الله عليه وسلم، وإنما أخذوا هذه الدعوى من النصارى، فإن قالوا: إنما بشّر عيسى بن مريم في الإنجيل برسول يأتي بعده اسمه أحمد، وأما محمد فلم يجيء بعد. وفي الرد على النصارى في إنكارهم محمداً وأحمد صلى الله عليه وسلم لأنهم ينكرون اسمين لرجل واحد، وهذه التوراة والزبور والإنجيل تشهد بخلاف ما ادعوه وبإيجاب ما أنكروا لأن يعقوب هو إسرائيل الله كما أن عيسى مسيح الله فيعقوب هو إسرائيل الله، وعيسى هو المسيح وإلياس هو ياسين، وكذلك محمد هو أحمد.

ومن حديث هلال بن العلاء عن وهب بن مصرف عن يعلى بن عمرو عن عبد الله بن جرار قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول: أربعة من الأنبياء سموا باسمين يعقوب وإسرائيل، وإلياس وياسين، وعيسى والمسيح، وأنا محمد وأحمد»[١٨٧]

وهذا أيضاً كتاب [ ][١٨٨] في حدود المنطق]/ ١٤٦ظ [يقول: إن الأسماء خمسة:

فنها أسماء مفردة وهي التي علمها الله آدم نحو اسم كل حيوان واسم كل موات، وأسماء الجواهر والأعراض

ومنها أسماء مشتقة من الأفعال نحو الكاتب والبناء والصانع والذاهب والجائر،

١٨٧ لم نجده مرفوعاً وهكذا في مظنه. بل ينسب الى الخليل بن أحمد نحوه: قال الخليل بن أحمد: «خمسة من الأنبياء ذوو اسمين محمد وأحمد بينا الصلاة والسلام وعيسى والمسيح وإسرائيل ويعقوب ويونس وذو النون وإلياس وذو الكفل» انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣، ص٣٠، المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج ١، ص ١٨٧، البيهقي، دلائل النبوة، ج ١، ص ١٥٩.

١٨٨ كلمة غير واضحة لعلها: بوناسف.

ومنها أسماء منسوبة إلى نحو ابن فنسبه إلى الجد نحو القرني والعجمي والبصري واليماني، ونسبه إلى البلدان نحو الخراساني والبابلي والشامي والمصري،

ومنها أسماء مشتركة كالسبع تجمع أسماء السباع، وتشترك كلها في هذا الاسم كالأسد والدَّرْوان والنمر والضبعان والدب والسمع،

ومنها أسماء مترادفة كالشيء الواحد يكون له اسمان وثلاثة وأكثر نحو اللّبان وهو الكُنْدر أيضاً وهو الكنس وهو الجمل أيضاً.

وفي بعض مضاحكات الأصمعي[189] قال: نظر إلى أعرابي في بعض الأسواق ومعه هِرّ يبيعه، فقيل له: بكم تبيع الهر، فقال بكذا، ثم ساومه رجل آخر، فقال: بكم تبيع السِّنَّور، فقال: بكذا فأعطاه دون عطاء الأول، ثم ساومه رجل ثالث فقال: بكم تبيع القِطّ، فقال: بكذا فأعطاه دون ما أعطاه الثاني، ثم ساومه رابع فقال: بكم تبيع العسن، وقال له آخر: بكم تبيع الدم، وقال آخر: بكم تبيع النسم، وقال آخر: بكم تبيع الفرقع، فكلما ساومه رجل ناده اسماً ونقصه من الثمن الذي أعطاه غيره حتى غضب الأعرابي وجلد بالهرة الأرض ثم قال: شرينا يا سبحان الله، ما أكثر أسماءه وأقل منفعته، ثم أنشأ يقول:

مُنِيتُ بسنور قليل مزبده، وكثرة أسماء له مترادفة

فلو زيد في أثمانه من سماته قضينا به حاجاتنا المتلافة[190]

فالعرب تسمي الشيء الواحد بالأسماء المختلفة، فاجتمع لهم التوسعة في المنطق والإيجاز

١٨٩ هو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع بن مظهر بن عمرو بن عبد الله الباهلي. وكان صاحب النحو واللغة والغريب والأخبار والملح. توفي الأصمعي بالبصرة في سنة ثلاث عشرة ومائتين ويقال مات الأصمعي في سنة سبع عشرة ومائتين. ابن النديم، الفهرست، ج ١، ص ٧٨، أبو البركات الأنباري، كتاب نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص ٩٠.

١٩٠ وردت هذه القصة بألفاظ متقاربة: <قيل: إن أعرابيا صاد سنورا فلم يعرفه، فتلقاه رجل فقال: ما هذا السنور؟ ولقي آخر فقال: ما هذا الهر؟ ثم لقي آخر فقال: ما هذا القط؟ ثم لقي آخر فقال: ما هذا الضيون؟ ثم لقي آخر فقال: ما هذا الخيدع؟ ثم لقي آخر فقال: ما هذا الحيطل؟ ثم لقي آخر فقال: ما هذا الدم؟ فقال الأعرابي: أحمله وأبيعه لعل الله تعالى يجعل لي فيه مالا كثيرا فلما أتى به إلى السوق، قيل له: بكم هذا؟ فقال بمائة فقيل له. إنه يساوي نصف درهم، فرمى به وقال: لعنة الله، ما أكثر أسماءه وأقل ثمنه!> انظر: الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ج ٢، ص ٤٨، الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج ٢، ص ٧١٩.

في القول لأن البلاغة كانت من شأنهم، وقول الشعر، فكان الشاعر إذا لم يحتمل في البيت أن يقول ضِرْغاماً قال أسداً، وإن لم يحتمل جعل موضعه ليثاً، أو هِزبراً أو غضنفراً أو ضيغماً، والأسماء مختلفة والشخص واحد.

واعلم رحمك الله أن الأسماء ستة، وهي المترادفة]/١٤٦و [نحو ما ذكرنا من الأسد والهر، والأسماء المفردة نحو أسماء النكرات، نحو أسماء كل موات وحيوان، وأسماء مشتقة من الأفعال، وأسماء منسوبة ومشتركة، وأسماء مستعارة كالرجل والمرأة يسمى نجماً وديناراً وأسداً، فهذه أسماء مستعارة.

ذكر الشيع وما فيها من الروافض وغيرهم

وأما الشيع[١٩١] فمنهم فرقة قائلة بالحق لازمة للصواب، ليس عندهم غلو، وهم الذين يقولون بالعدل والتوحيد، ويتولّون كل من تولاه علي بن أبي طالب، ويتبرؤون من كل من تبرأ منه علي بن أبي طالب من الذين ظهر منهم نكث أو أحداث في الإسلام، ويقولون: علي كان أبصر وأعرف بمن يتولى وممن يتبرأ، وهو من أولياء الله سبحانه يتولى وليه ويتبرأ من عدوه.

ثم الروافض الذين لا يرون الأمر بالمعروف ولا النهي عن المنكر، ويضللون السلف ويخطئونهم ويكفرونهم إذ لم يعقدوا الإمامة لعلي قبل غيره، وهم الذين يستحلون المكاسب على أي جهة كانت، وحجتهم في ذلك بزعمهم أن إماماً كان لهم فيما مضى قال لهم: أنتم أهل محبتنا وأنتم المؤمنون والله سبحانه حرم الأرض على الكافر، وأحلها للمؤمن، لأنه قد أمر بقتل الكافر حتى لا يترك يمشي على وجه الأرض، فكل الناس كفار غيركم، والأرض لكم وراثة، وجميع ما فيها لكم حلال على أي الجهات كان، إما سرقة وإما نهباً أو خيانة، فهو لكم حلال لأن دماء الناس مباحة لارتدادهم عن دين الإسلام، وليس عليكم حج ولا جهاد في سبيل الله، ولا صلاة ولا زكاة، ولا تأمروا بمعروف ولا تنهوا عن منكر، ولا تنصروا مظلوماً ولا تقمعوا ظالماً ولا تنصروا ديناً حتى يجيئكم إمام يشرح لكم أمر دينكم.

١٩١ وهم الذين شايعوا علياً، وقالوا إنّه الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنّص الجلي أو الخفي، واعتقدوا أنّ الإمامة لا تخرج عنه وعن أولاده، وإن خرجت فبظلم أو تقيّة منه، أو من أولاده. أصولهم ثلاث فرق: زيدية وإمامية وباطنية. يقول البلخي السبب الذي من أجله سمّيت الشيعة شيعةً تفضيلُ علي بن ابي طالب ومحبّة اهل بيته والقول بانّه كان احقّ بالامامة لا تخرج من ولده. راجع التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج١، ص٥٢. لمزيد المعلومات انظر مقالات البلخي، ص ٨٤-١١٨.

لأنه يعلم الغيب بزعمهم، وأن بين عينيه عموداً فرعه في السماء وأصله في الأرض، فإذا أراد أن ينبئ الناس بعلم الغيب /[١٤٧ظ] نظر في ذلك العمود، فيكتب له فيه جميع ما سئل عنه، وأنه يظهر من الآيات المعجزات أكثر مما أظهر موسى بن عمران، وعيسى بن مريم من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وعنده تأويل القرآن لأن الناس إنما معهم التنزيل، وليس معهم التأويل، وأنه ليس أحد من الناس عنده شرائع دين الإسلام صحيحة غير الإمام، فلا تأمروا بمعروف ولا تنهوا عن منكر، ولا تقيموا الصلاة ولا تؤدوا زكاة، ولا تحجوا البيت حتى تروا إمامكم الذي يعلم الغيب بزعمهم.

فشبههم أهل النظر من المسلمين بالجالوتية[١٩٢] من اليهود الذين يقولون لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر، ولا ينتصر من ظالم حتى يأتينا إمامنا مانسح بن إبراهيم يعزكم وينصركم، وكل ما وقع في أيدينا من هذه المكاسب والأموال على أي جهة كانت، نهباً أو سرقة أو خديعة فهو لنا لأن الناس عبيد لنا لأن الله سبحانه قد بوأ يوسف بن يعقوب الأرض يتبوأ منها حيث يشاء، فكل الناس عبيد لنا ومال العبد لسيده.

١٩٢ فرقة من فرق اليهود التي تبالغ في التشبيه. يقول نشوان الحيري:»الجالوتية - أصحاب رأس الجالوت -: بالتشبيه، وذلك أنهم ادعوا أن معبودهم أبيض الرأس واللحية، واحتجوا بأنهم وجدوا في سفر دانيال أو سفر شعيا رأيت قديم الأيام قاعداً على كرسي من نور وحوله الأملاك، فرأيته أبيض اللحية والرأس، والجالوتية يقولون: إن الله تعالى ملك الأرض يوسف بن يعقوب ونحن وارثوه والناس مماليك لنا«. نشوان الحميري، الحور العين ص ٤٥-٢٤١، ٤٦، انظر أيضاً إلى البدء والتاريخ للمطهر بن طاهر المقدسي، ج ٤، ص ٣٤.

ذكر اختلاف الروافض

ثم اختلف أهل الترفض فصاروا فرقاً من بين: يحتمل أن يقرأ بطيحية:[193] وهم الذين ينكرون العذاب ويبطلون العقاب، ويزعمون أنه ليس من حكمة الحكيم أن يعذب عباده بالنار، ولكنه خلق الناس على ضربين طائعين وعاصين، وجعل الجنة داراً للمطيعين، ينعمون فيها ويستلذون، وجعل جهنم داراً للعاصين يعيشون فيها متنعمين مستلذين، فأهل النار في جهنم متنعمون ومستلذون في حميمها خالدون، لا بالموت ولا بَحْرها مخزيون، وكذلك أهل الجنة أيضاً متنعمون لأن أهل الجنة خلق خلقوا للجنة ولو أخرج]147/و[أهل الجنة من الجنة لماتوا، وكذلك أهل جهنم لو أخرجوا من جهنم لماتوا وأدخلوا الجنة كدواب البر تموت إذا هي دخلت البحر، وكذلك السمك ودواب البحر إذا هي خرجت من البحر إلى البر ماتت، والله سبحانه أحكم في عباده وأرأف وأرحم من أن يعذبهم ، ولو عذبهم لماتوا لأن كل من دام عليه العذاب وقتاً من الأوقات مات.

ومنهم الأفلحية وهم الذين يزعمون أن الله سبحانه يتمثل في كل صورة حسنة دابة كانت أو إنساناً، فإذا قيل لهم: فكم في الأرض من صورة حسنة من دابة أو إنس؟ أفترونه دخل في جميع تلك الصور الحسنة في البلدات المتنامية؟ فيقولون عند ذلك إنه ليست تنكر لله قدره.

ومنهم القرامطة، وقد تقدم ذكرهم، ومنهم البترية وهم الذين يقولون إن النبي صلى الله عليه أوصى إلى علي ثم أوصى علي إلى ابنه الحسن، ثم أوصى الحسن إلى أخيه الحسين، ثم انبترت الوصية وهم بضع عشرة فرقة، ومع كثرتهم فإنهم انقسموا في أمر على قسمين، ففرقة قالت: كفر أبو بكر وعمر وجميع المسلمين حين قدموا إماماً على علي، وكفر علي حين ترك قتال أبي بكر وعمر، وحين قبل منهم العطاء، وكفر حين زوج ابنته من عمر بن الخطاب لأن الكافر

193 بطحية او نطيحية

لا بزوج مؤمنة، ولكن علي داهن ولم ينابذ القوم الحرب، ولا خرج عن موضع طاعتهم فيهاجر هو ويهاجر إليه المسلمون ثم يجدّ في قتال أبي بكر وعمر، فعلي عند هؤلاء كافر لتركه قتال أبي بكر وعمر، ولتركه الهجرة والخروج عن مملكتهم، لكنه تكاسل وداهن حتى تولاها ثلاثة واحد بعد واحد، وزوج /[١٤٨ظ] ابنته المؤمنة من عمر وهو كافر.

فإذا قيل لهم: ويلكم علي قد رضي بإمامتهما لأنهما حكما بالقرآن ولم يخالفا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ألا ترون أن لما جار عثمان كيف قام عليه في جماعة من المهاجرين والأنصار حتى قتلوه فما لكم لا ترضون بما رضي به علي لنفسه لأنه بايع أبا بكر وعمر وعثمان حتى نكث عثمان، فإذا سمعوا هذا الحديث والحجاج تضجروا وقالوا: إن كان علي ضيع الدين وكفر بربه وارتد عن دين الإسلام، فنحن لا نرضى ولا نضيع أمر دين الله، ولا نكفر ولا نرتد عن دين الإسلام.

وأما الفرقة الأخرى، فقالوا: كفر جميع المهاجرين والأنصار إذ قدموا إماماً على علي بن أبي طالب، وكل من تقدم عليه فهو كافر، فإذا قيل لهم: فعمن قبلتم أمر دين الإسلام وصدقتم بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم إذ كل أصحاب النبي عليه السلام كفروا، وعنهم أخذتم أمر دينكم والدين لا يؤخذ عن الكفار والمرتدين عن دين الله، قالوا: قبلناه عن علي وعن رجال كانوا معه مؤمنين ومنهم سلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر، والمقداد بن الأسود، وعبد الله بن مسعود، قلنا لهم: فما من هؤلاء رجل إلا وقد تولى عملاً من أعمالهم فلا نرى الذين ذكرتم إلا أعواناً لمن أنكرتم ولايته مع اتفاق الروايات عن أبي ذر وعمار وابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**من أعان سلطاناً جائراً فهو قرينه في النار**»[١٩٤] فكيف رضي هؤلاء المسلمون الصالحون أن يكونوا أعواناً للظالمين.

فإن ادعيتم أنهم تابوا على يدي علي بن أبي طالب /[١٤٨و] فإن أبا ذر لم يدرك أيام ولاية علي، لأنه لما نفاه عثمان إلى الربذة مات بها، وكذلك سلمان إنما مات زمان عمر، وأما ابن مسعود فذكروا أن عثمان بن عفان ضربه بالسوط فلم يزل مريضاً حتى مات، وعمار بن ياسر قتل بصفين.

١٩٤ لم نجده هكذا لكن روي بلفظ «خف في حاجة» انظر: ابن حجر العسقلاني، المطالب العالية، ج ١٠، ص ٣٨، السيوطي، اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، ج ٢، ص ٣٠٤.

وأما بلال بن رباح فادعيتم عليه أنه كتم شهادة لعلي بن أبي طالب أن النبي قال: أن الوصي علي، فقال بلال بزعمكم: قد كان ذاك ولكن نسينا، فكيف يكون هذا القول من بلال ويقول: قد كان ذاك ولكن نسينا، وهذا إقرار ثم إنكار، وفي هذا إثبات المحال، ثم إن بلالاً إنما قال: قد كان ذاك بلغة الزنج، وبلال كان عبداً بلادياً عربياً فصيحاً وهو من المهاجرين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي هجرته يقول حين حلوا بقباء: [البحر الطويل]

أَلا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً - بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ

وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مجَنَّةٍ - وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ[١٩٥]

فهل يجوز لأعجمي اللسان أن يقول الشعر، كلا ولكن الأول يقول يستدل على كذب الكذوب اللسان، فإما جهلتم منجرة بلال وفصاحته وحيد شعره، وإما كابرتم في الدعوى عليه.

وفرقة أخرى من الإمامية[١٩٦] زعموا أن علياً هو الإمام المنصوب من رب العالمين وأن أبا بكر وعمر وعثمان كانوا تحت يدي علي بن أبي طالب، وكان سلمان وأبو ذر وعمار وكل من ولي عملاً تحت يدي أبي بكر وعمر وعثمان كلهم كانوا من تحت يد علي بن أبي طالب لأنه هو كان الإمام المقدم من رب العالمين، ولذلك ترك أبا بكر وعمر على ولايتهما لأنهما عدلا /[١٤٩ ظ] في القضية وقسما بالسوية ولم يخالفا حكم القرآن، وكذلك فعل أيضاً في عثمان بن عفان تركه على ولايته ما دام مؤمناً على الطريق المستقيم من العدل في القضية والقسم بالسوية بموافقة القرآن والسنة، فلما جار في الحكم وأظهر الإثرة لقرابته من بني أمية، وخالف حكم القرآن أعذر إليه، وقال: اعدل وإلا فاعتزل، فلما قال له: لا أعدل ولا أعتزل قتله، وكذلك فعل بالزبير بن العوام وبطلحة بن عبيد الله، قتلهما لما نكثا ونقضا بيعته، وكذلك فعل بأهل النهروان لما نكثوا ونقضوا بيعته قتلهم لأن علياً كان الوصي وكذلك مضى الأثر من خلق الناس ومذ بعث آدم عليه السلام لم يخل الأرض من قائم بحجة وصي بعد نبي إلى يوم الناس هذا.

١٩٥ ابن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، ج ٥، ص ٢٧٥، أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج ٤١، ص ٧٩.

١٩٦ هو مذهب الشيعة الاثنا عشرية، سميت بذلك لجعلها أمور الدين كلها للإمام، وأنه كالنبي، ولا يخلو وقت من إمام يحتاج إليه في أمر الدين والدنيا. يقول الأشعري: وهم يدعون الإمامية لقولهم بالنص على إمامة علي بن أبي طالب. انظر: مقالات الإسلاميين ص١٧، ابن المرتضى، القلائد في تصحيح العقائد، ص ٤٧، مقالات البلخي، ص ٨٧.

ثم قالت الروافض بأسرها: لم يخل الله سبحانه الأرض من قائم بحجته بنبي بعد وصي، فأول الأنبياء آدم صلى الله عليه وسلم وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم، وأول الأوصياء شيث بن آدم وآخرهم علي بن أبي طالب، ورووا عمن يثقون به عن إمام الله أن الله سبحانه أخرج إلى آدم عليه السلام دركاً من الجنة فيه دارات الأوصياء بعد الأنبياء وأن أول الأنبياء آدم وآخرهم محمد صلى الله عليهما، وأن أول الأوصياء شيث وآخرهم علي بن أبي طالب، فإذا قيل لهم: فقد زعمتم أن علياً هو آخر الأوصياء فلم تتركون هذا القول الذي أصلتموه ثم أنتم منتظرون لإمام يعلم الغيب بزعمكم معه أيضاً وصيه وقد زعمتم أن علياً هو آخر الأوصياء.

ذكر الوصي الذي هو الإمام بزعم الروافض

زعمت الروافض أن الإمام الذي ينتظرونه أنه سوف يظهر لأنهم رووا عن جعفر بن محمد أنه قال: لو لم يبق من الدنيا إلا /[١٤٩و] يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرجَ رجل مِن ولد علي يملأ الأرضَ عدلا كما مُلئت جورا[١٩٧]، ومن صفاتِه بزعمهم أنه يعلم الغيب حتى إنه ليخبر الرجلَ عما كان بينه وبين زوجته مِن السِرّ وبما قال لها وقالت له، وأنه يجرح هو لا يقتل لأن الحديد لا يقطعه ولا يُقتل أحد مِن أصحابه يجرح، وأنه بُني عليه عمودٌ مِن نور من السماء إلى الأرض فإذا أراد أن ينبئ أحداً مِن أوليائه بِعلم الغيب نظر في ذلك العمود فكتب له فيه جميع ما يحتاج إلى معرفته.

١٩٧ ورد هذا حديث بلفظ «من أهل بيتي» و«يواطئ اسمُه اسمي، واسمُ أبيه اسمَ أبي» أو «رجلا منا» في المصادرالحديثية انظر: ابن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، ج ٧، ص ٥١٣؛ أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج ٢، ص ١٦٣؛ سنن أبي داود، ج ٦، ص ٣٣٧.

ذكر علم الغيب

قلنا لهم أما الذي ادعيتموه من علم الإمام للغيب فهذا باطل لأن إمام المسلمين علي بن أبي طالب لو كان يعلم الغيب لما خرج في الليل إلى ابن ملجمة[198] حتى فلق رأسَه بِالسيف لأن ذلك ممتنع في الطبيعة أن أحداً لا[199] يعلم أن رجلا يرصده ويريد قتله عند باب منزِله ثم يخرج إليه وهو أيضاً محرم في القرآن على مَن فعله حيث يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]. ولو أن عليا عرف أن ابن ملجم كان يرصده في ذلك الوقت الذي قتله ثم خرج إليه لكان مِن أهل النار عاصيا لخِلافه ما نزل في القرآن تاركاً لِوصية ربه لأنه قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾، ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١].

فالروافض جاحدة لِلقرآن جاحدة للنبوة إذا أرادوا التوصل بإثبات الوصية إلى تكفير علي صلوات الله عليه فلم يجدوا إلى ذلك سبيلا في ظاهر القول ولكنهم احتالوا في دعوى يوصلون بها إلى تكفيره كما فعل الزنديق الذي لم يصل تكذيب نبوة محمد صلى الله عليه لأن الله سبحانه أخبر انّ محمداً خاتم النبيين فإذا كان عيسى ينزل إلى الأرض بعد محمد فليس محمد خاتم النبيين، فاكذبوا اللهَ في خبرِه وأبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه، وهذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد رُميت زوجتُه عائشة فلم يعلم أَصَادقٌ مَن رماها أم كاذب. فأرْجَأَ أمرها حتى نزلت براءتها في قوله: ﴿أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ [النور: ٢٦]. /[١٥٠ ظ]

١٩٨ المعروف: بابن ملجم الحميري، هو الذي قتل علي بن ابي طالب رضى الله عنه وكان قبل ذلك من شيعته، وشهد معه صفين، ثم خرج عليه فقتله الحسن قصاصا سنة ٤٠ هـ. راجع ترجمته في كتاب لسان الميزان لابن حجر العسقلاني، ج ٥، ص ١٤١، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١، ص ٢٨٧.

١٩٩ يبدو أن لفظ «لا» زائدة.

وكذلك داوود صلى الله عليه وسلم قد تسورت عليه الملائكة في محرابه فلم يدر منهم ففزع منهم حتى سكنوه و﴿قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ [ص: ٢٢].

وكذلك زكريا قد بشره الله بغلام اسمه يحي، فطلب العلامة مستثنياً لما وعده الله سبحانه وأنه قد دخل على مريم ووجد عندها طعاماً، وإنما كان طعامها من عند زكريا بعث لها به فلم يعرف ذلك الطعام الذي وجد عندها من أين هو وما سببه أو ما قصته حتى سألها وقال لها: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ [مريم: ٣٧] يا مريم!، ومن أين لك هذا؟ فقالت: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٧]، فلو كان زكريا يعلم الغيب لما استنكر ما وجد عندها من الرزق.

وكذلك يعقوب صلى الله عليه وسلم لم يعلم أن أولاده يكيدون عليه في يوسف حتى طرحوه في الجب ثم باعوه، فلو علم بذلك لم يجز له أن يرسله معهم، ولو كان يعقوب يعلم الغيب لما كان يطول بكاءه على فقد يوسف، وهو يعلم أنه ملك على مصر، بل كان يكثر فرحه وجذله إذ كان يعلم أن يوسف قد أظهر الإسلام وقد تنبأه الله حتى صار ملكاً.

وكذلك موسى بن عمران صلى الله عليه لو علم أن الرجل الذي وكزه يموت من وكزته لما كان ليفعل، يدل على ذلك ندمه حين قال:﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص: ١٥]. وكذلك ابن حر أيضاً حين وكزه الآخر: ﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [القصص: ١٩].

وكذلك لوط صلى الله عليه أنكر الملائكة حين دخلوا عليه ولم يعرفهم حتى قالوا له: ﴿لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ﴾ [العنكبوت: ٣٣]، ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ [هود: ٨١]، ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ﴾ [العنكبوت: ٣٣].

وكذلك إبراهيم صلى الله عليه قد دخل]/١٥٠و[عليه الملائكة ليبشروه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، لم يعرفهم حتى قام وذبح لهم عجلاً سميناً فشواه ثم قربه إليهم، فلما رأى أيديهم لا تصل إلى العجل أنكرهم وأوجس منهم خيفة.

وكذلك يونس صلى الله عليه لو علم أن الحوت يبلعه لما كان آبقاً إلى السفينة والذهاب في الأرض العريضة، ولو علم أنه سيدحض لما أجاب أهل السفينة إلى أن يساهمهم، فكيف تزعم الروافض أن إمامهم المعدوم يعلم الغيب وهؤلاء أنبياء الله وأصفياؤه قد حل بهم ما ذكرناه لم يعلموا الغيب.

وأما الذي ادعوا أن إمامهم المعدوم لا يقتل ولا يجرح ولا يقتل أحد ممن تبعه أيضاً ولا يجرح، فلو كان أحد من البشر يقدر على هذا الشرط لكان ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فلقد أرسل خبيب بن عدي من المدينة إلى مكة، وقال له: ارفع صوتك بالأذان إذا دخلتها، ففعل خبيب ما أمره به رسول الله عليه السلام، فقام إليه المشركون فأخذوه وأخرجوه من الحرم حتى أتوا به التنعيم ثم صلبوه هنالك وقتلوه، ثم أخرج عمرو بن أمية الضمري ليأتيه بخبره فوجده مصلوباً فأخذه معه الخشبة فأدخله في شعب لحفر له في الرمل ثم دفنه، ثم قدم على النبي صلى الله عليه فأخبره بما فعل مشركوا مكة بخبيب بن عدي ولم يعلم ذلك حتى أعلمه عمرو بن أمية.

وكذلك قتل عبيدة بن الحارث يوم بدر، وقتل عمه حمزة يوم أحد، وجرح صلى الله عليه في ذلك اليوم، رماه عقبة بن أبي وقاص فأصاب رباعيته فكسرهما فكان رسولَ الله صلى الله عليه وفي ذلك يقول بعض الأنصار: /[١٥١ظ]

هدى الله جازى معسراً نفعاً لهم ونصرهم الرحمن رب المشارق

فأخزاك ربي يا عتيب بن مالك ولقاك قبل الموت إحدى الصواعق

مددت كبشاً للنبي تعمداً فدميتَ فاه قطعتَ بالبوارق

فهلا اتقيت الله والمنزل الذي يصير إليه عند تلك الحقائق[٢٠٠]

فكيف تزعم الروافض أن إمامهم لا يقتل ولا يجرح ولا أحد من أصحابه، وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جرح وقتل عمه حمزة، وابن عمه عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، وجعفر بن أبي طالب، وقد قتل يحي بن زكريا.

[٢٠٠] هذا البعض هو حسان بن ثابت، و يهجو عتبة بن أبي وقاص. أورد باختلاف بعض الألفاظ في ديوانه، انظر: حسان بن ثابت، ديوان حسان بن ثابت الانصاري، ص ١٦٢؛ سيرة ابن هشام، ج ٢، ص ٨١؛ ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٦، ص ٥٥.

ذكر المطالبة لهم بالإمام

يقال لهم الأماكن أربعة: البر والبحر. ثم السماء والهواء، أما السماء فهي مكان النجوم، وأما الهواء فهو مكان السحاب، وأما البحر فهو مكان السمك فلم يبق سوى البر، ثم البر سبعة أقاليم، إقليم المغرب وإقليم مصر والشام، ثم إقليم الحجاز واليمن، ثم إقليم الجزيرة وأرض بابل وفارس، ثم إقليم أرمينية وجرجان، ثم أرض خراسان بما قابلها هذه الأقاليم من أرض الصين والسند والهند والبند، ثم الإقليم السابع هو أرض الخزر والترك إلى موضع سد ذي القرنين، أما إقليم المغرب فبها [201]لعمري رجال أهل البيت لكنهم من ولد إدريس وإدريس هو من ولد الحسن، وأنتم لا توجبون الإمامة إلا لولد الحسين، ولكن بالحجاز منهم نفر كثير من ولد الحسين وبالعراق في قرية بغداد، وبسامراء وبالكوفة وبأرض خراسان وقدخلنا عليهم دهراً وسألناهم عن صفة هذا الإمام فلم نجد أحداً منهم يعرفه ولا يقربه ولا يدعي معرفته فإذا كنتم لا تعرفونه ولا تعرفون وقته ولا في أي البلدان] /١٥١و[هو ولا أهل بيته الذين تزعمون أنه منهم لا يعرفونه فهذا الإمام معدوم غير موجود ولقد نسمعكم تصفونه بصفة من العلم والفضل ما ليس يخفى صاحبها لأن أهل العلم من جميع الناس هم معروفون في كل بلد كابن أبي مريم[202] بمصر، وجامع بن سوادة[203] وأبي الربياع ابي زباع [204] وكإبراهيم بن سفيان[205] وعمرو

٢٠١ في الأصل: العمري. يبدو أن حرف «ا» زائدة.

٢٠٢ ورد اسمه في هذا الكتاب مرتين. ليس المقصود منه نوح بن أبي مريم المعروف. لأنه عاش في مرو وهو قاضي مرو. لعله سعد بن أبي مريم، محدث الديار المصرية. ولد سنة أربع وأربعين ومائة ومات سنة أربع وعشرين ومائتين. انظر: سير أعلام النبلاء، ط الرسالة، ج ٧، ص ٤١١.

٢٠٣ جامع بن سوادة الأزديّ المصري، أبو سليمان، عاش في مصر. لا يوجد ترجمته في المصادر. انظر: كتاب لسان الميزان ت أبي غدة، ج٢، ص٤١٥، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي ، ت د. بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠ - ١٩٨٠، ج٢٨ ، ص٧٠.

٢٠٤ لم نقف على ترجمته

٢٠٥ إبراهيم بن أبي سفيان معاوية القيسراني، تُوُفِّيَ سنة ثمان وسبعين ومائتين انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، ج٦ ، ص ٥٠٩، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، أبو سليمان الربعي، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٠، ج ٢، ص ٦٠٠. يعد السمعاني من المشاهير الملقب بنسبة «القيسراني». الأنساب للسمعاني، ج ١٠، ص ٥٣٧.

بن ثور[٢٠٦] بقيسارية[٢٠٧] وكعثمان بن خُرَّزَاذَ[٢٠٨] في أنطاكية وكالفضيل بن عياض[٢٠٩] في طرطوس، وكأبي زرعة[٢١٠] في دمشق، وكالمجاشعي[٢١١] وهشام بن عماد[٢١٢] بحمص، وكعبد الرزاق[٢١٣] بصنعاء، وكهلال[٢١٤] بن العلاء[٢١٥] بالرقة، وكسحنون بن سعيد[٢١٦] بأرض القيروان، وكإسحاق بن راهويه[٢١٧]

٢٠٦ هو عمرو بن ثور بن عمرو الجذاميّ، ملقب بالقيسراني. يروي عن ابن عيينة، والوليد بن مسلم. روى عنه أبو العباس محمد بن الحسن بن قتيبة العسقلاني، ومات سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، توفّي سنة تسع وسبعين. تاريخ الإسلام ت بشار. ج ٦، ص ٥٨٣، الأنساب للسمعاني، ج ١٠، ص ٥٣٧.

٢٠٧ بلدة على ساحل بحر الروم يقال لها قيسارية. الأنساب للسمعاني، ج ١٠، ص ٥٣٧.

٢٠٨ هو عثمان بن عبد الله بن محمد بن خرزاذ الطبري (الوفاة: ٢٨١ ه)، ثم البصري، نزيل أنطاكية وعالمها. محدّث مشهور. ولد قبل المائتين. تُوُفِّي في ذي الحجّة سنة إحدى وثمانين ومائتين بأنطاكيةَ، وَهُوَ في عشر التسعين. انظر: سير أعلام النبلاء ط الرسالة، ج١٣، ص ٣٧٨-٣٨١؛ تاريخ الإسلام ت بشار، ج٦، ص ٧٧٩.

٢٠٩ الفضيل بن عياض بن مسعود التيمي اليربوعي، من أكابر العباد الصلحاء. ولد في سمرقند، ونشأ بأبيورد، ودخل الكوفة وهو كبير، وأصله منها. وانتقل إلى مكة ونزلها إلى أن مات بها في أول سنة سبع وثمانين ومائة في خلافة هارون. سير أعلام النبلاء ط الرسالة، ج٨، ص٤٢١-٤٤٢؛ الأعلام للزركلي، ج ٥، ص ١٥٣.

٢١٠ عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصري، أبو زرعة الدمشقيّ: من أئمة زمانه في الحديث ورجاله. من أهل دمشق، ولد قبل المائتين. مات أبو زرعة النصري سنة إحدى وثمانين ومائتين في دمشق. انظر: سير أعلام النبلاء ط الرسالة، ج ١٣، ص ٣١١-٣١٦. الأعلام للزركلي، ج ٣، ص ٣٢٠.

٢١١ أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي المعروف بالأخفش الأوسط، أحد نحاة البصرة، من أئمة العربية، والمجاشعي: بضم الميم وفتح الجيم وبعد الألف شين مثلثة مكسورة وبعدها عين مهملة، هذه النسبة إلى مجاشع بن دارم، بطن من تميم. سكن البصرة، وأخذ العربية عن سيبويه، وصنف كتبا منها: «تفسير معاني القرآن» و«الاشتقاق» وغيرها. وكانت وفاته سنة خمس عشرة ومائتين، وقيل سنة إحدى وعشرين ومائتين. وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٣٨٠.

٢١٢ يحتمل أنه هو هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة بن أبان، الإمام الحافظ، عالم أهل الشام، خطيب دمشق. نقل عنه الباغندي. ولد سنة ثلاث وخمسين ومائة. مات بدمشق سنة أربع وأربعين ومئتين وهو ابن إحدى وتسعين سنة، أو سنة خمس وأربعين ومئتين أو سنة ست وأربعين ومئتين. انظر: سير أعلام النبلاء ط الرسالة، ج ١١، ص ٤٢٠-٤٣٥؛ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي ،ج ٣٠، ص ٢٥٤.

٢١٣ أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني. من حفاظ الحديث الثقات، من أهل صنعاء. ولد سنة ست وعشرين ومائة. ارتحل إلى الحجاز، والشام، والعراق، وسافر في تجارة. توفي عبد الرزاق في شوال، سنة إحدى عشرة ومائتين. سير أعلام النبلاء ط الرسالة، ج ٩، ص ٥٦٣؛ كتاب الأعلام للزركلي، ج ٣، ص ٣٥٣.

٢١٤ في الأصل: هلان، ولعل الصواب ما أثبتناه.

٢١٥ هلال بن العلاء بن هلال بن عمر بن هلال بن أبي عطية: الحافظ الإمام، الصدوق، عالم الرقة. يقول الذهبي: توفي يوم عيد النحر، سنة ثمانين ومائتين وقيل: مات في ربيع الأول ، سنة إحدى وثمانين ومائتين، سير أعلام النبلاء ط الرسالة، ج ١٣، ص ٣٠٩-٣١٠، تهذيب الكمال في أسماء الرجال،المزي، ج ٣٠، ص ٣٤٧-٣٤٨.

٢١٦ هو سحنون بن سعيد بن حبيب أبو سعيد التّنوخي، الحمصي الأصل، المغربي القيرواني، قاضي القيروان. ولد في رمضان سنة ستين، أو إحدى وستين ومِئَة، ومولده في القيروان. ولي القضاء بها سنة ٢٣٤ هـ واستمر إلى أن مات، توفي سحنون في شهر رجب سنة أربعين ومائتين وهو ابن ثمانين سنة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٢، ص ٦٤-٦٩؛ ابن الحجر، لسان الميزان، ج ٤، ص ١٦؛ الزركلي، الأعلام قاموس تراجم، ج ٤، ص ٥.

٢١٧ أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي المعروف بـابن راهويه، سبب تلقيبه (ابن راهويه) أن أباه ولد في طريق مكة فقال أهل مرو: راهويه! أي ولد في الطريق. عالم خراسان في عصره، من سكان مرو. مولده في سنة إحدى وستين ومائة. استوطن نيسابور، إنما قتله القرامطة في طريق مكة حاجّا سنة أربع وتسعين ومائتين. الزركلي، الأعلام قاموس تراجم. ج ١، ص ٢٩٢؛ السمعاني، الأنساب، ج ٦، ص ٥٦.

في خراسان، وكابن ماهويه[218] في الحرم، فليس من بلد ولا مدينة يكون بها رجل مذكور في فن من فنون العلم إلا وهو معروف في سائر البلدان كمحمد بن يزيد المبرد[219]، وكأحمد بن يحي[220] المعروف بثعلب في بغداد، فكيف يخفى هذا الإمام ثم لا يعرفه بزعمكم إلا الخاص دون العام، فإن قالوا أنه يحذر على نفسه قلنا لهم: كيف يحذر على نفسه إن هو ظهر وهو يعلم الغيب بزعمكم، ومن علم الغيب لم يكترث بعدوه، والله سبحانه يقول حكاية عن نبيه: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨] فكيف يحذر على نفسه من لا يسير عدوه إلى شيء إلا علمه، فإذا قلنا لهم: إنكم أنتم لا تعرفون الإمام الذي تدعون ولا تعرفون وقت خروجه ولا نحن نعرف له وقتاً ولا أهل بيته يعرفونه ولا يعرفون له وقتاً يخرج فيه، فمن أين يصح ما يدعون؟ أم من أين يثبت ما تزعمون.

٢١٨ لعله إبراهيم بن محمد بن مالك بن ماهويه الإصبهانيّ، يكنى أبا إسحاق وكان يعرف محمد بماهويه أو بابن ماهويه. وكان يتفقه، توفي سنة أربع وثلاثمائة. انظر. أبو نعيم الأصبهاني، أخبار أصبهان، ج١، ص٢٣٢؛ أبي الشيخ الأصبهاني، طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها، ج٤، ص٥٩.

٢١٩ أبو العباس، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي، البصري النحوي، المعروف بالمبرد: إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار. مولده بالبصرة ووفاته ببغداد. مات المبرد في أول سنة ست وثمانين ومائتين، صاحب «الكامل». الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٣، ص ٥٧٦-٥٧٧؛ الزركلي، الأعلام قاموس تراجم، ج ٧، ص ١٤٤.

٢٢٠ أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني، أبو العباس، المعروف بثعلب، إمام الكوفيين في النحو واللغة. كان راوية للشعر، محدثا، مشهورا بالحفظ. ولد في سنة مائتين في بغداد، ومات في بغداد أيضا في جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين ومائتين. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٤، ص ٧-٥؛ السمعاني، الأنساب، ج ١٣، ص ٥٠-٥١.

باب عجائب الإمام في زعم الروافض

ورووا عمن يثقون بدينه وأنه كان باباً من أبوابهم أنه قال لهم فيما زعموا: بينما أنا ذات يوم قافلاً [١٥٢ظ] من مكة أريد المدينة، وأنا وولدي في ظل عمارية إذ رأيت الإمام معنا فوق الجمل، والجمل يقول: أيها الإمام: أما كان في الرجل وأبيه ما يكفيني ثم صعدت أيضاً معهما، قال الثقة: وجعل الإمام يجيب الجمل ويقول له: وما بقي عليك أكبر وأشد وأتعب مع الخلود في نار جهنم يوم القيامة، ثم زال عني الإمام فمضيت حتى قدمت المدينة فنزلت بها في دار فبتنا، أنا ذات يوم إذ أنا بالإمام معي في البيت من غير أن يدخل علينا فسمعته يقول لطير في قفص معنا في الدار: وما بقي عليك أتعب وأشد مع الخلود في نار جهنم يوم القيامة، قال الثقة: فعجبت من كلام الإمام للطير فلم أتمالك أن قلت له: أيها الإمام: لقد صرت مما سمعت منك في عجب، وذلك أني رأيتك في طريق مكة معي في المحمل قاعداً في العمارية من غير أن تصعد إلينا وسمعتك تكلم الجمل والجمل يجيبك، ثم رأيتك معنا اليوم في البيت من غير أن تدخل علينا، فما المذهب أم كيف هذا؟ فقال له الإمام بزعم ثقتهم: أنتم أهل شيعتنا نغشى منازلكم من غير أن ندخل عليكم ونركب معكم من غير أن نصعد إليكم لمودتنا لكم ولمحبتكم لنا والجمل الذي سمعته يتضرع فهو الحجاج بن يوسف، وأما هذا الطير الذي في القفص فهو مروان بن الحكم يشكوا ضيق القفص وما يلقى من الجوع والعطش، قال الثقة: ثم غاب عني الإمام.

ذكر الأظلة

ورووا عمن يثقون به أن الله سبحانه قبل أن يخلق الدنيا بكذا وكذا ألف عام أمر بكراسي فنصبت عن يمين العرش وبكراسي عن يساره ونصب أظلة عن يمين عرشه وأظلة عن يسار عرشه فكان في الأظلة التي عن يمينه إبراهيم الخليل ومحمد وعلي وسائر الأوصياء والأنبياء، وكان في الأظلة التي عن شماله |١٥٢/و| فرعون و قارون وهامان وأبو بكر وعمر ومن معهما وهو تفسير قوله بزعمهم: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٢٧]، ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ [الواقعة: ٤١]. فزعموا أن الله سبحانه قد خلق الخلق قبل أن يخلق الدنيا، وأنه كان ينصب لأعدائه من الظل والكراسي والكرامة مثل الذي فعل لأوليائه.

كما رووا عن علي صلوات الله عليه أنه ضرب بيده في صدر عمار بن ياسر ثم قال له: ماذا ترى؟ فقال له: أرى إلى أقصى مطلع الشمس، ثم ضرب في صدره الثانية فقال: ماذا ترى؟ فقال: أرى إلى أقصى المغرب، ثم ضرب الثالثة فقال: ماذا ترى؟ فقال: أرى إلى أقصى الجو من بنات نعش، ثم ضرب الرابعة فقال: ماذا ترى؟ فقال: أرى إلى أقصى السماء من مجرى سهيل، ثم ضرب الخامسة فقال: ماذا ترى؟ فقال: أرى ما بين الأرض وفوق الأرض إلى السماء السابعة العليا، ثم ضرب في صدره السادسة فقال: ماذا ترى؟ فقال: أرى ما فوق الأرض وما تحتها إلى الأرض السابعة السفلى، وهم الذين رووا أن رماه أهل الشام اعتوروا يزيد وعبد الله وعمرا [...][٢٢١] وعمار بن ياسر يوم صفين حتى قتلوهم فكيف أبصر عمار بزعمهم ما في البر والبحر ولم يبصر من رماه حتى قتله، والحياة محبوبة والعيش مرغوب فيه.

٢٢١ هنا كلمة غير واضحة في الأصل.

ذكر نسل آدم عليه السلام

ورووا عن إمامهم فيما يزعمون أن آدم صلى الله عليه وسلم اشتد جزعه على هابل لما قتله قابل وكثر بكاءه عليه، وفي ذلك يقول: [البحر الوافر]

تَغَيَّرَتِ الْبِلادُ وَمَنْ عَلَيْهَا فَوَجْهُ الأَرْضِ مُغْبَرٌّ قَبِيحُ

تَغَيَّرَ كُلُّ ذِي لَوْنٍ وَطَعْمٍ وَأَكْسَفَ لَوْنُ الْوَجْهِ الصَّبِيحِ

وَجَاوَرَنَا عَدُوٌّ لَيْسَ يَنْسَى لَعِينٌ لا يَمُوتُ فَنَسْتَرِيحُ

أَهَابِلُ إنْ قُتِلْتَ فإِنَّ قَلْبِي عَلَيْكَ الْيَوْمَ مُكْتَئِبٌ قَرِيحُ[222]

وهذا الشعر معروف صحيح لآدم صلى الله عليه وسلم بنقل الرواة وأهل العلم ولكن ما يجيء بعده هو المحال وذلك /[١٥٣ظ] أنهم رووا عن إمامهم فيما زعموا أنه قال لما قتل هابل أخاه قابل[223] اشتد جزع آدم وحواء وشكيا إلى الله مصيبتهما وفقده، فأوحى الله إليهما سبحانه أني سأهب لكما خيراً من قابل، فليحسن عزاؤكما ففي الله دَرْكٌ مِن فائت وخَلَفٌ من كل هالك، قال الإمام: ففرحا بذلك فرحاً شديداً فوهب الله لهما شيثاً وهو كان أول الأوصياء بزعمهم فكان شيث يسمى هبة الله، قال الإمام: ولما أن بلغ شيث مبلغ الرجال أخرج الله له سبحانه من الجنة حوراً من حور العين كالشمس حسناً مُقرَّطة مُشْنفة مُدَمْلَجة في جبينها سطران مكتوبان في إحداهما لا إله إلا الله محمد رسول الله، وفي السطر الثاني مكتوب من أخذ مثلي فليأمر بالمعروف ولْيَنْهَ عن المنكر وليعمل برضى الله ربه، فأولدها شيث ولداً ذكراً.

٢٢٢ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٦٠، ص ٤٥٤؛ أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص ٣٠-٣١.

٢٢٣ هكذا مثبوت في الأصل، لكن المعروف أن القاتل هو قابل والمقتول هو هابل.

ثم إن إبليس حسد آدم في كثرة نسله وأولاده فذهب بزعمهم إلى جزيرة من جزائر البحر، لجامع نفسه في تلك الجزيرة فباض بيضة انفقست عن جارية حسناء كالبدر، فلما حدبت قالت حواء لآدم بزعمهم هل لك يا آدم في أن تزوج ابن شيث وهو ابن الحوراء من ابنة إبليس فأجابها آدم إلى ذلك فقالا لشيث وللحوراء هل لكما أن تزوجا ابنكما بابنة إبليس فما رأينا في النساء أنبل منها وأجابا إلى ذلك، وخطب آدم وحواء من إبليس فأجابهم إلى ذلك فزوج ابنته من ولد شيث، فتناسلا وصار منهما نسل كثير، فما كان في الناس من وفاء وعلم وجود وكرم وفضل وخير فهو بزعمهم من شيث والحوراء، وما كان في الناس من غدر وفجور وخيانة وكذب وفسق وجهل وبُخْل وجبن وحرص وطمع وشَرَه وسوء وخبث فهو من قبل إبليس لأن نسله خالط /[١٥٣و] نسل آدم فيما يزعمون.

وفي رواية لهم أخرى أن إبليس تزوج الحية التي خدعت حواء فباضت تلك الحية ثم فقست بيضتها عن حور كثيرة فزوجهن آدم من أولاد شيث والحوراء، فما كان في الناس من خير فمن قبل الحوراء وشيث، وما كان في الناس من شر فمن قبل نسل إبليس والحية، ونسل إبليس والحية قد اختلط وتناسل، وهذا كان سبب الطاعة والمعصية، والله يقول: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ [الأعراف: ٢٧] فكيف يزعمون أن لإبليس نسلاً في بني آدم، واحتجوا على هذا بقول الله سبحانه: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الإسراء: ٦٤]، وما كان الله ليبيح لآدم تزويج الإخوة بالأخوات ثم يحرمه بعد ما أحله، وفي هذا نسخ والنسخ لا يجوز على الله سبحانه إذ فعله وأمره حكمة، فلا يجوز أن ينسخ الحكمة، ولو أن آدم زوج الإخوة من الأخوات لجاز اليوم للمسلمين أن يتزوجوا الأخوات وأنكروا النسخ، وكذلك أنكره اليهود لأن فيه زعموا بداء، والبداء لا يجوز على الله، وأهل العلم مجمعون على النسخ والكلام لا يخرج من أربعة معاني.

ذكر النسخ

فالمعاني الأربعة: الأمر والطلب والاستفهام والخبر، فالأمر والطلب والاستفهام لا يجوز فيها الصدق ولا الكذب، فأما الخبر فهو يحتمل الصدق والكذب، ولا يجوز فيه النسخ لأن في ذلك خلفاً وكذباً، وأما الأمر والنهي فالنسخ جائز عليهما لأن السيد يأمر عبده اليوم بما أراد ثم يحط عنه ذلك الأمر في اليوم الثاني.

وأما إنكار اليهود النسخ في القرآن، فهذه التوراة فيها ناسخ ومنسوخ وذلك أنه لما قتل ابن آدم أخاه أوحى الله سبحانه إلى أهل الأرض أن لا تأووا هابلاً ولا يكلمه أحد ولا يتاجره أحد، وذكر الله ذلك في التوراة ثم /[١٥٤ظ] نسخ ذلك لما قتل صاحب البقرة ابن عمه وأمر الله موسى بقتله

وفي التوراة أيضاً أن نوحاً أبيح له أكل دابة وحرم الله ذلك على بني إسرائيل، وفيها أن يعقوب بن إسحاق صلى الله عليهما جمع بين أختين، وحرم على من بعده وولده، فكيف ينكر اليهود النسخ في القرآن وهذا النسخ موجود معروف في التوراة، ولكن اليهود حسدوا محمداً صلى الله عليه وسلم فاتخذوا هذا القول المنكر عليه ليجحدوا نبوته حسداً من عند أنفسهم، وبغياً منهم فاختلفوا من بعد ما جاءهم العلم واليقين أنه موافق لما جاء في التوراة.

وأما في الأنجيل فجحدوا وكابروا بأمر موسى صلى الله عليه بتعظيم يوم السبت فلما بدلت بنو إسرائيل أحكام التوراة وخالفت سنة موسى بعث الله سبحانه عيسى بن مريم بالإنجيل ناسخاً لبعض أحكام التوراة، إذ خالفت بنو إسرائيل ما كان فيها، فعندما أمر الله سبحانه بتعظيم يوم الأحد وبإحلال لحم الجمل وبإحلال أمور كان قد ضيق على بني إسرائيل، فلما بدلت النصارى من بني إسرائيل أحكام الإنجيل وخلوا سنة عيسى بعث الله سبحانه محمداً صلى الله عليه وسلم بالقرآن ناسخاً لما قبله، إذ بدلت أحكام الإنجيل وأمره الله سبحانه بتعظيم يوم الجمعة ناسخاً لتعظيم يوم الأحد.

ذكر علامات النبوة[٢٢٤]

حدثني أحمد بن داود المكي[٢٢٥] قال حدثنا عمرو بن خالد عن عمرو بن دينار عن عطاء بن يسار قال: سمعت عبد الله بن العباس يقول: ما بعث الله نبياً من أنبيائه إلا برأس ما في أيدي قومه، فبعث إبراهيم عليه السلام ورأس ما في أيدي قومه النجامة، وادعاء علم الغيب فنهاهم عن ذلك وعرفهم خطأهم فأبوا القبول منه وكاد عليهم مكيدة حتى كسر أصنامهم ولم يستدلوا /[١٥٤و] بعلم نجامتهم على أنه كسرها فلما تبين لجميع الناس كذبهم في علم الغيب بالنجوم افتضحوا عند جميع الخلق وغضبوا لذلك ثم ألقوه في النار فجعلها الله سبحانه عليه برداً وسلاماً.

وبعث الله موسى بن عمران إلى فرعون وقومه ورأس ما في أيديهم السحر والخدائع، فلما أتاهم بالعصا فألقاها فبلعت جميع ما خرقوا به أيقنوا أنه لن يقدر بنو آدم على مثل ذلك السحر ولا بغيره، فآمن به السحرة رضي الله عنهم لأنهم أصبحوا سحرة كفاراً وأمسوا شهداء مؤمنين أبراراً.

وبعث الله سبحانه عيسى بن مريم ورأس ما في أيدي قومه الطب فلما أصح مجذماً وبصر أعمى وأحيا ميتاً تيقنوا أن الأطباء عاجزة عن تبصرة العمي وعن إبراء المجذومين وعن إحياء الموتى.

وبعث الله سبحانه محمداً صلى الله عليه وسلم ورأس ما في أيدي قومه البلاغة وكانت بلاغتهم على خمسة أنحاء: أول ذلك الكلام المنثور المصرف بين الناس، ثم الكلام المسجع، ثم الكلام الموزون وهو

٢٢٤ لم يذكر تحت هذا العنوان أية المعجزات الحسية للنبي. ويوضح هذا الموقف صاحب المقالات ما ذكره القاضي عبد الجبار ما لفظه «فأما من شنع ذلك على مشايخنا، وزعم أنهم أبطلوا سائر معجزات محمد صلى الله عليه، فكلامه يدل على جهل، لأن شيوخنا أثبتوها معجزة ودلالة، لكنهم لم يجوّزوا الاعتماد عليها، في مكالمة المخالفين» لم يعتمد أبوعلي أيضا في إثبات نبوّة محمد، صلى الله عليه، على المعجزات، التي إنما تعلم بعد العلم بنبوّته، لأن ثبوت ذلك فرع على ثبوت النبوّة، وقد أشار إلى مثله في نقض الإمامة على ابن الراوندي أن الذي يمكن أن يعتمد عليه مع المخالفين هو القرآن. القاضي عبد الجبار، المغني، ج ١٦، ص ١٥٢-١٤٤.

٢٢٥ أحْمَد بن داود بن موسى أبو عبد الله السَّدُوسي البَصْرِيّ ثُمَّ المكي، أصله من البصرة، ونزل مكة ثم أتى مصر فمات بها، تُوُفِّي في صفر سنة اثنتين (٢٨٢هـ). انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٦، ص ٦٧٣. ابن قُطْلُوبَغَا، كتاب الثقات، ج ١، ص ٣٣٣.

الشعر، ثم الكلام المؤلف وهو الرسائل والخطب، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتأليف سادس خارج عن أنحائهم الخمسة المؤلفة وهو القرآن المبين والسراج المنير الساطع والحكم القاطع والقاضي الفاصل، والحاكم العادل، من قال به صدق، ومن حكم به عدل ومن خالفه كفر، ومن قاتل به نصر، ومن تحصن به أمن، ومن درسه علم ومن تدبره فهم، المفروض تعليمه الكثير فوائده، البين اتضاحه، المعز عالمه المنصور صاحبه، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

فعجزت الشعراء والفصحاء والبلغاء والنطقاء عن أن /[١٥٥ظ] يأتوا بمثل هذا القرآن، وبان عجزهم وتبين قصورهم وظهر عجزهم مع شدة الحسد له وكثرة العناد.

ومن حديث الشجاع بن أسلم عن يحي بن مقاتل عن محمد بن إسحاق عن نافع قال: سمعت عبد الله بن عباس يقول: كان أبو سفيان صخر بن حرب أشد المشركين عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان يذهب إلى الشعراء يسألهم لكي يأتوا بكلام يشبه القرآن فذهب إلى أكثم بن صيفي التيمي، فلما قدم عليه قال له: إنك شيخ بني تميم ورأس مضر وحكيم العرب، وقد أحببت أن ألقي إليك قولاً ثم تروي في جوابه، وذلك أنه حدث فينا حدث وقام شاب منا فسب آلهتنا وسفّه أحلامنا وجهل علماءنا وشتت ملأنا وفرق جمعنا وبدد شملنا وألقى العداوة بيننا وجاءنا بكلام لا نعرفه وزعم أنه من رب العالمين، وأمرنا بخلع اللات والعزا وأنت حليم العرب وخطيبها والمقصود إليه عند نوائب الأمور وجرح الصدور.

قال ابن عباس: فلما سمع أكثم قول أبي سفيان قال له: أنظرني الليلة، فلما أصبح أرسل أكثم بن صيفي إلى قومه فجمعهم ونَحَرَ لهم الجزر، فلما فرغوا من طعامهم اختبأ برأيه ثم قال: يا معاشر بني تميم إنكم قد أصبحتم أكثر العرب منعة وعزاً وهذا يوم لما بعده، وهذا أخو هاشم قد جاءني يذكر أنه قد ظهر في قومه نبي يدعو الناس إلى خلع الأوثان وعصيان الشيطان وإلى طاعة الرحمن وإلى مواصلة الأرحام وإكرام الأرامل والأيتام، وإلى إشباع الجائع وإلى إغناء الفقير وإلى نصرة المظلوم وإلى إحياء شريعة جدكم إبراهيم الخليل وإلى مكارم الأخلاق وهذا /[١٥٥و] ابني خبيش قد صار إليه ثم انصرف من عنده فإذا محمد أرضى فتيان العرب خلقاً وأحسنهم خلقاً وأجودهم كفئاً وأرحمهم قلباً وأذكاهم عقلاً وأصدقهم لهجة،

وأكرمهم حسباً يدعوكم إلى توحيد الله ويأمركم بإصلاح ذات البين. يا بني تميم إن محمداً صادق اللهجة ظاهر الحجة ميمون النفس ولو أن الذي يدعوكم إليه محمد لم يكن ديناً ل[ما] كان في أخلاق الناس حسناً وفعلاً جميلاً فأطيعوني واسمعوا قولي واقبلوا وصيتي تنالوا بها شرف الدنيا والأخرة.

فلما سمعوا كلامه قال بعضهم: خرف شيخكم ونقص عقله، فقال لهم أكثم: ويل لعالمٍ أمرٍ من جاهله فأرسلها مثلا في الناس، قال ابن عباس: كان أكثم بن صيفي التميمي لما بلغه خروج النبي صلى الله عليه أرسل إليه ابناً له يسمى خبيشاً ثم انصرف عن النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبيه فلما جاءه أبو سفيان جاء معه خبيش وذهب حتى لحق بالمدينة فأسلم على يدي النبي صلى الله عليه وسلم، فلما كان يوم فتح مكة قتل خبيش في ذلك اليوم، فقيل له قتيل البطحاء وقد ذكروا أيضاً أن خبيشاً قتيل البطحاء إنما كان خبيش أخو أم معبد الخزاعي.

قال ابن عباس: ثم توجه أبو سفيان إلى قس بن ساعدة الإيادي[٢٢٦] فقال له كما قال لأكثم بن صيفي ووصف له محمداً وما يدعوهم إليه من خلع الأوثان وعبادة الرحمن، قال له: أنت خطيب العرب وعميدها، فلعلك تؤلف كلاماً تحج به على محمد وتقابل به الكلام الذي أتى به، فقد سفه أحلامنا وسب آلهتنا وشتت ملأنا وألقى العداوة بيننا، فلما فرغ أبو سفيان من كلامه قال له قس بن ساعدة: أنظرني إلى الغد يا أبا حنظلة.

قال: فلما أصبح قس بن ساعدة جمع قومه من إياد فذبح لهم البدن وصنع لهم الطعام، فلما أكلوا قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه /[١٥٦ظ] ثم قال: يا معاشر بني إياد: إن خير القول أصدقه، ثم قال: أيها الناس: إن في السماء لخبراً، وإن في الأرض لعبراً، سقف مرفوع ومهاد موضوع، وبحر عجاج وليل داج وسماء ذات أبراج، ونجوم تغور وبحور تفور، مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون، أرضوا بالمقام فأقاموا، أم ضرب على آذانهم فناموا. ثم قال: يقسم قس بالإله قسماً حقاً وقولاً صدقاً أن لله ديناً هو أرضى من دينكم هذا، فهذا أوانه، وقد أظلكم زمانه فطوبى لمن أدركه فآمن به، والويل لمن أدركه فتخلف عنه. ثم أنشأ يقول: [البحر الكامل]

٢٢٦ وهو حكيم العرب وفصيحها، وأول من قال: أما بعد، وكان على دين المسيح، قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم يخطب الناس بعكاظ على جمل أحمر وله حديث. نشوان الحميري، الحور العين، ج ١، ص ١١٧.

فِي الذَّاهِبِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ القُرُونِ لَنَا بَصَائِرْ
لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لِلقَوْمِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرْ
وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا يَمْضِي الأَكَابِرُ وَالأَصَاغِرُ
وَلا يَرْجِعُ المَاضِي وَلا مِنَ البَاقِينَ غَابِرْ
أَيْقَنْتُ أَنِّي لا مَحَالَةَ حَيْثُ صَارَ القَوْمُ صَائِرْ[٢٢٧]

فلما سمع القوم شعره قالوا له: لك الخير لقد وعظت فأبلغت، فما البغية؟ فقال: إن أخا قريش جاءني يذكر أن رجلاً من قومه جاءهم بوحي من عند الله العلي، ويذكر أنه نبي كامل في عقله صحيح في نسبه، أسمح العرب كفئاً وأرضاها خلقاً وأصحها عقلاً، وأكرمها فعلاً، وأعزها بيتاً، يكرم اليتيم ويمنع الحريم، وينصر المظلوم، علمه فاضل، وعقله كامل، وجوده شامل، يأمر الناس بخلع الأوثان وعبادة الرحمن، ويحضّهم على صلة الأرحام، وينهاهم عن قطيعتها، أيمن الناس / [١٥٦و] نقيبة، وأعظمهم بركة، وأجلهم منة.

فاقبلوا قوله تسعدوا، وأطيعوا محمداً ترشدوا، ولله المثل الأعلى وهو ربكم المولى، فقال له رجل من قومه: لقد خرف شيخكم يا معاشر إياد وزال عقله، فقال: لهف نفسي على دين لم أدركه ولم أبلغه، وذكروا أن أكثم بن صيفي قال أيضاً لما سمع بذكر النبي صلى الله عليه وسلم: لهف نفسي على أمر لم أدركه ولم أبلغه في حال قوتي وزمان شبابي فآمن به قس وأكثم.

قال: ولما سمع أبو سفيان كلام قس بن ساعدة موافقاً لكلام أكثم بن صيفي قال: ما أدى هذين إلا يؤكدان دين محمد، وقال لمن معه: ألا تسمعون؟ فقالوا له: قد سمعنا مثل الذي سمعت، فأين تريد الذهاب، فقال لهم: أقصد أمية بن أبي الصلت الثقفي فإنه أشعر العرب فلعل عنده ما يرد قول محمد ويفحمه ببعض المعاريض.

٢٢٧ الطبراني، المعجم الكبير، ج ١٢، ص ٨٨، البيهقي دلائل النبوة، ج ٢، ص ١٠١.

قال ابن عباس: فذهبوا معه إلى أمية بن أبي الصلت فأكرمهم وأنزلهم وقال لأبي سفيان: مرحباً بك أبا حنظلة فلقد كان أبو الصلت خِدْناً لأبيك حرب بن أمية، قال ابن عباس: أبو الصلت كاتب ثقيف، وكان حرب بن أمية كاتب قريش وكانا يتواصلان على الكتابة، ثم قال أبو سفيان: إنا قد أتيناك في أمر دَهمَنا وفي دونه ما يفاقم الأمور ويحرج الصدور، وذلك أن رجلاً من بني عمنا سب آلهتنا وسفه أحلامنا وأمرنا بخلع اللات والعزا، فشتت ملأنا وفرق جمعنا وألقى بيننا العداوة والبغضاء وأخاف أن يؤول أمره إلى أصعب مما قد صار إليه، وإن معه كتاباً يذكر أنه من رب العالمين، وأنت شاعر العرب وبليغها، والمنظور إليه منها /[١٥٧ظ] فلعلك تقول شعراً تفحم فيه محمداً فتكون أيمن الناس على قريش وأعظمهم منة عليها وأعظمها يداً، فقال له أمية: أنظرني إلى الغد يا أبا حنظلة.

قال: فلما أصبح أمية نادى في قومه فجمعهم ونحر لهم البدن وأطعمهم، فلما فرغوا حمد الله وأثنى عليه ثم جعل ينشدهم هذه القصيدة، وهي :

باتَت هُمومي تَسري طَوارِقُها أَكُفُّ عَيني وَالدَمعُ سابِقُها

مِمّـا أَتـاني مِنَ اليَقينِ وَلَم أوت براةً يقص ناطقها

أمراً تلظى عليه حاجمة النار محيط بهم سرادقها

أم أنت في الجَنَّةِ الَّتي وُعِدَ الأبرارُ مَصفوفَةً نَمارِقُها

لا يَستَوي المنزِلانِ ثم وَلا الأعمـال لا تَستَوي طَرائِقُها

هما فريقان فائز دخل الجنَّةَ حفَّت بِهِم حَدائِقُها

وفرقة قد عصت وخلد في النار فساءت بهم مرافقها

يا لهف نفسي على الحياة إذا أدرجت في حفرة أوافقها

تَعـاهَدت هذِهِ القلوب حتى إذا همت بخير عاقت عوائقها

وصدها للشقاء عن طلب الجنة دنيا والله ماحقها

عَبدٌ دَعا نَفسَهُ فَعاتَبَها يَعلَمُ أَنَّ البصيرَ رامِقُها

ما رغبة النفس في الحياة وإن تبقى قليلاً والموت لاحقها

وأيقنت أنها تعود كما كانت تراباً والله خالقها

يوشِكُ مَن فَرَّ مِن مَنِيَّته في بَعضِ غِرّاتِهِ يُوافِقُها

مَن لَم يَمُت عبطَةً يَمُت هَرماً للمَوت كَأسٌ وَالمَرءُ ذائِقُها[٢٢٨]

فلما فرغ من إنشاد القصيدة قال لقومه: يا معشر ثقيف إنه قد جاءكم رجل من بني عمكم يدعوكم إلى ما يورثكم كنزاً ويشملكم عزاً ويبوئكم حرزاً /[١٥٧و] أوفى العرب عهداً وأكرمهم جداً وأصدقهم وداً، أجود العرب وصفاً، وأشمخهم كفئاً وأكرمهم وقفاً وأصدقهم قولاً وأصوبهم فعلاً، فانصروه ترشدوا وآمنوا به تسعدوا، فقام إليه أبو مسعود فقال له: بالأمس كنت معنا وأنت اليوم تأمرنا بخلع آلهتنا ثم قاموا منه وقالوا: خرفتَ وتغير عقلك.

قال ابن عباس: أخبرني رجال ممن شهد هذا المشهد من قول أمية لثقيف ومن قول ثقيف لأمية بن أبي الصلت، فلما سمع أبو سفيان قول أمية وما ذكر به محمدا صلى الله عليه وسلم من كرم أخلاقه وجميل أفعاله غضب مع ما سمع من أكثم بن صيفي ومن قس بن ساعدة الإيادي، وقال لمن معه: ما أظن محمداً إلا وقد دس لهؤلاء بسهم من رئاسته، إن هو ظفر بما يريد لأن كل رجل منهم يحمل أمره ويصوّب رأيه ويصدّق قوله، فقال له القوم الذين كانوا معه في سفره: كلا والله يا أبا حنظلة ولكنك رجل حسود كؤود حقود، لا تريد الرئاسة إلا لنفسك، ولم تشهد أن محمداً رسول من رب العالمين، فلما انصرف أبو سفيان وانصرف أصحابه ذهبوا إلى النبي عليه السلام فأعلموه بقول أكثم، وقول قس وأنشدوه من شعرهم ثم أسلموا كلهم أجمعون، وأسلم خبيش بن أكثم واستشهد يوم فتح مكة وهو قتيل البطحاء.

وأخبر أبو سفيان قومه بما كان من قول أكثم وقس وأمية وقالوا: فماذا تشير به علينا في أمر محمد يا أبا حنظلة فقد اختلف ديننا وسب آلهتنا ولا نأمن أن تقع الفرقة بين قريش فكل يوم

٢٢٨ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٩، ص٢٨٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢، ص٢٢٥.

ينقص عددنا ويزداد محمد وأصحابه قوة وعزاً فقال أبو سفيان: واللات والعزا لن أسأم الطواف ما جرت بي مدة أو أكون من نبوة محمد على أمر بين، ولا أظن خبره إلا وهو عند أهل الإنجيل، قال: /[١٥٨ظ] فتجهز أبو سفيان خارجاً إلى مصر وذهب حتى أتى الإسكندرية ودخل على المقوقس ملكهم فقال له أبو سفيان: أيها الملك إني قصدتك لكي ألقي إليك كلاماً فاخْلُ لي وجهك وارعني سمعك أبلغك ما أريد.

فأخلى له مجلسه وأرعاه سمعه وقال له: سل حاجتك وقل ما بدا لك فمرحباً بك أيها العربي الكريم.

فقال له أبو سفيان: أيها الملك أتيتك في أمر تفاقمت فيه الأمور وحرجت منه الصدور، وذلك أنه نشأ فينا حدث منا سب آلهتنا وسفه أحلامنا وشتت ملأنا وأمرنا بخلع اللات والعزا وما في الحياة بعدهما من خير.

فقال له المقوقس: أتصدقني فيما أسألك عنه أيها العربي؟

قال أبو سفيان: نعم أيها الملك وهل يكذب الحر؟

قال له المقوقس: فاحلف لي باللات والعزا أنك تصدقني

فقال له أبو سفيان: واللات والعزا ومنات الثالثة الأخرى لأصدقنك في جميع ما تسألني عنه

قال له المقوقس: أصحيح نسبه؟

فقال له: نعم، هو أوسط قريش نسباً وأكرمهم أباً وجداً وعماً وخالاً

فقال له: كذلك النبي لا يكون إلا لرشده بعيداً من السفاح، ولكن أخبرني كيف قوله؟

قال له أبو سفيان: إنه لأصدقنا قولاً وأكرمنا قدراً وأوفانا عهداً وما لقبه فينا إلا محمد الأمين

قال له: كذلك يكون النبي، مختار أمين رب العالمين، وخير عباد الله أصدقهم قولاً وأحسنهم عملا وأوفاهم عهداً، ولقد بلغني أيها العربي أن ابن عمك هذا الذي تذكر يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة ويحرم الجمع بين الأختين ولا أظن ابن عمك إلا وهو النبي الذي بشرنا به عيسى بن مريم

وهو الذي ذكره الله في الإنجيل بأنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحل للناس الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ولئن صح عندي أنه النبي المذكور المبشر به رجوت /[١٥٨و] أن أخدمه وأقوم بين يديه وأنصح لله وأعينه بمال ورجال وعدة وسلاح

فبعث إليه ببغلة بيضاء تدعى الدلدل وبعث إليه بأختين تدعى إحداهما مارية والأخرى سيرين، وبعث إليه بكيس فيه ألف دينار ثم قال لرسوله ولأبي سفيان أني أبعث إليه بهذه البغلة وبهاتين الأختين هدية وأبعث إليه ألف دينار صدقة، فامتحنه بذلك، وأعطا أبا سفيان مالاً فغضب أبو سفيان من هدية المقوقس إلى النبي عليه السلام وجعل يقول: ما ذكرت محمداً عند أحد إلا أحبه فلا أدري أبلغ سحره معي حيث أسلك أم ما هذا؟ فقد أكْأَبَنِي خبره، فقال له رجال كانوا خرجوا معه في سفره: كلا والله يا أبا سفيان إن محمداً نبي صادق وقد أعلمك المقوقس أنه موجود في إنجيلهم مذكور موصوف، وما بين العرب والقبط من قرابة، وقد أعلمك أكثم بن صيفي وقس بن ساعدة وأمية بن أبي الصلت بخبره، وما هم له بقرابة لأن أحدهم من بني تميم وآخر من إياد، وثالث من ثقيف ورابع من القبط، فاتق الله ربك ولا تخذل ابن عمك لأن شرفه شرفك ورئاسته قوة لك ونبوته عز لك.

قال ابن عباس: فرجع أبو سفيان حاشياً خائباً فلما قدم مكة جعل رجال من قريش يسألونه ويقولون يا أبا حنظلة: ما الذي أنبأك به ملك القبط، فإنه من أهل الإنجيل، فجعل أبو سفيان يقول: ما نرى كثرة سؤالنا عن شأن محمد إلا زيادة له في نحره وتكثيراً له في أصحابه، ولقد حسّناه وأيدناه بشريف بني تميم خبيش بن أكثم حتى دخل /[١٥٩ظ] في دينه الذين صحبوني في سفري هذا إلى المقوقس ثم أراه قد أنجده بالنساء والبغال وكثرة المال، فما لكم في محمد من حيلة غير قتله يا معشر قريش.

ذكر الهجرة إلى أرض الحبشة

حدثنا أحمد بن داود، قال حدثنا عمرو بن خالد عن عمرو بن دينار عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عباس قال: غلظ أمر النبي على قريش واشتد خنقهم عليه فاجتمعوا عند عتبة بن ربيعة، وقال لهم أبو سفيان: يا معشر قريش: انظروا في شأن محمد ولا تنزلوه منزلاً فتهلكوا، وكلموا عمه في أمره، فإما أن نقتله ويتبنى بعض أولادنا، وإما أن يكفيكم ضره.

قال: فذهبوا بأجمع ما كانوا عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة بن ربيعة، وأمية بن خلف، وأبي بن خلف، والوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، والعاص بن وائل السهمي، وصناديد قريش إلى أبي طالب فقالوا له: يا أبا طالب، إنك سيد قريش وعميدها، وقد علمت ما فعل بنا ابن أخيك بأن سب آلهتنا وسفه أحلامنا وأراد أن يترك دين آبائنا ولكن اختر منا إحدى حليتين: أولاهما أن تمنعه فليكف عن شتم اللات والعزا ولا يطعن في دين آبائنا الأكرمين الأقدمين فهم كانوا أعلم وأشرف وأبصر بدينهم، وله علينا أن نعقد تاجاً ثم نضعه على رأسه ونسوده على جميع قريش فلا يكون في ملوك العرب أشرف من ابن أخيك منزلة ولا أعلى درجة، وإن أبيت وأبى ابن أخيك إلا التمادي في غيه وفي سفاهته فنحن لم ندع قتله إلا كرامة لك يا أبا طالب، نخل عنه ولا تنصره وأعْطِناه حتى نقتله وهذا /[١٥٩و] عمارة بن الوليد أصبحُ فتى في قريش وجهاً وأفرغهم شعراً وأشجعهم قلباً وأكملهم خلقاً فتبناه، فعمارة خير لك من محمد لأن محمداً يسفه حلمك ويعيب دينك، وكان المتولى هذا القول أبو سفيان بن حرب، فقال أمية بن خلف وعتبة بن ربيعة والعاص بن وائل: أنصفك القوم يا أبا طالب فاقبل ما عرضنا عليك وهات محمداً نقتله، وتبنى عمارة بن الوليد وإنما هو رجل يرحل لتجتمع كلمتنا ولا يختلف قولنا ولا يفارق دين آبائنا.

فقال لهم أبو طالب: شاهت الوجوه وتب ما جئتم به، أعطيكم ابن أخي تقتلوه، وآخذ ابن غيري أغذوه بالطعام، لقد سفهت عقولكم وضعفت أحلامكم وخاب سعيكم، قال ابن عباس: وانصرفوا عن أبي طالب خائبين نادمين وعلموا ما لزمهم في هذا من النقص والعيب.

ذكر خروج جعفر إلى النجاشي

قال ابن عباس: ولما حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسه وأصحابه عندما مات عمه أبو طالب، وضعف ركنه، قال لجعفر ولرجال من المسلمين منهم عبد الله بن مسعود، وأبو سلمة وناس كثير، ونساء خرجن مع أزواجهن إلى أرض الحبش مع جعفر بن أبي طالب: اركبوا البحر حتى تصلوا إلى النجاشي، فركبوا البحر إلى النجاشي.

قال ابن عباس: ولما علم أهل مكة بخروج جعفر مع أصحاب النبي عليه السلام إلى أرض الحبش تشاوروا فيما بينهم فأجمع رأيهم على أن يبعثوا خلفهم رجالاً يسعون بهم إلى النجاشي /[١٦٠ظ] فوجهوا لذلك عمرو بن العاص بن وائل السهمي، وعمارة بن الوليد المخزومي فخرجا حتى أتيا البحر وركبا في السفينة ومع عمرو بن العاص زوجته، فلما أن بصرت امرأة عمرو بعمارة وبصر عمارة بها تعلق كل واحد منهما بصاحبه، فلما قام عمرو في جانب السفينة يريد البول دفعه عمارة دفعة فأسقطه في البحر، فإذا عمرو يسبح ماهراً فلما نظر إليه عمارة يسبح قال له: أتسبح يا عمرو؟ قال: كلا فاستخرجه عمارة من البحر وأخذ بيده وأدخله السفينة، ثم إن عمارة اصطبر على ذلك وجعل يداريه حتى خرجا من السفينة ثم مضوا حتى نزلوا على النجاشي.

قال ابن عباس: وسبق عمرو وعمارة جعفراً وأصحابه فقالا للنجاشي: أيها الملك إنا نريد أن تخلي لنا وجهك وترعينا سمعك.

فقال لهما النجاشي: قولا ما شئتما أسمع منكما.

فقالا له: إنه حل بنا أمر عظيم، خرج فينا رجل سب آلهتنا وسفه أحلامنا وشتت ملأنا وعاب ديننا وقد لجأ إليك رجال من أصحابه لسنا نأمن أن يفسدوا عليك بلدك ويفرقوا جموعك وهم يزعمون أن عيسى عبد.

قال ابن عباس: سمعت جعفر بن أبي طالب يقول: لقد قدمنا إلى النجاشي وقد سبقنا إليه عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص، قال ابن عباس: فصاح جعفر عند باب النجاشي: حزب الله يستأذنون على الملك، فكان موقع الكلمة من النجاشي موقع الماء البارد من لهاة الظمآن، فأذن لهم بالدخول. فلما دخلوا عليه أذن لهم بالقعود ورحب بهم ثم التفت إلى عمارة بن الوليد وإلى عمرو بن العاص فقال لهما: /[١٦٠و] أهؤلاء الذين تزعمون أنهم فعلوا بكم ما ذكرتم؟

قالا: نعم أيها الملك، ولكن رأيهم في أيدينا نذهب بهم إلى قومهم فهم أعلم بهم.

قال النجاشي لجعفر ولمن معه ماذا يدعيه هذان؟ فقال له جعفر: سلهم أيها الملك، أعبيد نحن حتى تسلمنا في أيديهما، فقال لهما النجاشي: صدقوكما أعبيد هم؟ فقالا: بل أحرار كرام أيها الملك، وهم بنو عمنا والصميم من قريش وفي الفرع من هاشم، فقال لهما النجاشي: ما نرى لكما على هؤلاء سبيلاً غير الدعوى بلا بينة، فكيف أسلمهم إليكما ثم التفت النجاشي إلى جعفر فقال له: ما الذي جاء به محمد، وما حجتكم فيما يدعون؟

فقال له جعفر: أيها الملك: إن عندك كتاباً هو يشهد لمحمد بالنبوة وهو مصدق لما فيه، فأرسل النجاشي إلى الأساقفة والرهبان فنشروا ما كان معهم من مصاحف الإنجيل، فلما جلسوا اندفع جعفر يقرأ سورة طه، وكان جعفر من أحسن الناس صوتاً، فلما سمع الأساقفة والرهبان والقسيسون ما تلاه عليهم جعفر رفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا للنجاشي: نشهد بالله أيها الملك إن هذا الكلام يخرج مع إنجيل عيسى من مشكاة واحدة. وفي هذه القصة أنزل الله سبحانه: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢]، ثم قال: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٢-٨٣] . فأسلم النجاشي والأساقفة والرهبان والقسيسون.]/١٦١ظ[فأثنى عليهم بأحسن الثناء وذكرهم بالإسلام وبالمودة للذين آمنوا فقد شهد الإنجيل للنجاشي وأصحابه بتصديق نبوة محمد صلى الله عليه.

ذكر قصة عمرو مع عمارة

قال ابن عباس: ولما يئس عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد مما رجواه عند النجاشي جعل عمرو يكيد عمارة فقال له: يا عمارة، إنا قد سقطنا من عين الملك، فاقبل بمودته على جعفر بن أبي طالب وأصحابه، وأنت أحسن الفتيان وجهاً وأصحهم عقلاً وليس من حسبك وشرفك منفعة.

فقال له عمارة: فما المذهب أو ما الذي تشير به أن أفعله لكي تصلح منزلتنا عند الملك؟

قال له عمرو: أرى لك أن تتعرض لامرأة الملك، فإنك لو تعرضت لها حتى تواقعها كلمت الملك في أمرنا، ولعسى أن يحبونا بجائزة.

ففعل عمارة ونال من زوجة الملك وأخبر عمرواً بما كان منه فقال له عمرو: ولست أصدقك من دون علامة.

قال: فخلا عمارة بالمرأة وقال لها: هل عندك طيب؟ قالت له: نعم، وأتته بدهن من دهن الملك في قارورة فانتهز عمرو الفرصة وذهب بالدهن إلى النجاشي فقال له: أيها الملك: إن صاحبي هذا زاني الفرج، وقد اغتالك في زوجتك وخانك، وهذه القارورة هي لك فيها دهنك، وإنما أطلعتك على هذا لكيلا تظن أني خنتك فلا تؤاخذني بذنبه فإنه فاسق ولكن أفرده بذنبه وخذه لجنايته عليك، فلما أيقن النجاشي بذلك قتل عمارة بن الوليد ورجع عمرو وزوجته خاسئاً ذليلاً، وبلغ أهل مكة ما كاد عمرو بن العاص على عمارة، وأرادت بنو مخزوم قتل عمرو وجعل العاص بن وائل يقول: يا بني مخزوم: إن عمرواً قد علمتم أن فلاناً /[١٦١و] ادعاه معي وليس هو لي بولد، فقالت بنو مخزوم: وهل بلغ من قدرك أو قدر من انتمى إليك ولو كان فاعلاً أن يكون كفؤاً لعمارة بن الوليد، ومتى كانت بنو سهم أَكْفَاء لبني مخزوم، فسكت العاص عن ذلك، وفي ذلك يقول عمرو بن العاص ويذكر عمارة:

تَعلَّمْ عُمـارُ أنّ من شرِ شُبْهَةٍ لِمثلكَ أنْ يُدْعى خؤونا مذمما

لئن كُنتَ ذا بُرْدَيْنِ أحْوى مرجَّلاً فلستَ براءٍ لابن عَمك مُحرما

إذا المرء لم يترك طعامًا يُحبّهُ ولـم ينْهَ قلبًا غاوياً حيث يمّمـا

قضَى وَطَراً منه يسيراً وأصبحت إذا ذُكِرَتْ أمثـالُهـا تملأ الفَمـا

وليس الفتى إن كان ذا أولية بذي كرم إلا بأن يتكرما[229]

حدثني أحمد بن داود قال حدثنا عمرو بن خالد عن عمرو بن دينار عن عطاء بن يسار، عن عبد الله بن عباس، قال: سمعت جعفر بن أبي طالب يقول: دخلت يوماً على النجاشي صلاة الغداة فإذا هو قد قذف على نفسه ديباجاً لبسها وهو قاعد على حصير فعجبت منه وقلت: ما لك أيها الملك طرحت عنك ثياب الملك ولبست ثياب الرهبان؟

فقال إن الرسول دخل علي الليلة ومعه كتاب يذكر فيه أن الله سبحانه قد فتح على رسوله محمد وأنه قتل من بني عمه قريش في غائط يدعى كبرى كنت أرعى فيه غنماً لسيدي نضلة بن هاشم ففرحت بذلك وحمدت الله وأحدثت له تواضعاً وشكراً لما فتح على نبيه محمد ولما أيد من دينه ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون.

قال ابن عباس: سمعت جعفراً يقول: سمعت /[١٦٢ظ] النجاشي يقول: عدا عليّ عمي وأجتاز بي البحر إلى بلد العرب، فباعني من رجل من قريش، ثم اشتراني نضلة بن هاشم فكنت أخدمه وكان أجود العرب كفئاً وأكرم بني هاشم فعلاً ثم إنه قال لي ذات يوم: يا نجاشي: قد بلغني أن عمك كاد عليك في الملك وأن أباك كان ملك الحبش ولكن اذهب إلى أرضك لعلك تحوز ملك أبيك فإنه بلغني أن عمك قد مات، ثم إني عجلت حتى اجتزت البحر وبلغت بلدي هذا فرد الله سبحانه علي ملكي.

٢٢٩ أنساب الأشراف للبلادري، ج ١، ص ١٩٩؛ ابن الجوزي ذم الهوى، ص ٣٣٠.

قال ابن عباس: ولم يزل جعفر ومن معه مقيمين عند النجاشي بأرض الحبش حتى فتح رسول الله مكة، ثم قدم جعفر بمن معه ووافق قدومه إسلام عكرمة بن أبي جهل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والله ما أدري بأي الأمرين أنا أشد فرحاً؟ بقدوم جعفر أم بإسلام عكرمة؟»[٢٣٠]

قال ابن عباس: وكان سبب إسلام عكرمة أنه فر من مكة حتى انتهى الى البحر، وذهبت زوجته إلى النبي عليه السلام، فقالت: يا محمد: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وعكرمة ابن عمك فر مخافة منك، فأعطني له أماناً، فأعطاها رسول الله رداءه أماناً لزوجها عكرمة، فلحقته وقد دخل السفينة فاراً إلى أرض الحبش، فصاحت به وقالت له: يا ابن عمي أين تفر وتدعني وتدع بيتك وأهل بيتك وابن عمك محمد أكرم الناس قدرة وأوسعهم صفحاً، وقد أعطاني رداءه أماناً لك وها هو معي، فقال لها عكرمة: واللات والعزا لا أنظر في وجه محمد حتى أموت، وهو الهادر دمي بالأمس ولو كنت موحداً تحت /[١٦٢و] أستار الكعبة، فلما سمع ملاح السفينة عكرمة سأل باللات والعزا قال له: إنه لن ينجيك من هول البحر إلا التوحيد لله والإخلاص، فإما أن تخلص وإما أن تخرج من سفينتي، فخرج عكرمة من السفينة ثم جلس مفكراً وزوجته تعظه وتقول: ادخل في دين الله فقد صفح عنك ابن عمك محمد وجعل عكرمة يفكر في الذي قال له الملاح وجعل يقول: إني أخاف أني إنما أفر من الحق، ولقد صدق الملاح فانصرف مع زوجته حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ففرح رسول الله بإسلام عكرمة ووافق إسلام عكرمة قدوم جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة، فجعل رسول الله يقول: ما أدري بأي الأمرين أنا أشد فرحاً، بإسلام عكرمة؟ أم بقدوم جعفر؟ والحمد لله رب العالمين.

وحدثنا أحمد بن داود عن علي بن معبد عن عمرو بن دينار عن عطاء بن يسار قال: سمعت عبد الله بن عباس يقول: لما أهدى المقوقس إلى النبي عليه السلام البغلة والأختين والصرة التي

٢٣٠ أنظر بلفظ: (أو بفتح خيبر) ابن أبي شيبة، المصنف لابن أبي شيبة، ج ٦، ص ٣٨١؛ الطبراني، المعجم الكبير، ج ٢، ص ١٠٨؛ المتقي الهندي كنز العمال، ج١٣، ص ٣٢٣.

فيها الدنانير، قال رسوله: يا محمد، إن الملك بعث إليك بهاتين الأختين وبهذه البغلة هدية وبعث بهذه الدنانير صدقة، فاقبل ما بعث به إليك، فقال له النبي: أما البغلة والأختين فإني أقبلهما وأما الصدقة فلا أقبلها لأن الله سبحانه حرم الصدقة على الأنبياء فرد عليه الدنانير.

قال ابن عباس: فاتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد الأختين سرية وهي مارية القبطية فولدت له إبراهيم، عاش سنين ثم مات /[١٦٣ظ] وأما أختها شرين فإنه وهبها رجلاً من المسلمين في أمر صلح كان بينه وبين قومه.

ذكر اختلاف النواصب[٢٣١] العثمانية[٢٣٢]

اختلف النواصب في قتل عثمان بن عفان فرقاً أربع: ففرقة قالت: قتل عثمان مظلوماً وقاتلوه ظلمة مرتدون عن دين الإسلام بقتلهم خليفة المسلمين عمداً، والله سبحانه يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾ [النساء: ٩٢] فالقوم إنما قتلوه عمداً لا خطأً، وإنما كانوا فريقين من المهاجرين والأنصار، فبعض قتل وبعض خذل، والقاتل والخاذل سواء، وكلا هذين الفريقين في النار بأن قتلوا إمام المسلمين ظلماً وعدوانا، وهؤلاء الذين قالوا هذه المقالة هم أهل الشام، وفي ذلك يقول معاوية بن صخر عند ما جاءه خبر قتل عثمان: [البحر الطويل]

أتانيَ أمْرٌ فيه للنفْسِ غُمةٌ وفيه بُكاءٌ للعُيُونِ طَويلُ

مُصَابُ أبي عمرو بن عفان هَدَّني وفيه اجتداعٌ للأُنُوفِ أَصِيلُ

تَداعتْ عليهِ بالمدينةِ عصبَةٌ فَريقانِ منها: قاتِلٌ وخذولُ

سأنْعى أبا عمْروٍ بِكلّ مهند به من فزاع الدارعين فلول

فلا نومَ حتّى تَزْجُو الخيلُ بالقنا ويُشفَى من القومِ البغاةِ غَليلُ

سَأُلْقِحُها حَرْباً عَواناً مُلِحّةً وإنّي بها منْ عامنا لكفيلُ[٢٣٣]

٢٣١ من النصب وهو المعاداة. النواصب والناصبية وأهل النصب المتدينون ببغضة وينصبون لعليّ. الفيروزآبادى، القاموس المحيط ،ج ١، ص ١٣٨؛ أبو القاسم الزمخشري، أساس البلاغة ، ج ٢، ص ٢٧٤.

٢٣٢ هم أنصار عثمان بن عفان رضي الله عنه، والمحتجون لفضله، المناضلون عنه، الدافعون مطاعن المخالفين فيه من الشيعة والزيدية وأضرابهم، عرفوا قديما بهذا الاسم، وقال الجاحظ في حكاية قول العثمانية: « ولا نقول فيه إذ كنا عثمانية وعمرية، قولكم في عمر وعثمان ». وكانت العثمانية أشد الفرق الاسلامية السياسية خلافا على علي بن أبي طالب. انظر: عمر بن بحر الجاحظ، كتاب العثمانية، ص ٥.

٢٣٣ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٧٢، ص ٧٣؛ الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ج ٣، ص ١١٣.

وقالت فرقة أخرى من العثمانية إن عثمان لم يقتل مظلوماً ولكن قتل ظالماً غير أن ظلمه لم يجب به عليه القتل لأنه قد كان نيف على الثمانين من عمره، وأهل الطب مجمعون على تغيير عقل كل من جاوز السبعين، فعثمان لما جاوز الثمانين خلط وتغير عقله ولذلك أبى أن يعدل /[١٦٣و] وأبى أن يعتزل ولم يكن للأمة أن يعرضوا لمن قد زال عقله فيقتلوه ولكن يرجى لهم وله الجنة.

وقالت فرقة من العثمانية: وهي أحمق الفرق وأقلها حياء، وهم أهل البصرة زعموا أن عثمان قتله رجال من أهل مصر ولم يعلم بقتله أحد من المهاجرين والأنصار وإنما عرفوا ذلك بزعمهم بعد ما قتلوه ثم فروا إلى مصر، وأن المهاجرين حزنوا لقتله وصلوا عليه ودفنوه.

والمسلمون مجمعون على أن المهاجرين والأنصار قتلوه نحو من ثلاثين ألف صاحب، ولكن بعضهم قتله وبعضهم خذله ولو شاء الخاذل لمنعه من القاتل.

ومن حديث بن عبد الحكيم وأشهب بن عبد العزيز وعبد الله بن نافع عن مالك بن أنس عن نافع قال: سمعت عبد الله بن عمر يقول لما قتل المسلمون من المهاجرين والأنصار عثمان بن عفان: أقامت جثته مطروحة على المزبلة ثلاثة أيام، فلما كان بعد ثلاث دفنه النساء ليلاً، طرحوه في حفرة كانت قد حفرت ليدفن فيها رجل، ثم تركوها فدفن النساء فيها عثمان.

ومن حديث علي بن حازم عن شعبة بن الحجاج عن محمد بن العجلان عن مقسم مولى ابن عباس قال: سمعت عبد الله بن عباس يقول: لما قتل المسلمون من المهاجرين والأنصار عثمان بن عفان ظل مطروحاً قتيلاً على المزبلة ثلاثة أيام وكان الصبيان يصعدون على بطنه يزخرون ويقولون:

أبا عمرو أبا عمرو رماك الله بالجمر

وألقاك من النار مكاناً ضيق القعر

فما تصنع بالمال إذا دليت في القبر /[١٦٤ظ]

وقالت فرقة أخرى وهم العوام: عثمان في الجنة، وقاتلوه في الجنة وكذلك أهل الجمل وأهل صفين، كلا الفريقين في الجنة، قاتلهم ومقتولهم، واحتجوا في ذلك بزعمهم أن النبي عليه السلام قال: يكون بين أصحابي هيهات، فيغفر الله للفريقين جميعاً

وقالت فرقة وهم الخوارج: أن عثمان نكث وخالف القرآن، ونبذ أحكامه وخالف سنة النبي عليه السلام وأظهر الأثرة وأحدث السوط كما فعل فرعون، وذلك أن السوط والعقابين إنما أحدث ذلك فرعون وهو معنى قوله: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ [الفجر: ١٠]، والعقابان هما من أوتاد فرعون، وهو أول من سنها، فلما نكث عثمان دخل في الآية حيث يقول الله: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ [الفتح: ١٠]، وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣].

فعثمان كافر لحكمه بغير القرآن ولذلك أجمع المسلمون على قتله، وقال الله سبحانه لإبراهيم صلى الله عليه وسلم: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ [البقرة: ١٢٤]، قال الله سبحانه: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]. فعثمان كافر ظالم جائر ناكث مستأثر بمال المسلمين مقصي لخيار أصحاب النبي عليه السلام مقرب لأعدائه مخالف لأحكام القرآن، ضرب عماراً وابن مسعود ونفى أبا ذر من المدينة، وآوى أليها طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما ظهر من عثمان الجور والنكث والإثرة والخيانة أجمع على قتله المهاجرون والأنصار، وفي قتل عثمان بن عفان يقول شاعر الأنصار: /[١٦٤و]

قتلنا ابن أروى بالكتّاب ولم نكن لنقتله إلا بأمر محكم

أطاع سعيداً والوليد وعمه ومروان في المال الحرام وفي الدم

وقول أبي سفيان إذ كان قائلاً وصيته في كل غي ومأثم

يقول أدر هدي الخلافة في بني أمية وأغرزها تكن خير منعم

وقد كان أوصاه بذاك ابن عامر فذاق بها من حظه كأس علقم

نعاتبه في كل يوم وليلة على هدم دين أو هضمه مسلم

فما زال ذاك الدأب ستين ليلة وستة أعوام لذا كل موسم

وقلنا له أولا لخل عن أمرنا فإنك إن تتركه نسلم وتسلم

والا فإنا قاتلوك وما دم أبى الله ألا نسفكه بمحرّم

أبت نصرة الأنصار والحي حوله قريش وهم أهل الحطيم وزمزم

وهم شهدوا بدراً وأحداً وناضلوا عن الدين والبيت العتيق المعظم

وهم أظهروا الإسلام شرقاً ومغرباً وهم نصروا دين النبي المكرم

فمن كان ذا عقل فقد بان أمره ومن كان ذا شك فقولوا تفهم

وقالت المعتزلة إن المسلمين المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، والذين أجمعوا على عقد الإمامة لعثمان وهم الذين أجمعوا على قتله، فمن زعم أو ادعا أن عثمان قتل مظلوماً فقد زعم أن المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ارتدوا عن الإسلام بقتلهم إماماً مؤمناً، والله سبحانه يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾ [النساء: ٩٢]، وعثمان إنما قتلوه عامدين غير مخطئين وإنما كانوا فريقين قاتل وخاذل، والقاتل والخاذل سواء، ولو كان قتل مظلوماً لما حل لعلي أن يقبل بيعتهم ولا سيما عمار بن ياسر ومالك بن الحارث الأشتر النخعي، و محمد بن أبي بكر، وطلحة والزبير لأنهم الذين وَلّوا قتلَ عثمان /[١٦٥ظ] وفي ذلك يقول الشاعر:

حُكَيم وعمار عدا ومحمد والاشتر والمكشوح حروا الدواهيا

بقتلهم عثمان في دار ملكه فيا ليت شعري ما الأمور وما هيا

وقد كان فيها للزبير عجاجة وطلحة يوم الدار لم يك وانيا

وقالا له لن تطعم الخير برهة ولا ألماً حقاً أو تموتن صاديا

وأما علي فاستغاث بنصرة فلا أمراء فيه ولم يك ناهيا[٢٣٤]

فقتل عثمان بإجماع من المسلمين وهي سنة في كل إمام جار وخالف حكم القرآن، فواجب على المسلمين أن يعزلوه فإن هو امتنع من العزل فقد حل لهم أن يقتلوه كما قتل المسلمون عثمان.

٢٣٤ ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص ٨٦.

ذكر قتل عثمان وما احتج به قاتلوه قبل قتله

حدثني أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو النصري، قال حدثنا سوار بن عمارة عن مالك عن أنس عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن أبي عبد الله الأغر عن صلة بن زفر قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول لرجل سأله عن قتل عثمان، فقال لهم حذيفة: إن عثمان بعّد أحكام القرآن وأظهر الإثرة لقرابته من بني أمية فأعطاهم مال المسلمين والضعفاء والمساكين، وأظهر الجور وأحدث السوط وضرب به عبد الله بن مسعود فلم يزل مريضاً حتى مات وضرب أبا ذر الغفاري ونفاه إلى الربذة وأمر بعمار بن ياسر فدبس بطنه حتى كاد أن يموت وآوى طريدي رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم بن أبي العاص وابنه مروان، وانتزع مفاتيح بيت مال المسلمين من عبد الله بن الأرقم فأخذ منه ما شاء وأمسك عنده المفاتيح ولم يردها على من أخذها منه، فعوتب فأبى إلا تمادياً في غيه.

فلما أيقن أن المسلمين من المهاجرين قد تشاوروا في قتله دخله الفَرَقُ ودعا بالناس /[١٦٥و] وتجمعوا عند رحبة كانت عند باب دراه فأشرف عليهم فقال لهم: أيها الناس علامَ يستحلون قتلي وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بعد ثلاث، كفر بعد إيمان، وزناً بعد إحصان، ورجل قتل رجلاً فقتل قصاصاً**»[٢٣٥] فما كفرت بعد إيماني، ولا زنيت بعد إحصاني، ولا قتلت نفساً بغير نفس فتستحلوا بذلك دمي، أيها الناس: أما علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجني ابنته رقية وأم كلثوم واحدة بعد أخرى، وقال: لو كان لي ثالثة لزوجتك، أيها الناس: أولستم تعلمون أني جهزت المسلمين في جيش العسرة، فما تعقدون حبلاً فضلاً عن غيره، وإن رسول الله صلى الله عليه بشرني بالجنة.

٢٣٥ مسلم، القسامة والمحاربين والقصاص والديات، ج٣، ص ١٣٠٢، (١٦٧٦)؛ ابن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، ج ٥، ص٤٥٢؛ الترمذي، الفتن، ج ٤، ص ٤٦٠، (٢١٥٨)

قال حذيفة: فأجابه عمار بن ياسر وعبد الله بن وداعة، فقال له أحدهما قبل الآخر: أما قولك يا عثمان إنك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يقتل رجل مؤمن إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، أو زناً بعد إحصان، أو قتل نفس بغير نفس» فقد سمعناه كما سمعته، ولكن إسلامنا ممتثل من القرآن، والله سبحانه يقول: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣] ولا نعلم كافراً هو أقرب منك، وقال لنبيه: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥]، وقد والله خنّث المسلمين فيما أخذته من بيت مالهم من غير إذن منهم، والله لا يهدي كيد الخائنين.

وأما قتل النفس بغير نفس، فقد قتلت نفساً بغير نفس، ووليت أخاك الوليد رقاب المسلمين، وقد قتل أنفساً وما أقدت منه، وقد سمعنا وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: /[١٦٦ظ] «من ولى أمور المسلمين رجلاً وهو يعلم في الناس خيراً منه فقد خان الله ورسوله»[٢٣٦] و﴿اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨]، وما نعلم في الناس أشر من أخيك الوليد بن عقبة، ولقد سماه في كتابه فاسقاً حين أرسل إلى بني المصطلق فأتى إلى النبي فقال له: إن بني المصطلق ارتدوا عن دين الإسلام فأنزل الله في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦]. فلقد وليته على علم منك بسيئاته ولم يحدث توبة.

وأما قولك إن رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجك ابنتيه واحدة بعد أخرى، فكنت والله في ذلك الوقت مؤمناً وأنت اليوم كافر لأنك خالفت سنة رسول الله وحكمت بخلاف ما أنزل الله، فالله سماك في كتابه كافراً.

وأما قولك إنك جهزت جيش العسرة بمالك، فإنما تمام الأعمال الصالحة خواتمها، وأما قولك إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرك بالجنة، فعلى الوفاء منك لله بما أخذ عليك لا على النكث، ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ [الفتح: ١٠] وقد قال لإبراهيم صلى الله

٢٣٦ الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ج ٤، ص ١٠٤؛ الطبراني، المعجم الكبير، ج ١١، ص ١١٤.

عليه وسلم: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قال إبراهيم: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ قال الله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

فأنت والله يا ابن عفان جائر ناكث خائن ظالم، ولقد سمعنا وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يكون مؤمنون إمامهم جائر، ولا يكون مؤمنون إمامهم ناكث، ولا يكون مؤمنون إمامهم خائن، ولا يكون مؤمنون إمامهم ظالم، وإن جور الأئمة الظلمة ليدرك الأجنة في بطون أمهاتهم، ألا فإذا جار الوالي فأعزلوه فإن امتنع فاضربوا عنقه بالسيف، ألا إذا جار الوالي فاقتلوه»، فأجمع المسلمون على قتله.

وزعمت الحشوية أن عثمان إنما طلب الشهادة وذلك بزعمهم أنه رأى النبي في منامه سقاه ماءً حتى روى، وقال له يا عثمان إنك إن تقاتل القوم تظفر بهم وتهزم /[١٦٦و] جميع من قابلك وإن تدع قتالهم وتترك مناوشتهم تفطر عندي الليلة شهيداً، فتظل معي رفيقي في الجنة إلى يوم القيامة، فزعموا أن عثمان قال لعبيد كانوا معه: من أغمد سيفه فهو حر، ومن لم يغمد سيفه فهو مملوك لا يعتق أبداً، فأغمدوا أسيافهم لما سمعوا كلامه بزعمهم، وهذا القول أغبي وقائلوه أحمق وأجهل من عثمانية البصرة الذين زعموا أن رجالاً من أهل مصر قتلوا عثمان، لأن الله سبحانه يقول في كتابه: ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١]. وقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، وقال: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، فمن قتل نفسه كمن قتل غيره، ومن ألقى بنفسه في يد عدوه فهو في النار، لأنه عصى الله وأعان ظالماً على نفسه.

ولا يعدو عثمان أمرين: إما أن يكون إماماً محقاً فكان ينبغي له أن يجاهد عدوه بما أمكنه ولا يلقي بيده إلى التهلكة، وإما أن يكون غير مستحق للإمامة فكان ينبغي له ألا يتعرض للأمة في إمامتهم فهو ظالم في الأمرين جميعاً إذا تدبرهما.

ذكر الخوارج

وأما الخوارج[٢٣٧] فهم أربع فرق: الإباضية والصفرية والأزارقة والنجدية،[٢٣٨] سوى ما يفرع من هذه الأربع، فالصفرية هم الذين يرون السبي والقتل لكل من عصى الله يقتل وينهب ماله وتسبى ذريته وهو على ظاهر الآية في قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، فالناس كلهم كفار إذا خالفوا كتاب الله، ولم يحرموا ما حرم الله ورسوله، والله سبحانه يقول: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ /[١٦٧ظ] اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٢٩]. فمن كان كذلك فهو على غير دين الحق، يرون قتله ونهب ماله وسبي ذريته.

وقالت الإباضية: سبي الذرية باطل، ونهب الأموال حرام، لا يجوز ذلك لأنهم قد شهدوا الشهادتين، أموالهم لذرياتهم ولأطفالهم ولا يحل لنا شيء من أموالهم ولكنه قد حلت دماؤهم إذ خالفوا كتاب الله ولم يحرموا ما حرم الله ورسوله، وحلت أيضاً لكونهم بغير إمام، وفي سنة المسلمين أنه لا يجوز لهم أن يكونوا ساعة ولا يبيتوا ليلة وليس عليهم إمام، وفي عهد النبي عليه السلام إلى جميع المسلمين أنه من مات وليس عليه إمام فميتته ميتة جاهلية، فإذا تركوا الاجتماع ورفضوا عقد الإمامة لرجل من المسلمين فقد ارتدوا عن دين الإسلام وعادوا إلى الجاهلية الأولى.

٢٣٧ الخوارج: يُسمون الشراة والحرورية والمحكّمة، ويرضون بذلك، والمارقة لخبر ولا يرضونه، ويجمعهم إكفار علي عليه السلام، وأصول فرقهم خمس: الأزارقة: منسوبون إلى أبي راشد نافع بن الأزرق، والإباضية: إلى عبدالله بن يحيى بن إباض، والصفرية: إلى زياد الأصفر، والبيهسية: إلى أبي بيهس، والنجدات: إلى نجدة بن عامر، وأنشأ مذهبهم عند التحكيم عبدالله بن الكوّاء، وعبدالله بن وهب، وفارقا علياً عليه السلام. انظر: ابن المرتضى، القلائد في تصحيح العقائد، ص ٤٨، مقالات الباخي، ص ١١٧-١٥٦.

٢٣٨ لمزيد من التفاصيل عن هذه الفرق حول مبادئهم ومعتقداتهم، انظر ما ذكره الاشعري في كتاب مقالات الإسلاميين، ص ٨٦-١٣١.

وقالت النجدية والأزارقة: لا يحل لمؤمن أن يشبع وجاره جائع، ولا يحل له أن يلبس وجاره عارٍ من الكسوة، وعلى الرجل الواحد من المسلمين أن يقوم بنظر في إصلاح الدين لقول الله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ﴾ [سبأ: ٤٦]. فقد فرض الله سبحانه القيام على الاثنين والواحد، فعلى الرجل المسلم إذا لم يجد إليه قائماً معه بعينه أن يقوم هو وحده ثم يدعو أقرب الناس إليه نسباً وجواراً ثم يدعوه إلى القيام بأمر الدين وإلى الحكم بكتاب الله فإن أجابه المدعوّ وإلا فليضرب عنقه بسيفه، ثم إذا وجد أحداً يجيبه ويعينه فليكفه آخر، ثم يعترض بدعايته الناس واحداً واحداً فمن أجابه أعانه ومن أبى إجابته فقد حل له ولمن قام، قتل كل من أبى القيام ونصرة الدين.

وقالت الأزراقة: لا يقومن رجل وحده دون أن يكملوا عشرين /[١٦٧و] رجلاً لقول الله سبحانه ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٥]، وقال بعضهم لا يجوز دون أربعين فإن كملوا أربعين رجلاً قاموا كما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة بأربعين رجلاً.

وقالت المعتزلة: القيام في إصلاح ذات بين المسلمين وفي إقامة الدين فريضة على كل مطيق، ولكن لا يجوز القيام إلا بعد إمام منصوب يجيبه ثلاث مائة، فإذا كملوا ثلاث مائة وثلاث عشر قاموا ودعو الناس إلى نصرة دين الله.

ذكر الإمامية

قالت الإمامية: لا يحل لأحد أن ينصر ديناً ولا أن يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر حتى يأتيهم إمام يعلم الغيب لأن الأمة ارتدت عن دين الإسلام بعد نبيها، فإذا جاء الإمام علم الناس شرائع الدين وحملهم على منهاج الهدى.

وقالت العوام: لسنا نقاتل عدواً ولا ننصر ديناً ولا علينا في قعودنا مأثم لأن رجالاً من أفاضل السلف قد قعدوا عن حرب الجمل وحرب صفين والنهروان، وهم كانوا أفضل منا وأذكى عقولاً وأخلص ديناً وأعرف بالله منا ونحن لهم أتباع وهم لنا قدوة ولنا بهم أسوة.

ذكر الرد على الخوارج

زعمت الخوارج أن علياً كفر، وأن كل من كان معه من المهاجرين والأنصار كفروا، فعلي بزعمهم إنما كانت همته الرئاسة والسفك لدماء المسلمين والله يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾ [النساء: ٩٢]، وعلي قتل المسلمين عمداً طلباً للرئاسة والناس كارهون لولايته أولاً وآخراً فقد ظهر كفره وكفر أصحابه بما ذكرناه.

قلنا لهم: إن الإنصاف أولى بكل ذي عقل، والله سبحانه /[١٦٨ظ] يقول: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩] وبالإنصاف عند المناظرة بين الخصمين يستبين الصواب كما يستبين الوجه في المرآة النقية، وسوف تسألون عن شهادتكم على إمام المسلمين وعن ما نسبتم إليه وإلى أصحابه المهاجرين والأنصار من الارتداد، قالوا: لا نشك نحن ولا أحد ممن يصلي القبلة أن من قتل نفساً بغير نفس ولا فساد في الأرض فهو في النار، فكيف من قتل فوق عشرة آلاف من المسلمين، فألزموا علياً عليه السلام الكفر وجميع المسلمين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وتبرؤوا من علي ومن ناصريه. وفي علي رضي الله عنه يقول عِمران بن حِطّان لعنه الله: [البسيط]

حَتَّى مَتَى لا نَرَى عَدْلاً نُسَرُّ بِهِ وَلا نَرَى لِبُغَاةِ الخَيْرِ أَعْوَاناً

يغشى[٢٣٩] فدرّ المرادي[٢٤٠] الذي سَفَكَتْ يَدَاهُ مُهجَةَ خَيْرِ الخلْقِ إنساناً

يَا ضَرْبَةً مِنْ تَقِيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا إلاَّ لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي العَرْشِ رِضْوَاناً

إنِّي لأَذْكُرُهُ يَوْماً فَأَحْسَبُهُ أَوْفَى البَرِيَّةِ عِنْدَ اللهِ مِيزَاناً[٢٤١]

٢٣٩ هكذا مثبوت في الأصل. فيما يظهر أن لفظ «لله» بدل «يغشى» أنسب كما في كتاب الوافي بالوفيات، ج ٢٣، ص ٥٥.

٢٤٠ المقصود من هذا عبد الرحمن بن ملجم المرادي.

٢٤١ مع اختلاف يسير في اللفظ انظر: شعر الخوارج، ص١٤٧، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٢١٥، الحور العين، ٢٠١، شرح نهج البلاغة، ج ١٣، ص ٢٤١.

فكفرت الخوارج علياً صلوات الله عليه وكفروا جميع المسلمين والمهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان. وعمران بن حطان لم يكن من الصحابة ولا من التابعين ولكنه سمع كلام الخوارج فحكى ذلك تقليداً لأن الخوارج من أصحاب علي لم يقولوا فيه بمثل هذا القول المنكر، وإنما قالوا: شككت في إيمانك حين أجبت إلى تحكيم الحاكمين ولم يقولوا له: ارتددت عن دين الإسلام وإنما أحدث التكفير لعلي النشوء الذي جاء بعد الخوارج وأظهروا قبح المقال وهذا فَرْوَة بن نوفل يقول في علي [وافر]

كرهنا أن تريق دماً حراماً وهيهات الحرام من الحلال /[١٦٨و]

وقلنا في التي حدثت مقالاً معاذ الله من قيل وقال

نقاتل من يقاتلنا ونرضى بحكم الله لا حكم الرجال

وفارقنا أبا حسن علياً فليس براجع أخرى الليالي

تركناه ولم ينقم عليه إلى يوم الحكومة جمع مال

ولا جهلاً بما يأتيه فينا ولا جبناً إذا دعيت نزال

وكان لنا رضى في كل أمر يلبيه لنا ويدعى خير وال

فحكم في كتاب الله عمرواً وذاك الأشعري أخا الضلال[٢٤٢]

فهذا يدل على أن قول عمران بن حطان إنما هو قول الخلف من الخوارج لا قول السلف.

٢٤٢ المقدسي، البدء والتاريخ، ج ٥، ص ١٣٧، عبد القاهر البغدادي الملل والنحل، ص ٦٠.

ذكر الاحتجاج على الخوارج

فإن قالت الخوارج إنما كان مهمة علي بن أبي طالب الرئاسة فلذلك سفك بعد موت النبي دماء المسلمين فكيف يكون مؤمناً وإنما كانت همته الرئاسة وقتل المسلمين والله يقول في كتابه: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣] فالعلو هو الرئاسة، والفساد قتل المسلمين وسفك دمائهم بغير حق.

قلنا لهم: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾ [طه: ٦١]، ولكن تعالوا إلى كتاب الله سبحانه فنجعله حكماً بيننا وبينكم لأنه يقول سبحانه: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠]، فتعالوا نرد جميع ما اختلفنا فيه إلى هذا القرآن كما أمرنا الله، أما قولكم إن علياً إنما كانت مهمته الرئاسة فدعوى منكم بل كانت /[١٦٩ظ] همته إقامة القرآن وإظهار الحق ونصرة دين الله.

وأما دعواكم أنه ظالم في سفكه دماء المسلمين فإنما امتثل ذلك من القرآن، لأن الله سبحانه يقول: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩]، فقد أمر سبحانه جميع المسلمين بقتال الفئة الباغية حتى ترجع إلى طاعة الله وتكف عن بغيها، وقال الله سبحانه: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٢٩] فقد فرض الله سبحانه على المسلمين قتال كل من لا يحرم ما حرم الله ورسوله مؤمناً كان أو كافراً.

وكذلك قال في المؤمنين حين أوجب قتالهم وفرض حربهم إذا هم أكلوا الربا حيث يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا

فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩]. فقد أوجب الله على إمام المسلمين حرب من أكل الربا وحرب من لم يحرم ما حرم الله ولو كان مؤمناً كما أوجب حرب الكفار من المشركين وغيرهم.

ثم نقول للخوارج: أخبرونا عن أبي بكر الصديق، هل كان إماماً مفترض الطاعة على من أطاع الله أو لا، فإذا قالوا: نعم قد كان مفترض الطاعة لأن الله سبحانه أمر بطاعة الإمام العدل ما أطاع الله لأنه يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]. فقد فرض الله على جميع المسلمين طاعة الإمام العادل وقد أجمع المسلمون من المهاجرين والأنصار على بيعة أبي بكر فعدل في القضية وقسم المال بين الناس بالسوية.

ثم نقول لهم في عمر كما قلنا في أبي بكر /[١٦٩و] فمن قولهم إن له ما لأبي بكر لأنه سلك طريقته، قلنا لهم: وكذلك يلزمكم أن توجبوا طاعة علي بن أبي طالب إذ قد أجمع المهاجرين والأنصار على بيعته ولقد عدل في الرعية وقسم المال بين الناس بالسوبة ولم يخالف حكم القرآن ولا فرق لكم بينه وبين أبي بكر وعمر.

ذكر فرق أهل الملة

فالخوارج يكفرون علياً ويكفرون المهاجرين والأنصار وكذلك العثمانية الذين زعموا أن عثمان قتل مظلوماً فكان شهيداً وكل من شهد قتل عثمان كافر، وكذلك كل من خذله أيضاً كافر وكذلك قالت الإمامية الذين يزعمون أن أبا بكر كفر وعمر وجميع المسلمين حين قدموا أبا بكر وعمر ولم يقدموا علياً وقد كفر علي أيضاً حين ترك قتال أبي بكر وقعد عن قتال عمر.

اعلم رحمك الله أن هذه الفرق الأربع من المرجئة والخوارج والنواصب والإمامية خرجوا عن دين الإسلام لأنها مخالفة لكتاب الله وإنما أخذوا دينهم عن التقليد للرجال في أمر دينهم وإنما دين الإسلام ممتثل من القرآن لأن الله سبحانه أمر بذلك بقوله: ﴿إِتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٣]. وكذلك قال لنبيه: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [الأحزاب: ٢]. ثم نهاه الله عن القبول من أقاويل الناس وحذره كلامهم فقال له: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وكذلك قال لجميع المؤمنين كما قال لرسوله وحذرهم كما حذره حيث يقول: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ﴾ [الأعراف: ٣].

فتركت المرجئة هذه الآيات البينات المحكمات واقتصروا على أحاديث الناس، وأكثر الحديث معتل متناقض]/١٧٠ظ[وجميع الحديث لا يعدو أمرين: إما أن يكون موافقاً للقرآن، فالقرآن مستغنٍ عنه وإما أن يكون مخالفاً للقرآن فهو باطل لأن النبي صلى الله عليه قال: «ما جاءكم عني فأعرضوه على كتاب الله»[٢٤٣]

٢٤٣ سبق تخريج هذا الحديث فيما مضى

ذكر الاحتجاج على الفرق الأربع

فإن قالت المرجئة والخوارج أو النواصب العثمانية المجبرة والإمامية: فما دينكم أنتم وما مذهبكم وما الحجة لكم في تصويب اعتقادكم إذا أوجبتم علينا الكفر وأنتم بزعمكم المؤمنون؟

قلنا: أما نحن فعلى مناظرة من اعتقادنا وعلى يقين من صحة مذهبنا وأنتم لنا شهود على صدق ما نقول وعلى صواب ما نعتقد وذلك أن علم العباد إنما هو مكتسب بالعناية والطلب والاكتساب وهو ينقسم ثلاثة أقسام: أولها ما أدركه الناس بعقولهم كالتأثير الشاهد على مؤثرة كالصناعات يشهد العقل أن لها صانعاً، والعقل هو أكثر دركاً وأثبت من المشاعر لأنها لا تدرك شيئاً حتى يثبته العقل كالإنسان يكون بينك وبينه معرفة واتصال فيغيب عنك دهراً وتغيب عنه ثم تلقاه فلا تعرفه بحواسك حتى يثبته العقل.

والباب الثالث من الاكتساب فهو معرفة الخبر المجتمع عليه بلا اختلاف، وهو ينقسم ثلاثة أقسام فمن ذلك القرآن الذي أنزله الرحمن وأنزل فيه البيان تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة لقوم يوقنون، والقسم الثاني: السنة الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والثالث هو ما أجمع عليه المسلمون.

ذكر الاحتجاج من القرآن

قال الله سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمّد: ٢٤])، ثم قال: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا /[١٧٠و] عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ [النحل: ٨٩]. فلما تدبرنا القرآن تبين لنا إلحاد من عَنَد عن القرآن، ومن أراد الحيادة عن دين الإسلام، قال الله سبحانه حين ذكر محمداً رسوله وأصحابه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾ [الفتح: ٢٩] يعني صفتهم في التوراة، فقال لهم ﴿النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، ثم وصف الله سبحانه أصحاب محمد في التوراة بالرحمة بينهم والشدة على الكفار والركوع والسجود ثم قال: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩].

فكفّرت النواصب والخوارج والروافض مَن هذه صفتُه، وقد أجمع المسلمون أن علياً وأبا بكر وعمر وعثمان هم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وهم داخلون في هذه الصفات، وكذلك أجمعوا على عقد الولاية لأبي بكر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم كذلك في عمر ثم لعثمان، فلما نكث أجمعوا على قتله كما أجمعوا على بيعته. ثم أجمعوا على عقد الإمامة لأبي الحسن رضي الله عنه وصلى عليه حتى نكث عليه طلحة والزبير وعائشة ومعاوية بن صخر وعمرو بن العاص وأهل النهروان من الخوارج، فأول من ظهر منه النكث طلحة ثم عائشة والزبير ثم معاوية بن صخر، وعمرو بن العاص ثم الخوارج /[١٧١ظ] فهؤلاء الذين أجمع المسلمون على نكثهم.

ذكر الاحتجاج على الإمامية

فإذا قلنا للإمامية: أليس قد أجمع المسلمون على عقد الإمامة لأبي بكر بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم وقد بايعه علي بن أبي طالب والعباس؟ قالوا: بايعه علي كارهاً مغلوباً قد طرحوا في عنقه حبلاً وأتي به يقاد ذليلاً لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فبايع مخافة القتل، ألم تسمع قول جعفر بن عفان الطائي حيث يقول:

أتبكي لحوراء المدامع طفلة لطيفة طيِّ الكشح طيبة النشر

وينسى عليا حين سِيق ملبياً وقيل له بايع عنيفاً أبا بكر

قلنا لهم: بيعة علي مع المهاجرين والأنصار لأبي بكر إجماع، وقولكم أنه بايع مكرهاً دعوى منكم حتى تأتوا بالبينة، وكذلك قلنا لهم في عمر، فقالوا بايع أيضاً عمر قهراً وقسراً، قلنا لهم: فلِمَ زوّجه ابنتَه وهو عنده كافر، قالوا: قد كانت آسية عند فرعون، وهو كافر وهي مؤمنة وكذلك كانت ابنة علي تحت عمر بن الخطاب، قلنا لهم: قد أجمع المسلمون وأجمعتم أنتم معهم أن علياً قد بايع عمر كما بايع أبا بكر وزوج ابنته من عمر.

ثم ادعيتم على عمر الكفر فعليكم أن تأتوا بالبينة على دعواكم، ثم رووا أن علياً قال بزعمهم: لم أزل مظلوماً منذ ولدت إلى يوم الناس هذا ولقد أصاب أخي عقيلاً رمد، فقال الطبيب: أكحلوه بالصَبِر والمر، فلما أرادوا أن يكحلوا عقيلا حلف ألا يكحلوه حتى يكحلوا علياً قبلي فكانوا يكحلونني وأنا صحيح العينين، وكذلك أرسل إلي جبريل بالرسالة /[١٧١و] فأعطاها محمداً وتركني، فوصى لي بها محمد فأبى عليّ ذلك ابن أبي قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ورجال من المهاجرين والأنصار وعائشة حتى طمع معاوية في اهتضامي فقاتلته بمن أطاعني هو، وفي وصية النبي صلى الله عليه يقول الشاعر وهو العلاء بن سعد:

وإليك من بعد النبي محمد من ذي المعارج تنزل الأخبار

فزعمت أن الوحي كان ينزل على علي بعد موت النبي صلى الله عليه، وفي رواية لهم أخرى: أنه كان في رأس علي غور، فإذا نزل المطر امتلأ ذلك الغور فكان يشرب هو حتى يروي وكان يسقي أصحابه وهذا مديح يمدحون به علياً بزعمهم. وفي رواية أخرى: أن علياً رضي الله عنه كسرت يده إذ أتى أن يبايع أبا بكر، فكيف قاتل أهل الجمل وأهل النهروان وأهل صفين وكان زَمِناً بزعمهم.

ذكر فاطمة وقصة فدك

وروت الإمامية عمن وثقوا به أن أبا بكر انتزع فَدَكاً من فاطمة صلى الله عليها وأن فاطمة خرجت حتى دخلت المسجد وخطبت على رؤوس المهاجرين والأنصار بزعمهم، فبكوا لها زعموا رقة ورحمة وقعدوا عنها ولم ينصروها، وزعموا أن قُنْفُذاً عبد لأبي بكر[244] ركلها برجله لما أرادت الخروج من المسجد وضغطها في وسط الباب حتى ألقت جنيناً سموه محسناً،[245] والله سبحانه يقول لأزواج النبي صلى الله عليه : ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩]. وهم أنكروا التبرج على عائشة ولم ينكروه على خير نساء العالمين، وهل كان علي يستجير أن يقعد هو /[١٧٢ظ] في البيت ثم تخرج امرأته تخطب على الناس والله سبحانه يقول: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣٤]، فلو أن أحداً أراد الوقيعة في علي وفي ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى والخوارج والمبغضين لأهل البيت ما زادوا على هذا القول المحال الزائف وهم ينكرون التبرج على عائشة، ولو أن رجلاً من تجار السوق خرجت زوجته إلى مسجد الجامع في زماننا هذا لكان فضيحة وضحكة في الناس.

وقد حدثني الحارث عن أبي أسامة عن يزيد بن مروان، قال: حديث فدك وخروج فاطمة ابنة رسول الله إلى المسجد إنما هو كلام وضعه شيطان الطاق من الروافض، ولو كان ذلك حقاً لما كان يصح لنا من دين الإسلام شيء، لأن فدك ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ

٢٤٤ هو غلام عمر بن الخطاب، وذكرت مصادر أخرى أنه غلام أبي بكر بن أبي قحافة.

٢٤٥ يرى الشيخ أبو علي أن لا أصل لرواية ضرب فاطمة. راجع:القاضي عبد الجبار، المغني ، ج /٢٠، ١، ص ٣٣٠.

أهل الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الحشر: ٧]، ثم قال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ﴾ [الحشر: ٨] ففاطمة صلى الله عليها في فدك كغيرها من المسلمين لأن أرض فدك إنما كانت من المفتوحات لجميع المسلمين في فدك وخيبر وغيرهما من الأرض المفتوحة سواء، هي لجميع المسلمين لأنه لم يكن للنبي صلى الله عليه بأرض فدك قرابة ولا وراثة، إنما كانت له ضِيَعٌ بمكة التي صارت إليه من زوجته خديجة، ثم أنفق ذلك على أصحابه حتى أفاء الله عليه فكان يأخذ الأخماس من الغنائم ثم ينفق منها على أزواجه وعلى صلته من بني هاشم وعلى بني عبد المطلب وكان يرد الفضلة في بيت مال المسلمين، فيعطي منه للأيتام والمساكين وابن السبيل كما أمره الله سبحانه، وإنما يقبل خبر فدك /[١٧٢و] وضرب فاطمة أهل الجهل بالقرآن ومن لا تمييز له ولا علم عنده لأن الجهال إنما يأخذون دينهم تقليداً عن أفواه الرجال فهم لا يعلمون ولا يعلمون أنهم لا يعلمون، فإذا تدبر ذو العقل القرآن ثم نظر في الأخبار التي وضعها أهل الإلحاد تبين له الحق من الباطل لأن الله سبحانه يقول: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨].

ذكر حديث المهدي والسفياني

حدثني إبراهيم بن أحمد الواسطي[٢٤٦] عن يزيد بن هارون عن سليمان بن مهران قال جابر سلمة بن كهل بحديث المهدي فقال لي: أبا سليمان زوّرتَ هذا الحديث قلت: لا والله ولا سمعته قبل يومي هذا فتشاوروا فيه فاخبرهم الربيع الحاجب و يزيد بن مزيد قالا: أبو جعفر وضعه ليلة قتل فلانا وفلانا وفلانا رجل مِن أهل البيت فلما شاع الحديث في الناس أيقنوا أنه إنما أراد به أبو جعفر بعض الناس لأهل البيت لأنه زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «**لو لم يبق مِن الدنيا الا يوم واحد لمدت الدنيا ذلك اليوم حتى يخرج رجل مِن ولد علي ملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً يصلي بِعيسى بن مريم وأنه ينبئ الناس بالغيب وأنه لا يقتل ولا يجرح إلى أحد مِن أصحابه**»،[٢٤٧] فقبل هذا الحديث المحال مَن لا رأي له ولا تمييز عنده ولن يعلم الغيب إلا الله والله سبحانه يقول: ﴿**مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي**﴾ [آل عمران: ٧٩] ولو قال هذا القول رسول الله عليه السلم لما أجابه إلى دين الله أحد

وحدثني إبراهيم بن أحمد عن محمد بن سوقة عن يعلى بن عمرو قال: /[١٧٣ظ] حديث السفياني إنما وضعه خالد بن يزيد بن معوية بن صخر عليهم لعنة الله أجمعين وإنما وضعه مما حكمه على عبد الملك بن مروان لكيلا يقطع رجال أهل الشام مِن ذكر آل أبي سفيان والشيع في حديث السفياني أكثر عند الغَوْغَاء وأفشى مِن حديث المهدي

٢٤٦ إبراهيم بن احمد بن مروان أبو إسحاق الواسطي قدم بغداد، وحدث بها، وذكرعثمان بْن مُحَمَّد بْن بشر السقطي أنه سمع منه في سنة خمس وثمانين ومائتين. قال ابن حجر العسقلاني: مات قبل التسعين ومائتين. قال الخطيب: ذكر أبو عبد الله بن البيع أنه سمع الدارقطني يقول: إبراهيم بن أحمد بن مروان ليس بالقوي. وقد يحدّث عنه الطحاوي. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٦، ص ٤٩٠، ابن حجر العسقلاني. لسان الميزان، ج ١، ص ٢٣٢؛ الطحاوي شرح مشكل الآثار، ج ٢، ص ١٠، ٢٤٣، ٢٦٣؛ ج ١١، ص ٢٠٠.

٢٤٧ الطبراني، المعجم الكبير، ج ١٠، ص ١٦٦؛ أبو داود، كتاب المهدي، ج٦، ص ٣٣٧، (٤٢٨٢)؛ ابن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، ج ٧، ص ٥١٣؛ الترمذي، الفتن، ج ٤، ص ٥٠٥، (٢٢٣٠ - ٢٢٣٢)

ذكر وفاة النبي صلى الله عليه وسلمَ تسليماً

حدثني موسى بن كثير[٢٤٨] قال: حدثني إسماعيل بن عُليّة[٢٤٩] عن إبراهيم بن أبي عبلة عن محمد بن المنكدر قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: لما مرض رسول الله صلى الله عليه المرضة التي مات فيها، أقام مريضاً ثمانية أيام لم يخرج من بيته إلى الناس، وأمر أبا بكر يصلي بالناس في تلك الأيام، فلما كان اليوم التاسع، وجد خفة وسط للخروج فخرج من بيته متوكئاً على رجلين أحدهما الفضل بن عباس والآخر علي بن أبي طالب، فدخل المسجد وصلى بالناس صلاة الفجر، فأخف الصلاة وكان أبو بكر قد دخل المحراب ليصلي بالناس، فلما أحس برسول الله قهقر حتى دخل في الصف، وصلى بهم رسول الله عليه السلام صلاة خفيفة، فلما سلم التفت إلى الناس فوعظهم وحذرهم الفتن وقال لهم: لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا وإني قد خلفت فيكم واعظين أحدهما ناطق والآخر صامت، فالواعظ الناطق هو القرآن، امتثلوا إسلامكم منه، فقد حذركم الله فيه وأنذر وبيّن لكم وفسر حتى ما تأتون خطيئة عن جهالة ولا تخالفون الحق من تقصير بيان /[١٧٣و].

فلا يرجون أحدكم إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه ولا يلومن إلا نفسه، وقد مكنكم الله في الأرض وجعل لكم الأسماع والأبصار والأفئدة، فلا تعموا عن الحق وأنا أخاف عليكم ما

٢٤٨ هو أبو عمران موسى بن سهل بن كثير بن سيار الوشاء الحرفي البغدادي، حدث عن إسماعيل ابن علية و يزيد بن هارون وآخرون. مات أول يوم من ذي القعدة سنة ثمان وسبعين ومائتين ببغداد. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٣، ص ١٤٩-١٥٠، الأنساب للسمعاني، ج ١٣، ص ٣٤٤-٣٤٣، ابن العماد العكري، شذرات الذهب، ج ٣، ص ٣٢٤.

٢٤٩ إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم، الكوفي الأصل، المشهور بابن علية، وهي أمه. ولد سنة مات الحسن البصري سنة عشر ومائة، توفي في ذي القعدة سنة ثلاث وتسعين ومائة عن ثلاث وثمانين سنة، وهو والد إبراهيم بن إسماعيل بن علية المتكلم، وحماد بن إسماعيل، ومحمد بن إسماعيل قاضي دمشق. روى عنه: ابن جريج، وعلي بن المديني، وأحمد بن حنبل، خاتمتهم موسى بن سهل بن كثير الوشاء، وهو آخر من روى عنه. انظر: الذهبي، سير أعلام، ج ٩، ص ١٠٧-١٢٠، المزي، تهذيب الكمال، ج ٣، ص ٢٣-٣٣.

تأتونه خطأ، ألا وإني سألت اليهود فإذا هي تكذب على موسى وهارون وداود وسليمان، ثم سألت النصارى فإذا هي تكذب على عيسى بن مريم ولست آمن رجالاً ينتحلون دين الإسلام ثم يكذبون عليَّ بما لم أقل ولم أفعل.

ألا وما جاءكم عني من حديث أو خبر وكان موافقاً للقرآن فذلك صحيح عني فاقبلوه واعملوا به، وما جاءكم من حديث أو خبر، وكان مخالفاً للقرآن فلا تقبلوه فقد كذب عليَّ ويقول على لساني، ألا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا إخواناً في الله أجمعين، ألا وإنما يزيل الله عن عبده النعمة وينزل به النقمة إذا حسد من فوقه واحتقر من دونه، ألا ولا تنازعوا الأمر أهله، ألا ولا تخصوا البهائم واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم من عبيدكم، ألا فأطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون، ألا ولا يغتب بعضكم بعضاً وليرحم بعضكم بعضاً، ألا وكونوا يداً واحدة على الظالم حتى نفاه.

ألا ومن سره أن يكون رفيقاً معي في الجنة ودار المأوى، وعين الفردوس في جنات عدن مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، فلا يشذن عن الجماعة ما داموا على الحال التي أفارقهم عليها، وليتعلم القرآن وليتدبر آياته وليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر ولا ينازع الأمر أهله، قال جابر: ثم خرج متوكئاً بين أسامة بن زيد والفضل بن العباس /[١٧٤ظ] ففرح الناس أجمعون، ثم دخل منزله واشتد ما به آخر النهار ومات وكان هذا آخر ما تكلم به ثم قال قبل موته: الصلاة وما ملكت أيمانكم ثم طفى، صلى الله عليه وعلى أهله وسلم.

ذكر ولاية أبي بكر

حدثني أحمد بن داود المكي قال حدثنا عمرو بن خالد عن عمرو بن دينار عن عطاء بن يسار، قال: سمعت عبد الله بن عباس يقول: لما مات رسول الله صلى الله عليه وعلى أهله وسلم تولى غسله أربعة نفر، عمه العباس وعلي بن أبي طالب والفضل بن العباس وشقران عبد النبي صلى الله عليه وسلم فكان شقران يستقي الماء وكان العباس يسكب الماء وكان الفضل يمسكه وكان علي يغسله وكان المهاجرون مجتمعين يبكون، بعضهم في البيت جلوس، وبعضهم في المسجد وكان أبو بكر وعمر وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعيد بن زيد وعثمان بن عفان وسعد بن مالك، وأنا معهم في البيت.

فبينما نحن في تلك الحال إذ سمعنا صوتاً ورجة في المدينة إذ جاءنا بشير بن سعد الأنصاري، فقال لمن في البيت: أجلستم في البيت والناس قد قدموا سعد بن عبادة أميراً، وقد بايعه بعض الناس، فقال أبو بكر لعلي وللعباس أن غسل النبي لن يفوتكم ولكن انظروا فيما قال بشير، فقال العباس لعلي بن أبي طالب: صدق أبو بكر يا ابن أخي، ولكن اذهب أنت وأبو بكر وعمر واشهدوا ما يفعل القوم، فلن نأمن أن يعقدوا لسعد بن عبادة البيعة وإما أن نبايع الأنصار على ما لا نرضى، وإما أن نخالفهم فلا نأمن أن يقع الفتنة مع الخلاف، فقال علي: أعوذ بالله من الكفر بعد الإيمان، ومن زوال النعمة بعد الإحسان.

ثم قال علي والعباس لأبي بكر ولعمر ولعثمان ولمن معهم من /[١٧٤و] المهاجرين: اذهبوا فتداركوا إصلاح الأمر قبل الفوات، قال ابن عباس: فذهب أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وابن عوف وسعد بن مالك، وسعيد بن زيد، ومن تبعهم من المهاجرين، فإذا الخزرج مجتمعون في سقيفة بني ساعدة، قد أخرجوا سعد بن عبادة مريضاً وأقعدوه بين وسادتين،

فلما أن بصرت الخزرج بالمهاجرين، أفرجوا لهم حتى قعدوا، فقال المهاجرون: ما هذا الحدث الذي أحدثتم علينا يا معشر الخزرج، ورسول الله صلى الله عليه لم يدرج في أكفانه وأنتم الأنصار الذين أثنى الله عليهم بالإيواء لرسوله والنصرة لدينه، أن أحدثتم بيعة لم يشاورونا فيها، والله يقول سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، قال: فسكتت الخزرج ولم يحيروا جواباً.

قال ابن عباس: وذهب عمران بن الحصين إلى الأوس فقال لهم: يا معشر الأوس: أترضون أن تكونوا أذناباً وأتباعاً وسوقة للخزرج، فقالت الأوس: والله لا نرضى بذلك، فما المذهب يا ابن الحصين؟ قال: فإن الخزرج قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة ليعقدوا الإمامة لسعد بن عبادة وقد بايعه بعضهم، قال ابن عباس: فعادت الأوس حتى أتو السقيفة والناس في لغط شديد ورجة وازدحام، فصاح صائح: قبلتم سعداً قبلتم سعداً، وصاح أيضاً رجال من الأوس ألا قبل الله سعداً، ثم صاح المهاجرون ألا اسكنوا

فلما سكن بعض فورتهم وقل اللفظ تكلم عبد الرحمن، فقال: يا معاشر الأنصار! لكم الشرف القديم والسبق إلى الإسلام مع المهاجرين، وأنتم المذكورون في القرآن بالإيواء لرسوله والنصرة لدينه ثم أنتم اليوم /[١٧٥ظ] تختلفون وقد نهاكم الله عن الاختلاف وأمركم بالائتلاف، وبالأمس كلمكم رسول الله صلى الله عليه وقال لنا ولكم: لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، وقال: لا تنازعوا الأمر أهله، وهذا الأمر إنما هو في المهاجرين دون الأنصار لأن الله قدمهم عليكم حين بدأ بذكرهم في القرآن،

فقام الحباب بن المنذر بن الجموح، فقال: يا معشر المهاجرين: فنا أمير ومنكم أمير. قال ابن عباس: فصاح بشير بن سعد وعمران بن الحصين الخزاعي على الحباب وقالا له: مالك فض الله فاك، أتعترض على المهاجرين وهم أولى بالأمر من الأنصار؟ وقالت الأوس: يا معشر بني عمنا: إن أبيتم إلا التمادي في اللجاج فنا أمير ومنكم أمير، ولكن دعوا الاعتراض على المهاجرين فهم أولى بالأمر منا ومنكم لأن الله سبحانه قدمهم في كتابه علينا وعليكم بقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فلما سمعت الخزرج قول الأوس حذروا الفتنة وقالوا: يا معاشر الأوس: لا منا ولا منكم، المهاجرون أولى بالمقدمة وأحق بالإمامة لأن الله قدمهم في كتابه، فولوها رجلاً منكم يا معاشر المهاجرين، قال ابن عباس: فاستوروا فقالوا: إن أبا بكر قد رضيه رسول الله لصلاتكم فقدموا من قدمه رسول الله صلى الله عليه، فصاح المسلمون أجمعون من المهاجرين والأنصار: ألا وقد رضينا، ألا وقد رضينا، قال ابن عباس: فقام عمر وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وطلحة والزبير فبايعوا، وبايعت الأوس والخزرج إلا من غاب منهم.

حدثنا أحمد بن داود المكي قال: حدثنا عمرو بن خالد عن عمرو بن دينار عن عطاء بن يسار، قال سمعت عبد الله بن عباس يقول: شهدت المهاجرين والأنصار يوم السقيفة حين بايعوا أبا بكر، وانصرفت عنهم والناس يبايعونه حتى دخلت بيت /[١٧٥و] رسول الله صلى الله عليه، فإذا هو مدرج في أكفانه مُسَجًّا وأزواجه يبكين حوله فسمعت عائشة تقول: لو استقبلتُ من الأمر ما استدبرتُ ما تولى غسل رسول الله غير أزواجه.

قال: فخرجت من البيت فسألت شقران عن علي وعن أبي العباس والفضل، فقالا لي: ذهبوا يطلبون الحفّارين ليحفروا القبر، قال ابن عباس: فدخلت المسجد فإذا فيه أبي العباس، وأخي الفضل وعلي بن أبي طالب، فقالوا لي: هل شهدت السقيفة وما فعل القوم؟ فقلت لهم: نعم وأخبرتهم ببيعة الناس لأبي بكر، فقالوا : الحمد لله رب العالمين، وجاء أبو بكر في ملأ من المهاجرين والأنصار، فدخلوا المسجد فقام إليه العباس وعلي فقالا: الحمد لله الذي أطفأ النائرة وسكر الفورة، ثم قال العباس: مد يدك يا أبا بكر حتى أبايعك فبايعه العباس، ثم قال له علي: مد يدك فبايعه على السمع والطاعة، وجعل أبو بكر يقول: ما أطعت الله، فإن عصيت الله فلا طاعة لي على أحد من الناس، فكلما بايعه أحد من الناس قال: عليك السمع والطاعة لي ما أطعت الله، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»،[٢٥٠] قال الحباب بن المنذر في ذهاب عمرو بن الحصين إلى الأوس وذهاب بشير بن سعد إلى المهاجرين: [من الطَّويل]

[٢٥٠] ابن أبي شيبة، المصنف، ج ٦، ص ٥٤٥؛ الترمذي، الجهاد، ج ٤، ص ٢٠٩ (١٧٠٧).

سعى بن حصين في الفساد لجاجة وأسرع منه في الفساد بشير

يظنان أنا قد آتينا عظيمة وخطيهما فيما يراد صغير

وما صغرا إلا بما كان منهما وخطيهما لولا الفساد كبير

ولكنه من لا يراقب قومه قليل ذليل فاعلمن وحقير /[١٧٦ظ]

فيا ابن حصين وابن سعد كلاكما بتلك التي تعني الرجال خبير

ألم تعلما لله درّ أبيكما وما الناس إلا أكمه وبصير

بأنا وأعداء النبي كأننا ليؤتي لها بالعينين زئير

نصرنا وآوينا النبي محمداً وما أن له بالمكين نصير

فديناه بالآباء بعد نفوسنا وأموالنا والمشركون حضور

وكنا له في كل أمر يريبه سهاماً حداداً ضمهن حفير

فيا ابن حصين وابن سعد تسمعا فقد حاش مني في الفؤاد ضمير

أكان عظيماً أنني قلت منهم أمير ومنا يا بشير أمير[٢٥١]

حدثنا أحمد بن داود عن عمرو بن خالد عن عمرو بن دينار عن عطاء بن يسار، قال: سمعت عبد الله بن عباس يقول: لما بلغ أبا سفيان بيعة الناس لأبي بكر قال هذه الأبيات، وبعث بها إلى علي عليه السلام:

أبا حسن لا يطمع الناس فيكم ولا سيما تيم بن مرة أو عدي

فما الأمر إلا فيكم وإليكم وليس لها إلا أبو حسن علي

أبا حسن فاشدد بها كفّ حازم فإنك بالأمر الذي يرتجي ملي[٢٥٢]

٢٥١ الواقدي كتاب الردة، ص ٣٨، نشوان الحميري، الحور العين، ص ٢١٣.

٢٥٢ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٥، ص ١١، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٦، ص ١٧-١٨.

فلما قرأها علي ضحك، وقال: ألا إن نحبهن ضميراً، قال ابن عباس: وذهب أبا سفيان إلى علي بن أبي طالب مسلماً عليه بعد ما بويع أبو بكر وجعل أبو سفيان يقول لعلي: يا أبا الحسن: أترضى بنو عبد مناف أن تكون أتباعاً وأذناباً وسوقة لبني تيم بن مرة، فقال علي: لم تزل مكايداً أبا سفيان لدين الإسلام في جاهليتك /[١٧٦و] ثم أردت أن تكايده بعد إسلامك، ثم تلى علي هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨]، فلما سمع أبو سفيان كلام علي جعل يقول: ألا إن بني هاشم أولى بالإمامة من بني تيم بن مرة، فمن شاء فليغضب ومن شاء فليرض، فقال له العباس: أبا حنظلة ليس منك هذا القول بنصيحة لأن الله أمرنا بالاجتماع، ونهانا عن الافتراق، وحرم علينا الاختلاف وفرض علينا الائتلاف.

ذكر الصلاة على النبي عليه السلام لما مات

حدثني الحارث بن أبي أسامة[٢٥٣] ببغداد قال: حدثنا يزيد بن هارون[٢٥٤] عن سليمان بن مهران عن أبي الزبير قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: لما غسل رسول الله وأدرج في أكفانه خرج علي بن أبي طالب والعباس، فقعدا في المسجد وانصرف الناس من سقيفة بني ساعدة بعد ما بويع لأبي بكر، دخلوا مسجد النبي عليه السلام وفيه ملأ من المهاجرين والأنصار ودخل أبو بكر المسجد فدعاه العباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب، فبايعاه ثم قالا له: قدم فصل على رسول الله، فأبى أن يصلي بالناس وقال: لست أصلي بالناس حتى تجتمع كلمتهم لأني سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول: من صلى بالناس وهم كارهون لصلاته فلا صلاة له ولا لهم، وإن رجالا من الأنصار قد كرهوا البيعة إلا لسعد بن عبادة وقد مالوا إليه ولست آمن سعداً أن يداهن، قال جابر: فلما سمع علي والعباس ومن معهم من المهاجرين ما /[١٧٧ظ] قال أبو بكر قدموا رسول الله صلى الله عليه فصلوا عليه فرادى بغير إمام ولا جماعة.

ثم دفنوه في بيته، فلما كان بعد ثلاث، أرسل أبو بكر في المهاجرين والأنصار فلما اجتمعوا في المسجد قام فحمد الله وأثنى عليه ثم تلى هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ

٢٥٣ هو الحارث بن محمد بن أبي أُسَامَةَ داهر، أبو محمد التيمي البَغداديّ. مسند بغداد في وقته. وُلد سنة ستّ وثمانين ومائة، توفّي في يوم عرفة سنة اثنتين وثمانين ومئتين. الذهبي، تاريخ الإسلام، ح ٦، ص ٧٣١، الصفدي، الوافي بالوفيات، ح ١١، ص ٢٠١.

٢٥٤ هو يزيد بن هارون بن زادي، أبو خالد السلمي، الواسطي. مولده في سنة ثمان عشرة ومائة، المتوفى في سنة ست ومائتين في خلافة المأمون بواسط. وهو ابن تسع أو ثمان وثمانين سنة. يذكر المصادر انّ الحارث بن أبي أسامة بين اللذين حدث عنه. انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ح ٩، ص ٣٥٨-٣٧١، المزي، تهذيب الكمال، ج ٣٢، ص ٢٦٩-٢٦١

شيئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ثم قال: ألا إن في الله خلفاً من كل هالك، ودركاً لما فات، ولقد نعى الله سبحانه إلينا رسوله قبل موته ونعى إلينا أنفسنا حيث يقول: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

وقد بلغني يا معاشر المهاجرين والأنصار أن رجالا منكم كارهون لبيعتي وإنما أنا رجل من المسلمين، لي ما لهم وعلي ما عليهم فمن كان منكم كارهاً لبيعتي فليعلمني ذلك فإن الله لا يستحيي من الحق، ألا وإن لا يحل لي قبول بيعتكم إلا برضا من عامتكم واتفاق من جماعتكم، فأقيلوني ولا ترهقوني فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من أراد أن يتأمر على المسلمين عن غير مشورة منهم ورضى من جماعتهم فاقتلوه كائناً من كان، قال جابر: فقام إليه علي بن أبي طالب أول الناس، فقال له: كلا والله لا نقيلك ولا نستقيلك أمراً قد تقرر في موضعه، وعروه وافقت علقا.[٢٥٥]

حدثني موسى بن كثير الوشا قال حدثنا إسماعيل بن علية عن محمد بن شهاب، قال سمعت سعيد بن المسيب يقول: لما ماتت فاطمة بنت رسول الله تزوج علي أمامة بنت أبي العاص بن الربيع. /[١٧٧و]

حدثني ابن أبي مريم قال حدثنا أشهب بن عبد العزيز[٢٥٦] عن مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن أسلم مولى عمر وسعيد بن المسيب، قال: سمعتهما يذكران عمر بن الخطاب أنه لم يزل يعفو أثر رسول الله صلى الله عليه متبعاً لسنته، يحكم بالقرآن لا يخالفه ويتمثل أفعال أبي بكر في التفقد لأمور المسلمين وأغنى فقرائهم وسد ثغورهم حتى عدا عليه عبد رومي يسمى أبا لؤلؤة وطعنه وهو قائم يصلي في المحراب بالناس صلاة الفجر ثم خرج العبد وأراد رجال أحده فخرج منهم عدواً فانصرف عمر إلى منزله فدعا بلبن فشربه فخرج اللبن من الجراحات

٢٥٥ هكذا مبتورة في النسخة ما ظهر لنا ما المراد منه

٢٥٦ هو أشهب بن عبد العزيز بن داود بن إبراهيم، مفتي مصر، يقال: اسمه مسكين، وأشهب لقب له . مولده سنة أربعين ومائة، ومات بمصر سنة أربع ومائتين بعد الشافعي بشهر. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٩، ٥٠٠-٥٠٣؛ ابن الأثير، التتمة جامع الأصول في أحاديث الرسول، ج ١٢، ص ١٨١.

وأيقن الموت وأقام ثلاثاً ثم مات، ولما طعن أبو لؤلؤة عمر غدا عبيد الله بن عمر على الهرمزان فقتله فقال عمر للناس: أليس أبو لؤلؤة هو الذي طعنني؟ قالوا نعم، قال عمر: فما بال الهرمزان يقتل وقاتلي غيره، فقال عمر: إنا لله وإنا إليه راجعون، إن شراً من المصيبة سوء الخلف منها ثم قال لعبده: ائتني بالسيف وائتني بعبيد الله لكي يقتل بقتله الهرمزان قبل أن أموت فألقى الله وليس علي بيعة بدم رجل قتله ابني ظلماً وعدواناً، فلما بلغ عبيد الله قول عمر خرج عن أرض الحجاز هارباً فلم يدخل المدينة إلا في ولاية عثمان بن عفان.

تم ذلك بمن الله وتوفيقه، والحمد لله على نعمه، وصلواته على رسوله سيدنا محمد وأهله وسلامه.

/[١٧٨ظ]

فهرس الأعلام

أ

ب

ث

ج

ح

ف

ق

ل

ل

ن

ه

و

ي

أسماء الأماكن

ص

ع

ف

ق

ك

ل

م

ي

أسماء الأديان والمذاهب

ا

ب

م

ن

المصادر والمراجع

أخبار أصبهان، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، المحقق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠ هـ-١٩٩٠م.

أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي، المحقق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة الأسدي، بيروت، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، المحقق: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

أسد الغابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، ابن الأثير دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

الاشتقاق، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

الأعلام قاموس تراجم، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢ م.

إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني العبيدي تقي الدين المقريزي، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

أنساب، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، المحقق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م.

أنساب الأشراف ، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري المحقق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

البدء والتاريخ، المطهر بن طاهر المقدسي، مكتبة الثقافة الدينية، بلا تاريخ.

البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، دار الفكر، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.

البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم سليمان البحراني، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، ١٩٨٣ م.

تراجم الرجال في شرح الأزهار، احمد بن عبدالله الجنداري، صعدة مكتبة التراث الإسلامي، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، المحقق: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣ م.

تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.

تاريخ مدينة السلام (تاريخ بغداد) وذيله والمستفاد، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، المحقق: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

تاريخ بيت المقدس، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المحقق: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، مصر-القاهرة، بلا ت.

تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي ابن عساكر، المحقق: محب الدين أبي سعيد عمرو غرامة العمري، دار الفكر، بيروت - لبنان ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، أبو سليمان الربعي، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

تأويل مختلف الحديث، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، المحقق: محمد محي الدين الأصفر، المكتب الإسلامي - المؤسسة الإشراق، بيروت - قطر، ١٤١٩ هـ -١٩٩٩ م.

التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي محمد بن الحسن، المحقق: آغا بزرك الطهراني، بيروت: احياء التراث العربي، بلا تاريخ.

تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار بن أحمد لأسدآبادي، المحقق: عبد الكريم عثمان، بيروت: دار العربية، ١٩٦٦م.

تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح شمس الدين القرطبي، المحقق: الصادق بن محمد بن إبراهيم، دار المنهاج، الرياض ١٤٢٥هـ.

تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، المحقق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

التفسير الكبير، فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ هـ.

تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى، المحقق: عبد الله محمود شحاته: دار إحياء التراث - بيروت، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م.

تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف أبو الحجاج جمال الدين المزي، المحقق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

التتمة جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، المحقق: تحقيق بشير عيون، دار الفكر، ١٣٩٢ هـ -١٩٧٢ م.

التنبيه والإرشاف، أبو الحسن علي بن حسين المسعودي، القاهرة: مكتبة الشرق الإسلامية ومطبعتها، ١٩٣٨/١٣٥٧.

جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٦ م.

جمهرة أشعار العرب، أبو زيد محمد بن الخطاب القرشي، المحقق: علي محمد البجاوي، نهضة مصر للطباعة، ١٩٨١م.

الحبائك في أخبار الملائك، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، المحقق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٨٨ م.

الحور العين، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني، المحقق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٤٨ م.

حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميري، المحقق. أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ .

الدر الثمين في أسماء المصنفين، علي بن أنجب بن عثمان بن عبد الله أبو طالب ابن الساعي المحقق: أحمد شوقي بنبين - محمد سعيد حنشي، تونس: دار الغرب الإسلامي، ١٤٣٠ - ٢٠٠٩

الدر المنثور في التفسير المأثور، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، ١٤٢٣ ه - ٢٠٠٣م.

دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي ، المحقق: عبد المعطي قلعجي، دار الريان للتراث، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

ديوان حسان بن ثابت الانصاري، حسان بن ثابت، المحقق: وليد عرفات، دار صادر، بيروت،١٣٩٥هـ - ١٩٧٤م.

ذم الهوى، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المحقق: مصطفى عبد الواحد، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٢م.

رجال النجاشي أبو العبّاس النجاشي، المحقق: موسى الشبيري الزنجاني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم-ايران، ١٤٠٧هـ.

رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، ابن بطوطة، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٤١٧هـ -١٩٩٧م.

الرد على سير الأوزاعي، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة الأنصاري، المحقق: أبو الوفا الأفغاني، بيروت: دار الكتب العلمية، بلا تاريخ.

الرسالة، ابوعبدالله محمد بن إدريس الشافعي، المحقق: أحمد شاكر- مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٥٨هـ -١٩٤٠ م.

روضات الأخبار وكنوز الأسرار، أبو محمد يوسف بن محمد الحاجوري، مكتبة الإمام زيد بن علي، رقم ٧٠-٠٤٠.

سعد السعود للنفوس، رضي الدين ابي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس، المحقق: فارس تبريزيان الحسّون، قم: دليل، بلا تاريخ.

سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني أبو داود، المحقق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي، المحقق: أحمد محمد شاكر مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥ هـ -١٩٧٥م

سنن كبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٤ ه - ٢٠٠٣ م.

سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

سيرة ابن هشام، أبو محمد بن عبد الملك بن هشام، المحقق : مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مطبعة مصطفى البابي، مصر، ١٣٧٥هـ -١٩٥٥م.

شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن العماد العكري الحنبل، ت: محمود الأرناؤوط و عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، المحقق. عبدالكريم عثمان، القاهرة، مكتبة وهبة،١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

شرح مشكل الآثار، أبو جعفر الطحاوي، المحقق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٥هـ -١٩٩٤م.

شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم،١٣٧٨ هـ - ١٩٦٧ م.

شعر الخوارج، إحسان عباس، بيروت - لبنان: دار الثقافة، ١٩٧٤ م.

صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، المحقق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

صحيح البخاري، ابو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري، دار ابن كثير، دمشق -بيروت، ٢٠٠٢.

صحيح مسلم، مسلم بن حجاج، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٤ هـ -١٩٥٥ م.

طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها، حمد بن عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان، أبي الشيخ الأصبهاني، المحقق: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

طبقات المعتزلة، أحمد بن يحيى بن المرتضى، المحقق: سُوسَنّة دِيفَلْد - فِلْزَر، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١م.

العقد الفريد، ابن عبد ربه، المحقق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٤ هـ ١٩٨٣ م.

غريب الحديث: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المحقق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني - بغداد،١٣٩٧هـ.

الفائق في أصول الدين، ركن الدين بن الملاحمي الخوارزمي، المحقق: ويلفرد مادلونگ، مارتين مكدرمت، تهران: مؤسسة پژوهشي حكمت و فلسفة ايران، ٢٠٠٧م.

فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل بن عبدالله لأسدآبادي، الحقق: فؤاد سيّد- أيمن فؤاد سيّد، بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية- دار الفارابي، ٢٠١٧.

الفهرست أبو الفرج محمد بن إسحق بن النديم، المحقق: إبراهيم رمضان، بيروت - لبنان، دار المعرفة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مجد الدين، المحقق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

القلائد في تصحيح العقائد، أحمد بن يحيى بن المرتضى، المحقق: البير نصري نادر، بيروت، دار المشرق، ١٩٨٥م.

كتاب التحريش، ضرار بن عمرو الغطفاني، المحقق: حسين خانصو - محمد كسكين، شركة دار الإرشاد - دار ابن حزم،١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

كتاب التحريش، ضرار بن عمرو الغطفاني، مكتبة مدينة شهارة رقم: ٤/٦٩.

الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، ابن قُطْلُوْبَغَا، المحقق: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان ، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية، اليمن، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.

كتاب الردة، محمد بن عمر الواقدي، المحقق: يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

الكتاب العثمانية، عمر بن بحر الجاحظ أبو عثمان; المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

كتاب المصنف في الأحاديث والآثار، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي أبو بكر، المحقق. كمال يوسف الحوت، دار التاج - بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الشريف الادريسي، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩.

كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦م.

كشف الخفاء ومزيل الإلباس، إسماعيل بن محمد الجراحي العجلوني، المحقق. عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري المتقي الهندي، المحقق: صفوت السقا - بكري الحياني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م.

اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطى، المحقق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م.

لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المحقق: عبد الفتاح أبي غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، ٢٠٠٢ م.

متشابه القرآن، القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، المحقق: عدنان محمد زرزور، القاهرة: دار التراث، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٦م.

المجموع شرح المهذب للشرازي، يحيى بن شرف النووي محي الدين، المحقق: محمد نجيب المطيعي، مكتبة الإرشاد، جدة، بلا تاريخ.

محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصفهاني، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٤٢٠ هـ

مختار من كتاب الحدائق، معاوية بن عبد الله بن جعفر، دارالكتب المصرية: رقم ٧٧

المختصر في أخبار البشر الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل بن علي أبو الفداء، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، بلا تاريخ.

المسالك والممالك، ابو القاسم عبيدالله بن خرداذبة، مدينة ليدن المحروسة، مطبع بريل، ١٣٠٩هـ - ١٨٨٩م.

المستدرك على الصحيحين للحاكم، ت مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ - ١٩٩٠.

مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

مصنف عبد الرزاق الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ.

المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار العاصمة للنشر والتوزيع- دار الغيث للنشر والتوزيع، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، المحقق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩ م.

معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص، أبو الفتح العباسي عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسي، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: عالم الكتب، بلا تاريخ.

المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد أبو معاذ - محسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة ١٤١٥ ه - ١٩٩٥ م.

معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ - ١٩٨٨م.

المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

المغني في ابواب التوحيد، القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني،المحقق: نخبة من العلماء نشر، القاهرة المؤسسة المصرية العامة للتاليف و الترجمة و الطباعة و النشر، ١٩٦٥م.

مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبي الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري، تحقيق هلموت ريتر، فيسبادن – ألمانيا، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.

كتاب المقالات ومعه عيون المسائل والجوابات، أبي القاسم عبد الله بن احمد بن محمود البلخي، المحقق: راجح كردي حسين خانصو عبد الحميد كردي، دار الفتح للدراسات والنشر – الأردن، ٢٠١٨م.

الملل والنحل، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، المحقق: ألبير نصري نادر، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٢ م.

الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، القاهرة: مؤسسة الحلبي، ١٣٨٧هـ -١٩٦٨م.

منهاج السنة النبوية، أبي القاسم تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، المحقق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦ هـ -١٩٨٦م.

المنية والأمل، القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني، المحقق: سامى النشار و عصام الدين محمد، دار المطبوعات الجامعية، اسكندرية، ١٩٧٢م.

كتاب المنية والأمل في شرح الملل والنحل، أحمد بن يحيي بن المرتضى، المحقق: محمد جواد مشكور، بيروت: دار الفكر،١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

الموضوعات ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، المحقق: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة، ١٣٨٦ هـ -١٩٦٦م.

نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات الأنباري، المحقق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

نشوان بن سعيد الحميرى المحقق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي – القاهرة، ١٩٤٨ م.

الهداية الى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، دار إحياء التراث، بيروت ،١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠م.

المصادر والمراجع غير العربية

Ansari, Hassan, "Abū 'Alī al-Jubbā'ī et son livre al-Maqālāt", A Common Rationality: Mu'tazilism in Islam and Judaism, ed. Camilla Adang, Sabine Schmidtke ve David Sklare, Würzburg, Orient-Institut Istanbul, 2007.

Koloğlu, Orhan Şener, *Cübbâîler'in Kelam Sistemi*, İstanbul: İSAM Yayınları, 2017.

Kutlu, Sönmez, *Mezhepler Tarihine Giriş*, İstanbul: Ensâr Yayınları, 2008.